

محمد قجّة
الباحث المبدع

محمد قجّة

الباحث المبدع

وقائع الندوة التكريمية التي أقامتها وزارة الثقافة

حلب – مديرية الثقافة

2008 / 10 / 26-25

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق 2008

محمد قجّة الباحث المبدع
دمشق: وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب - 2008
وقائع الندوة التكريمية التي أقامتها وزارة الثقافة في حلب – مديرية الثقافة - 2008 / 10 / 26-25

محتويات الكتاب

الصفحة

هذا الكتاب:

- 11 بقلم الدكتور رياض نعيان آغا - وزير الثقافة في سورية
- 17 الفصل الأول: الجلسة الافتتاحية للندوة:
- 19 ■ كلمة رئيس الجلسة الافتتاحية: الدكتور فايز الداية -
أستاذ في كلية الآداب في جامعة حلب
 - 29 ■ كلمة وزارة الثقافة - ألقاها الدكتور علي القيم -
معاون وزير الثقافة - نيابة عن السيد الوزير
 - 31 ■ كلمة مفتي الجمهورية العربية السورية -
الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون
 - 40 ■ كلمة محافظ حلب - الدكتور المهندس تامر الحجية
كلمة جامعة حلب - ألقاها الأستاذ الدكتور عابد يكن - نائب رئيس جامعة حلب
 - 43 ■ نيابة عن رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور محمد نزار عقيل
كلمة دار الإفتاء بحلب - الشيخ الدكتور محمود عكام -
 - 47 ■ مفتي حلب
كلمة رئيس طائفة السريان الأرثوذكس بحلب -
 - 52 ■ المطران يوحنا إبراهيم
كلمة أسرة المكرم - الدكتور حسن قجّة -
 - 60 ■ النجل الأكبر للمكرم

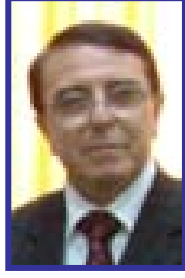
75	<u>الفصل الثاني: شهادات أصدقاء المكرم</u>
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ كلمة المشاركين - البروفيسور سليم الحسني,
77	جامعة مانشستر, رئيس مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة
84	<ul style="list-style-type: none"> ▪ تحية من صباح قباني - الباحث الدكتور صباح قباني ▪ فخر من العطاء العلمي اسمه محمد قجة -
86	د. عبد الله العثيمين - الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ دار الألفة والألف في حلب- الدكتور حسن النعمة -
91	مستشار الشؤون الثقافية في مكتب سمو أمير دولة قطر
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ إلى صديقي.. وشريكي في حبّ حلب -
94	الأديب الروائي الأستاذ وليد إخلاصي
99	شذرات الشهباء - الأديب الروائي الأستاذ جمال الغيطاني
106	قصيدة شعرية: "التكريم" - الشاعر كمال قجة
111	<u>الفصل الثالث: محمد قجة والدراسات التراثية والأندلسية</u>
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ إضاءات على جهود محمد قجة في معالجة التراث - البروفيسور سليم الحسني - أستاذ في جامعة مانشستر,
113	رئيس مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة.
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ مُتيمّ حلب وهاجس الأدب - أ.د. الطاهر الهمامي -
132	أستاذ في جامعة متوبة - تونس

- محمد قجّة والشيخ الأكبر - د. يوسف زيدان -
 مدير مركز المخطوطات ومتحف المخطوطات في مكتبة الاسكندرية 139
- محمد قجّة الأديب والمؤرخ والباحث -
 د.محمد الأرنؤوط - أستاذ في جامعة آل البيت - الأردن 145
- كتاب " محطات أندلسية " لمحمد قجّة - د. عمر الدقاق -
 عميد كلية الآداب سابقاً في جامعة حلب 155
- محمد قجّة وأبو الطيب المتنبي - د. صلاح كزارة -
 أستاذ في كلية الآداب في جامعة حلب 163
- المكتبة التاريخية - د.سعد الدين كليب -
 أستاذ في كلية الآداب في جامعة حلب 172
- سردية التراث الموسيقي في كتابات محمد قجّة -
 الأستاذ نبيل سليمان - روائي وناقد 179
-
- الفصل الرابع: محمد قجّة وحلب عاصمة الثقافة الإسلامية وجمعية العاديات.....191
- حلب عاصمة الثقافة الإسلامية والمبدع الأستاذ محمد قجّة -
 الدكتور عفيف بمنسي - رئيس مجلس إدارة جمعية أصدقاء دمشق 193
- التكريم.. وكرم المجازاة - الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشر -
 أستاذ في كلية الآداب في جامعة دمشق سابقاً 202
- محمد قجّة وجمعية العاديات - الأستاذ فؤاد هلال -
 نائب رئيس مجلس إدارة جمعية العاديات 206

219	<u>الفصل الخامس: ختام الندوة</u>
221	كلمة المشاركين - الدكتور يوسف زيدان
222	البيان الختامي - ألقاه الأستاذ الدكتور أحمد أديب الشعار
224	كلمة المكرّم محمد قجّة
231	صور من ندوة التكريم
238	نموذج شهادة التقدير التي منحتها وزارة الثقافة للمشاركين في ندوة التكريم
239	الدروع التقديرية التي قُدمت للمكرّم في الندوة
241.....	<u>الفصل السادس: رسائل مرسلّة إلى محمد قجّة</u>
245	رسالة من المؤرخ الكبير الدكتور نقولا زيادة
251	رسالة من الشاعر الكبير أدونيس
252	رسالة من الشاعر الكبير سليمان العيسى
253	رسالة من الشاعر هنري زغيب
255	رسالة من الأديبة سلمى الحفار الكزبري
257	رسالة من الفنان العالمي فاتح المدرس
260	رسالة من الباحث والمفكر الدكتور جابر عصفور
261	رسالة من الباحث الدكتور قتيبة الشهابي
263	رسالة من مدير معهد ثريانتس بدمشق لويس خابيير رويث
265	رسالة من الأمين العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الدكتور عبد العزيز التويجري

267	<u>الفصل السابع: وثائق من حياة المكرّم</u>
271	▪ نص مقابلة مع الأستاذ محمد قجة
301	▪ صور من مراحل حياة محمد قجة
319	▪ بعض شهادات مشاركاته في مؤتمرات علمية
327	▪ بعض الدروع التقديرية التي حصل عليها
335	▪ أغلفة الكتب التي ألفها وشارك في تأليفها
341	▪ السيرة الذاتية لـمحمد قجة

هذا الكتاب



الدكتور رياض نعيسان آغا
وزير الثقافة في سورية

أنا فخور بتكريم الأستاذ محمد قجة، وما يشار إليه أحياناً من أن وزارة الثقافة تكرم الأحياء، فهو تدارك لما كان مثار نقد سابق بأنه لا يكرم إلا الموتى، لكننا الآن نكرم الأحياء، ونحن ندعو لهم بالعمر المديد.

الأستاذ محمد قجة علم من أعلام الثقافة في سورية وفي الوطن العربي، باحث موسوعي.. وأنا أتوقف عند كلمة موسوعي، فنحن أحياناً نواجه مشكلة مع الاختصاصات، إذ أنني خلال حياتي العملية كنت ألتقي الأساتذة الكبار، فأسألهم سؤالاً يتعلق مثلاً بالعصر العباسي، فيقول: آسف.. أنا اختصاصي أموي، أو أسأله عن الأندلسي فيقول: آسف، أنا اختصاصي مملوكي!!

لكن نحن هنا أمام محمد قجة، نحن أمام فكر موسوعي وثقافة موسوعية ورجل لا يرضى على أمته بشيء من علمه ومعرفته وثقافته، وقد كان صديقاً حميماً لي منذ سنوات طويلة، وكنت أتابع نشاطه وأرى دأبه، وبالتالي حين جاءت مناسبة الاحتفال بحلب عاصمة للثقافة الإسلامية

وتسلم الإدارة، صار قريباً مني باعتباري رئيس اللجنة التنفيذية للاحتفالية، فوجدت عن قرب مدى إخلاصه، وما بذله من جهود مضنية وصل فيها النهار بالليل وهو يعمل وحده عمل مؤسسة. إنه مؤسسة وحده. وإنني لا أنكر جهود الذين اشتغلوا معه، ولكن لا بد لكل عربة من قائد، وبالتالي كان في تعاونه الكبير مع صديقي الدكتور تامر الحجية الذي كان رئيساً للجنة التنظيمية للاحتفالية ومسؤولاً عنها في حلب، كانا يمثلان هذا الولاء الوطني المخلص والأريحية العظيمة.. ومحمد قجة بمرني بقدرته على أن يعمل ليلاً ونهاراً.. دون تدمير، دون شكوى، ودون مكافأة مالية.

وبالنسبة لتقوينا مدى نجاح احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية، فحسبي أن أتوقف عند مقاله صديقي الكبير الدكتور عبدالعزيز التويجري رئيس المنظمة الإسلامية. حين قال: إننا نستطيع أن نعتد ببرامج احتفالية حلب نموذجاً يعمم على العواصم الثقافية. لأنه رأى عناصر متكاملة للنجاح:

أولاً: عدد الذين زاروا حلب في هذه الآونة من كبار الشخصيات العالمية، فقد وصل عددهم لأكثر من 1200 شخصية عالمية زارت حلب في عام.

ثانياً: كمّ الأسابيع الثقافية والمؤتمرات والندوات، فبعد أن كان المقرر منها ثمانية، وصل العدد إلى سبعة وعشرين مؤتمراً دولياً وستة وعشرين ندوة محلية.

ثالثاً: عدد الكتب التي أصدرت في حلب، فقد وصلت إلى /173/ كتاباً من التراث القديم، أي كل كتاب سلسلة من الكتب، فنحن لا نعني بالكتاب مطبوعة صغيرة بحجم 200 صفحة أو 150 صفحة، بل نعني كتباً ضخمة جداً.

رابعاً: كذلك من أسباب ما أعتز به من نجاح احتفالية حلب، أن المبلغ الذي أنفق فيها زهيداً جداً، بالقياس إلى ما تحقق من إنجازات ونجاحات.

من أين صنعنا ذلك؟ صنعناه من الجهد البشري المتطوع، والعمل الأهلي العام، من حماس الناس، من لهفتهم ومن إخلاصهم ومن تعاونهم.. لاحظنا كيف زينت حلب بساحاتها وبمبانيها، وكيف تدافع أهل حلب، كلٌ يريد أن يسهم وأن يقدم وأن تبدو مدينته في أحسن حال. والأسابيع الثقافية التي كانت في حلب كلها كانت تعبر عن هذا الحضور العميق لمدينة حلب في الذاكرة الإسلامية..

الأستاذ محمد قجة كان الدينامو، كان الفاعل المحرك، وبالتالي حرصنا على تكريمه..

أضيف إلى كونه باحثاً من طراز فريد، أنني معجب بدراساته، ولا سيما في التراث العربي الإسلامي. له دراسة مهمة جداً عن ابن عربي أعتقد أنها نموذج للدراسات الفلسفية الإسلامية، بالإضافة إلى كونه رجلاً مخلصاً لثقافته ولثقافة أمته، وهو محدث بارع يستطيع أن يلهم بمجموع الكلم، وبالتالي يمتلك مقومات شخصية ثقافية معطاءة، وهذه تسمى بـ (الكاريزما) أي رجل جذاب يمتلك الحضور الثقافي القوي. وهو رجل متسامح، نوافذ عقله مفتوحة على كل ثقافات العالم. لذلك وددنا أن نكرمه، وأن نعبر له عن فخرنا -كعرب وكسوريين- بأن هذا الرجل هو ابن ثقافتنا البار.

نحن في وزارة الثقافة كنا نحرص على أن نرى الجيل القادم، نحن واجهنا مأساة في ثقافتنا ولا سيما في سورية.. هذه المأساة هي رحيل الكبار عن الحياة، وهذه هي سنة الحياة، لقد رحل على التوالي عدد ضخم من الكبار، وبدأنا نشعر بما سيحدث من فراغ، فكان لابد أن نلتفت إلى الأجيال الشابة الجديدة نبحث بينهم عن نزار قباني جديد، عن الماغوط الجديد، نبحث عن أبو ريشة جديد، وعن عجيلي جديد، نبحث عن كل الطاقات القادرة أن تبشر بمستقبل.

بالطبع لا يمكن أن أقول أنه يمكن أن يملاً أحد فراغاً تركه من سبقه، ولكن دائماً الحياة تعطي، رغم أنها قد تتأخر أحياناً، فليس سهلاً أن أقول أن ثمة شاباً الآن سيكون "نزار قباني" المستقبل. هناك انقطاعات تحدث في الثقافة، فمثلاً إلى الآن لم يعوض أحمد شوقي، ولا أدري كم عقداً من الزمان سننتظر ليعوض نجيب محفوظ؟ وفي المسرح لا أدري كم سننتظر حتى سيأتي سعد الله ونوس آخر؟

لكن علينا أن نعمل وأن نشجع الشباب الجدد، المهم أن نتيح لهم فرص التواصل والعطاء، وأن نكرم المبدعين، لأن المبدع بعد أن ينفق عمره وهو يعطي للناس لا ينتظر مالا، لأنه لو أراد أن يجني المال لفتح "سوبر ماركت" أو أي دكان واستطاع أن يأتي منه بالمال، أو استثمار في مشروع تجاري، لكنه رجل وهب نفسه لروح الأمة ولوجدانها، ولا يريد جزاء غير أنه يدرك أن الرسالة قد وصلت، وأن الناس استقبلوه بحب وتكريم..

هذا هو سر تكريمنا لمحمد قنجة أخي وصديقي العزيز.

الفصل الأول:

الجلسة الافتتاحية



كلمة رئيس الجلسة الافتتاحية
الأستاذ الدكتور فايز الداية
أستاذ في كلية الآداب في جامعة حلب

طاب مساءً لكم.. وسلاماً عليكم في هذه الأمسية الطيبة..
السادة الضيوف ... السادة الباحثون ...السادة الحضور ...
في هذه الأمسية نلتقي على دعوة وعلى كلمة مضيئة..

رغم غيابي الطويل، ومنذ قدومي فوجئت بهذه الدعوة من صديق هو
الأستاذ محمد قجسة لأشارك مع المشتركين، فما كان في جيبى وما كان
في الذاكرة إلا أن أقول الكلمات وقد أعجلنا هذا الوقت، لا شك أن
غبطة وسعادة تغمر من يكرم في مثل هذه الأمسية، مبحراً في الثقافة
كاتباً متابعاً، ولكن الغبطة الحقيقية هي لنا نحن، نحن من نشاركه هذا
المسير، من نعرف هذا العناء، ونطمح إلى التواصل مع كل من حولنا،
على أن تستنبت تلك البذور الطيبة فيما بيننا. لهذا هو أمسية لنا
وليست له، رغم أنه يأخذ فيها الكثير الكثير.

كذلك هي أمسية طيبة لأن الثقافة تجد لنفسها موقعاً في خضم العلوم
والتطبيقات الكثيرة، لأن هناك من يرى المثقفين المفكرين الفنانين على
أطراف مسار حضارتنا. نقول: ها نحن أولاء نكرم الكتاب المفكرين
الأدباء. وتذكر أن جائزة نوبل مثلاً، فيها كل فروع المعرفة التي تعطى

جوائز، ولكن من يبقى في الذاكرة سنواتٍ وسنواتٍ؟ إنهم أولئك أصحاب جائزة الأدب، لأنهما تدخل إلى البيوت جميعاً، مع تقديرنا البالغ لكل من يشتغل في جوانب العلوم المختلفة .

من حلب أيضاً نطلق النظر، فنجد القلعة ومعها نتذكر أن الكلمة والثقافة هي قلعتنا في هذا الزمن وفي هذا الوقت، لهذا نتنادى جميعاً لتكون في مقدمة مسيرتنا.

فحضنتنا العربية الحديثة.. من أمسك بأول خيوطها وأول سبل مسارها؟ لقد كان الأدباء أول من أشعل النهضة العربية المعاصرة، ثم انداحت العلوم والجهود المتعددة وكانت لنا حياتنا الجديدة. لذلك نحن في أمسية نأمل أن تظل أضواؤها ساطعة في دروبنا وفي خطواتٍ متتابعة لنا على هذا المسار .

في هذا المقام يحظر ببالي المنتبي والنقاد والعلاقة بينهم. لقد كان المنتبي يلقي أشعاره ويذهب، لينشغل الناس بها ويبحثون عن حلول وعن إضاءات، ولكنهم لم يكونوا يعودون إليه، وإنما يعودون إلى نقاده، إلى الباحثين، وهو ذاته كان يوصي بان يعودوا إلى العالم والأديب والباحث ابن جني، وله كلمة مشهورة يقول: "ابن جني أعلم بشعري مني". وكان يقول اذهبوا إليه فهو يعلم ما أريد وما لا أريد. فهم إذاً يقرؤون في كلامه وفي كتابته ما لا يراه هو، لأن النقد يدخل إلى الأعماق ويفرش

الأبواب، ومن ثم نجد ما لا يجده صاحب العمل نفسه، وهذا يسوغ الدراسات والبحث في هذا المقام.

وفي هذه المناسبة، كم هو هورائع أن تشارك جامعتنا -جامعة حلب- وهي تزدهي في هذه السنة دون السنوات الأخرى بلون براق هي أهل له، هو العيد الذهبي لجامعة حلب بمناسبة مرور خمسين سنة على انطلاقتها، تجعلنا ننظر إلى السماء في يوم ماطر، عندئذ سنرى تعدد الألوان في قوس قزح، في تلك اللحظة ندرك هذا التعدد، ثم يغيب ليأتلّف في ضياء يضم الجميع ولا يظهر في كل لحظة بما فيه، إلا أن خيره هو الذي ينتشر.

جامعة حلب - طلاباً، مناهج، أبنية، إدارة - هي كل يتكامل ويعطي الوطن ويعطي الوعد بالمستقبلي والأحلام التي نتوق إليها. إدارتها الأولى القديمة أعطتنا ميزة لهذه الجامعة، إضافة إلى كلية الهندسة وكلية الحقوق وما وراءهما، أعطتنا داراً واحدة، ولنحاول أن نتذكر ذلك.. أرضاً واحدة تضم الجامعة وتجعلها منارةً وقلعةً تحتوي على كليات متعددة ومستقلة في وقت واحد، لا تتوزع في أركان متباعدة من المدينة، كانت هذه نظرة ثابتة من إدارة جامعة حلب الأولى و رئيسها توفيق المنجد رحمه الله.

في محطة أخرى، ومع تكاثر الكليات، انتبهت الإدارة وانتبه أهل العلم فيها إلى أننا لا بد من أن ننظر إلى موطئ أقدامنا وإلى جذورنا، فكان معهد التراث العلمي العربي، والذي به تميزت بين جامعات الوطن العربي، لنقل تميزت بهذه الدراسة للتراث العلمي، وصارت تعطي الماجستير والدكتوراة وتتابع البحوث فيها، فكانت ركناً وكانت امتيازاً.

في السنة الماضية وفي بحر هذه السنة، كانت الإضافة من إدارتها بإدارة الدكتور محمد نزار عقيل وصحبه العلماء، فيها كانت اللفتة أن كان شيء ما لا بد أن يكتمل، الأدب موجودٌ ولكن الروح تتوق أيضاً إلى الفن، فكانت كلية الفنون التطبيقية التي تحمل احتمالاً أن يكون فيها الموسيقى وإن يكون فيها المسرح والدراما، عندئذ يكون العلم وتكون الثقافة، ومنها تنداح الرؤى والمساحات المضيئة المزروعة بالخير لنا وللأجيال القادمة. هو تكاملٌ، والثقافة تكاملٌ، وهي سلاح لنا عبر الأيام.

ومع الجامعة - الصرح العلمي الكبير - يشارك صرح عريق، هو دار الإفتاء، وهنا نستذكر الآيات الكريمة: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".

هذه كلمات من القرآن الكريم، تضعنا أمام الحوار. الحوار الذي بدأته الكلمة، ومن يتعلم من كلمة القرآن الأولى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ" .. "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" .. "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" ..

كلمات نيرة من خلالها نبصر طريقنا لتتعلم، لتبصر، وأيضاً لتتجاوز ونصل إلى ما هو أفضل. كما قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" .. بعملنا.. برؤيتنا.. تكون المكانة ويكون العطاء.

ودائرة الإفتاء تقودنا إلى عراقة المسيحية في حلب، وقد ورد في الإصحاح الخامس من انجيل متى كلمات تتصل بموقفنا هذا: " أنتم ملح الأرض.. أنتم نور العالم.. لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل، وليوقدوا سراجاً ويضعوه تحت المكيال، بل على المنارة، فيضيء لجميع من في البيت.. فليضيء نوركم هكذا قدام الناس ليُرى أعمالكم الحسنة.." "

حلب التي تعرف صورةً من أزهى الصور للتسامح والتعايش والتآلف والتضافر، تجد أمثلة كثيرة كثيرة على إسهامنا جميعاً، وأقول إسهامنا لأننا نحن معنا مسلمين ومسيحيين، نسمع باسم هو جبرائيل رباط، كان

الرئيس الثاني لجمعية العاديات في حلب، ونسمع باسم آخر، لا شك سيرن في أسماعنا اليوم: فتح الله صقال، هو الذي دافع عن ابراهيم هنانو أمام سلطة الانتداب. فالوطنية والتفاعل كانا معنا جميعاً.

نلتفت في زاوية أخرى جميلة فنجد الموسيقي المبدع كميل شمبير، الذي أبدع في حلب وفي القاهرة وفي دمشق، وهو الذي خصه عمر أبو ريشة بواحدة من أجمل قصائده عندما رثاه..
ألفه وتضافر وتفاعل فيما بيننا.

لقد كانت الثقافة دائماً شعلت تحملها الوزارة الرائدة، وزارة الثقافة، واحتفالتنا الثقافية هذه فرصة لنعرف مكن قوتنا، هذه مبالغة فيما يبدو، في صراع نشهده اليوم وفي اجتياح يسمى العولمة -بقدراتها الاقتصادية والعلمية والآلية- نرى أننا لا نستطيع أن نجابه هؤلاء وأن نسبقهم.

نحن نحاول دائماً ونسعى دائماً، ولكن كم بيننا وبينهم من الآلات والأجهزة والأدوات ينبغي أن نتمكن منها حتى نكون معهم أو أمامهم؟ الجدار الذي يمكن أن نستند إليه، وأن نبدأ أشواطنا المميزة، وأن نبصر قوتنا في أنفسنا هو الثقافة.. "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" .. إنها هي التي تعلمنا بهويتنا، بماهيتنا، بطاقتنا، بإيماننا، بأنفسنا، أبناء حضارة وأبناء مستقبل في هذا العالم.

لذلك كان العبء ثقيلاً وثقيلاً على وزارة الثقافة، فوزارة التربية ووزارة التعليم العالي تصحبنا مرحلةً مرحلةً، عدداً من المراحل يعطينا ما يعطينا ويتركنا. أما وزارة الثقافة فتصحبنا جميعاً في أعمالنا، في بيوتنا، في أعمارنا المختلفة، لنواصل المعرفة والوعي والاستمرار. ولذلك هذا هو منطلق القوة. وفيما أرى لا يحتاج إلى كثير بل إلى القليل لنبداً خطوات عقولنا وإيماننا، خطواتنا الأولى.

فلا آلة ولا أجهزة يمكن أن تكون عائقاً أمام هذه البداية، لذلك نعود إلى وزارة الثقافة التي عليها الأعباء الكثيرة، وقد قامت بما تستطيع وتنتظر مؤازرتنا لها في أعمالها وفي أنشطتها. فاليد الواحدة قد تعلقو وتعلو ولكن لا صوت لهذه اليد الواحدة إن لم تلتق بالأخرى. عندها يكون الصوت ويكون الجمع وتكون الخطوة الحاشدة والفاعلة إن شاء الله.

في هذا الحفل التكريمي اليوم، هل أتكلم عن الأستاذ محمد قجة؟ قد يطول الحديث وقد تتشعب السبل.. هناك من سيفصل ويجاضر ويجاور في أعماله العلمية والثقافية، ولكنني سأقف عند زاوية واحدة، وهي أنه ينشر الثقافة..

كثيرون من يضعون في بيوتهم مكتبات، وكثيرون الذين يقرؤون، كثيرون الذين يعرفون، ولكن المساحات التي تنتشر حول هؤلاء قد لا

تكون مديدةً وقد تكون محدودةً، ولذلك نفتش ونبحث عن أولئك الذين ينشرون العلم والمعرفة والثقافة بين الناس، لا بين المتخصصين ولا في الحافل الخاصة الأدبية أو الثقافية، وإنما أولئك الذين ينشرون الكلمة بين الناس جميعاً في أوسع مساحة. أولئك ملح الأرض، أولئك الذين تستمر بهم في كل أطراف المجتمع، لأن الحضارة منا جميعاً وليست من مجموعة أو نخبة، فالكل ينبغي أن يكون في عمق الحضارة شيئاً فشيئاً بهذه المعرفة والاطلاع.

وأعمال الأستاذ محمد قجة واضحة.. في الاحتفالية، في جمعية العاديات، وفي مجالات كثيرة.. ينشط الثقافة، يدعو المحاضرين، يساعد على إنشاء الندوات، يكون حاضراً، هذا هو الفعل الخير الثقافي، وهو الذي يعلو على ما سواه، والأمور الأخرى تكون في الزوايا التي يقف عندها الزملاء.

نقطة أخرى تخطر في البال، مع رجلٍ لا يمكن أن تذكر حلب إلا وهو معها، ولا يذكر هو إلا وحلبُ معه، هو واحدٌ أيضاً في مكتبتنا العربية، كلها هو واحدٌ.

عندما نتأمل الأشعار هو المتنبى.. المتنبى أمضى ثلاثين من سنوات عمره أو أكثرَ في بلاد الشام، وأمضى منها عشرًا في حلب الشهباء بجوار سيف الدولة الحمداني، ومع ذلك -وهذا شأن الأدباء، وشأن تقليب

الزمن - خرج منها غضباناً حزيناً وذهب في أرجاء الأرض، ظل حينه إلى حلب وأميرها الذي غضب منه ذات يوم، أرسل إليه بالأعطيات، أرسل إليه بالرسائل، دعاه وطلب منه العودة، وفي اللحظة الأخيرة كان المنتبي يرسل إليه برسالة شعرية أن سآقي إلى حلب، لكن القدر كان دون ذلك، مات المنتبي قبل أن يصل إلى حلب.

نقرأ من كلمات المنتبي في رسالته التي أرسلها إلى سيف الدولة يقول:

فهمت الكتاب أبرّ الكتب	فسمعاً لأمر أمير العرب
وطوعاً له وابتهاجاً به	وإن قصّر الفعل عمّا وجب
وما عاقني غير خوف الوشاة	وأن الوشائيات طرق الكذب
وما لاقني بلدٌ بعدكم	ولا اعتصت من رب نعماي رب
وما قست كل ملوك البلاد	فدع ذكر بعض بمن في حلب
أفي الرأي يُشبه أم في السخاء	أم في الشجاعة أم في الأدب

كان توفقه إلى سيف الدولة وإلى حلب توقفاً عظيماً. اليوم نود أن نعيد المنتبي إلى حلب، والفضل في ذلك للأستاذ محمد قجة، الذي كشف عبر دراسة تاريخية عن دار المنتبي الذي سكنها في حلب، والتي نحن عازمون على تحويلها إلى متحف، ووزارة الثقافة اعتمدت ذلك، ولكن هذا لن يقوم إلا بنا معاً، عندما نبني دار المنتبي داراً ثقافية، داراً معطاء ونكون فيها.

وأخيراً، لعلنا بهذا اقتربنا من كلمة تضاف إلى هذه الأمسية، وهي أن تكون الثقافة بعضاً من الأسرة، لا أن تكون مع الأب وهو خارجها أو مع الدرس هنا وهناك، أن تكون معنا جميعاً، رأينا إضاءة للثقافة من داخل البيت، لعلنا جميعاً ندخل الثقافة إلى البيوت ونتعاش بيننا وبين أبنائنا لنكون معاً في إضاءة للمستقبل مع هذا الجيل والأجيال الأخرى.



كلمة وزارة الثقافة

الدكتور علي القيم

معاون وزير الثقافة

حمل حلب في جميع أسفاره ومحاضراته ومشاركاته في الندوات والمؤتمرات التي شارك فيها في الوطن العربي والعالم.

تتلمذ على يديه مجموعة كبيرة من الأساتذة والعلماء والباحثين. لم يتعب يوماً من التجوال في دواخل المعرفة والعلم والثقافة، وكان دائماً في جميع أبحاثه ودراساته ومقالاته ومؤلفاته صاحب رسالة يحارب من أجلها، ومن أجل عظمة الحضارة العربية وتراث الأمة العربية.

محمد قجة من الممكن أن يطلق عليه موسوعة حلب التاريخية والأدبية التي تمشي على قدمين..

محمد قجة لا يحتاج إلى مديح أو شهادات، أعماله وإنجازاته التي يصعب حصرها وعدها قادرة بقوة وفخر على الحضور لتقول كلمتها الصريحة الواضحة، وهي راسخة في أذهان وأفئدة سكان سورية والوطن العربي، وقد حقق إنجازات كثيرة لم يحققها إلا القلة القلائل في سورية والوطن العربي.

لقد أحب عمله وأخلص له وأعطاه عمره المديد .. لقد زرع الحب
فحصد الحب والتقدير والتكريم, وهل هناك أجمل وأنبل من هذا الحصاد
الذي اجتمعنا من أجله اليوم...

لقد بحث في تراث حلب وحضارتها وتاريخها وبحث في التراث العربي,
وعلم ودرس وحاضر وألف، وكان في كل هذا وذاك يدرك أهمية دوره
ويعي مسؤوليته تجاه وطنه وشعبه وأمته, فكانت مسيرة حافلة بالعطاء
وبمنهجية علمية ورؤى ثابتة وشفافية مطلقة, وصوفية مؤمن متعبد في
محراب التراث والأدب والشعر والفكر والمعرفة.

محمد قجة:

لك الحبة والتقدير والاحترام والإجلال الكبير.



كلمة مفتي الجمهورية العربية السورية

الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حلب حينما احتضنت الثقافة الإسلامية واحتضنتها الثقافة الإنسانية كانت نموذجاً متميزاً في مسيرة العواصم، فقد كانت العاصمة الأولى مكة المكرمة التي احتضنت الشريعة الإسلامية والدين الإسلامي فقط، بينما حلب كانت هي المدينة القديمة التي احتضنت الثقافات الإنسانية ثم حين جاءت الشرائع السماوية احتضنتها أيضاً، ويوم جاءت الثقافة الإسلامية استطاعت أن تصهر في بوتقة صدور أبنائها هذه الثقافات، فتحول المواطن الحلبي السوري إلى إنسان عالمي.

لذلك، فلو سرنا في أي حي من أحيائها وقرأنا ما بين سطور أحجارها، لرأينا كل حجر صحيفة فكر وثقافة، ولذلك كان هناك انبهار حقيقي من كل من زار حلب في هذا العام الذي هو عام الثقافة الإسلامية. سمعت منهم الكثير، ومشكلكي أن شهادتي مجروحة لأنني ابن حلب، ولكن لو كنت متجرداً في هذه اللحظة لقلت ما قالوه، فلقد سمعت الإيراني والحجازي والجزائري والليبي والأوروبي يقولون كلمة واحدة: "لقد شهدنا في حلب شيئاً متميزاً، ورأينا وسمعنا في حلب الفكر المتميز، فكنا نأتي لموضوع معين في محاضراتنا في جامعة حلب أو في ندواتها، فإذا

بنا نتحول من القطرية إلى العالمية، من الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الإنسانية"، لأن الثقافة الإسلامية تحترم الآخر وتدعو إلى الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.

لهذا كانت حلب في قضية عاصمة الثقافة الإسلامية ليست عاماً واحداً وليست يوماً. وكما قالت اللجنة المنظمة برئاسة السيد محافظ حلب وإدارة الأستاذ محمد قجة أننا لن نغلق بعد اليوم مكتب حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، ولن ينتهي ذلك لا في عام 2007 ولا في عام 2008. إنما سنبقي هذا العام مدرسة لأبنائنا ليستخرجوا من كنوز حلب ومن تاريخها الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية وقبلها الكنعانية والبابلية وغيرها، وهي الثقافات التي استوعبتها الحضارة الإسلامية في أفقها الرحب الواسع. ولذلك أعتقد أنها انطلاقة لن تقف بعد اليوم بإذن الله.

قضية الأستاذ محمد قجة وقضية عاصمة الثقافة الإسلامية قضية أعمق من هذا العام. فلو أردنا أن نعرف هذا الرجل لوجدنا أنه قبل عشرات السنين قد قاد مصنع أجيال، وصناعة الإنسان هي أقدس صناعة في الكون، وهو الذي استطاع أن يقود مدرسة المأمون بحكمة ويترك أكبر الأثر في صدور أبناء حلب وأساتذتها، وقد رأيت منهم الكثيرين، ممن أصبحوا وزراء، أو أصبحوا مقيمين خارج سورية، أو في داخلها، والعجيب بأنهم من جميع الأطياف، أي ممن ينتمون إلى القوميين

والإسلاميين والعلمانيين والمتدينين، ولكنهم كانوا جميعاً ينظرون إلى أبي حسن نظرة خاصة : (إنه أستاذنا).

أن يستطيع إنسان أن يجمع هذا الفكر وأن يبثه عن طريق الحب في قلوب طلابه، أعتقد أن تلك هي الخطوة الأولى التي ما انتهت بعاصمة الثقافة الإسلامية.

كما نرى أيضاً مؤسسة، هي جمعية ثقافية قادها الأستاذ محمد قجة منذ سنوات، كانت في البداية في حلب، واليوم هي تبسط أجنحتها على مستوى القطر، وأعتقد أنها قريباً ستمتد إلى بعض الأقطار العربية والإسلامية، إنها جمعية "العاديات" العريقة.

فكما قلنا، بناء الإنسان هو بناء المستقبل، فعندما أكون مدرساً في مدرسة فأنا أبني مستقبل هذا الوطن، وحينما أقرأ في الآثار فأنا استخرج الجذور، ولكي لا يُضيّع ابنُ المستقبل جذوره، حاول الأستاذ العلامة محمد قجة أن يربط بين الجذور وبين الأبناء، وهذه هي قصة جمعية العاديات. فالعاديات استيقظت معه وأخذت طريقاً جديداً وبعداً جديداً وأخذت ثقافة جديدة، والسبب أنه إنسان ويؤمن بالإنسان، فإن أي مثقف في الكون لابد أن يقرأ كتباً ثلاثة حتى نسميه مثقفاً:

الكتاب الأول هو الكتاب المدون، وهو موضوع لكل إنسان، هو أن تقرأ الكتب التي كتبت وأشرفها كتب الله عز وجل: القرآن الكريم

والإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم، هذه الكتب التي وجد منها والتي غاب منها، فهذا هو الكتاب المدون الذي دونه الله للإنسان.

ثم الكتاب الثاني هو الكتاب المكون (الكون)، هو كتاب صنعه الله، فلماذا نقرأ في القرآن ولا نقرأ في الكون، والكون آيات الله الرائعة؟ ولكن أعلى الكتب: هو الكتاب المؤنسن "الإنسان".

فأبو حسن اعتبر أن الإنسان هو الكتاب الذي يجب أن يهتم به، فاهتم به أطفالاً وشباباً في المدارس، ثم اهتم به تراثاً، واهتم به ثقافة إسلامية. ولماذا تألق في عام الثقافة الإسلامية؟ لأن ميزة الثقافة الإسلامية أنها ثقافة عالمية، فيوم توفي رسول الله (ص) لم يكن الرسول شافعياً ولا حنفياً ولا صوفياً ولا مذهبياً ولا طائفيّاً ولا سنيّاً ولا شيعياً، كان أمة كل البشرية، فإذا كانت حلب قد استطاعت أن تجعل من الثقافة الإسلامية نبعاً ثرياً كما جاء به سيدنا محمد(ص)، فإنها تكون خطت خطوات رائعة في زمن تتصارع فيه هذه المذاهب وهذه الطوائف، فبدل أن تكون مصادر ثراء للفكر الإنساني صارت مصادر ظلمات وتطاحن وصدام مذهبي وحضاري وأكاذيب عن الصدمات الدينية.

استطاعت حلب في عام الثقافة الإسلامية أن تقول للعالم أن كل ما يمتّ للثقافة الإسلامية هو مساهم في صنعها ولو كان صانعه مسيحياً أو علمانياً، لذلك تذكرون أنه من جملة الفعاليات التي دخلت في حلب

عاصمة الثقافة الإسلامية ندوة (مار أفرام.. شاعر لأيامنا)، وكانت هناك ندوات ومحاضرات أخرى في مجالات واسعة.

فكانت الثقافة الإسلامية حاضرة لتستوعب هذه الثقافات، ولتقول لكل أبناء الدنيا: أنا لست حكراً على المسلمين، فالذي بنى الثقافة الإسلامية غير الذي بنى الشريعة الإسلامية، الشريعة الإسلامية بناها علماء الدين، أما الثقافة الإسلامية فبناها كل أبناء الإنسانية، وهذه الميزة هي التي تخرجنا من لعبة الصدام الحضاري أو الصدام الطائفي، وهذا ما قاله السيد الرئيس منذ أيام في لقائه مع إحدى القنوات الإيرانية، يوم سأله ذلك المراسل: "سيادة الرئيس بشار الأسد: أنت قومي، فكيف تتلاءم في التقارب مع إيران التي تحكمها إيديولوجيا إسلامية؟" فابتسم وقال: "وما التناقض أن أكون مسلماً بعقيدتي، عربياً في قوميّتي، وطنياً في سوريّتي؟ فسورية وطني، والعرب قومي، والإسلام ديني.. ما التناقض بينها؟"

لذلك استطاعت حلب من خلال هذا التوجه أن تقول في عام احتفاليّتها: نحن كنا نمشي إلى العالمية، نحن عالميون، ولكننا ضد العولمة، فبينما العولمة هي سحق الآخر، فإن العالمية هي الشراكة مع الآخر، لذلك استطاعت اللجنة من خلال الأستاذ أبي الحسن والسيد محافظ حلب ووزير الثقافة، استطاعت أن تستقطب في هذا العام ندوات لم تحدث في أي عاصمة عربية أو إسلامية أخرى. وقال بعض وزراء

الثقافة: "لقد أتعبتمونا أنتم في حلب!" مع إصراري أنه كان هناك نوع من الضعف في إعطاء هذه الندوات القوى المادية اللازمة، ولكن استطاع أبناء حلب واستطاعت الحكومة أن توفر ما تستطيع لإنجاحها، وكانت نسبة التطوع في ذلك في المائة خمسين تقريباً، كان تطوعاً من أبناء حلب في رفق هذا الجانب الثقافي الإنساني.

حقيقةً.. إن الترميم هو الحفاظ على ثروتنا الفكرية والثقافية مما صنعه الأجداد، والأمة التي لا تحفظ تراثها لا تحفظ مستقبلها، كما قلت عن القراءة في الكتاب المكون (الكون)، فها أنا أنظر إلى المسجد الأموي في دمشق وأرى كيف أن السيد الرئيس حافظ الأسد رحمه الله قد اهتم بترميمه اهتماماً خاصاً حتى عاد درة بين الدرر، ثم توجه إلى المسجد الأموي في حلب وتوفي قبل أن يتم ترميمه، وأصر السيد الرئيس بشار الأسد على إتمامه، وكان في اللجنة الأخ العزيز أبو حسن الذي كان يتابعها ليلاً ونهاراً، وكنت أشعر بهذه المتابعة، فكانت المتابعة ليست للمسجد الأموي، إنما لكل ما ترك أجدادنا من تراث.. كما قد تم ترميم جوامع أخرى، أحدها أقدم من الجامع الأموي، وهو الشعبية عند باب إنطاكية.

فلو تساءلنا: ما المقصود بالجهد الذي بُذل في ترميم المدارس والمساجد والخانات؟ فإن المقصود هو أن هذه المناطق قد صنعت ثقافة الإنسان الحلبي بكل أطيافه، فكان في هذه المدارس المسلم والمسيحي واليهودي

والعلماني، وكان فيها العربي والفارسي والتركي والكردي والتركماني، هذه المدارس أنتجت الشعب السوري، انتقلوا من المدرسة الثقافية إلى المسجد الروحي. فهناك عندنا ثقافة فكرية وعندنا طاقة روحية، الطاقة الروحية في المساجد، لكن أرادوا أن يقولوا: انظروا إلى إتقان أجدادكم في مساجدهم، فقد كانوا يحاولون أن يجعلوا من المسجد واحة روحية، هي ليست فقط واحة رفاهية أو إهمار جمالي، فقد كانوا يحاولون أن يدرسوا الصوت والضوء والهدوء والسكينة والخضرة في بنائهم، فكأنهم يقولون: إذا أردتم أن تبنوا في مستقبلكم فأقرؤوا السكينة الروحية التي تركها أجدادكم في أبنيتهم، لذلك نرى اليوم أن بعض الدور العربية في دمشق وحلب بدأت تأخذ دوراً كمطاعم وفنادق، لأن النوم في الدار العربية صحيّ نفسياً وروحياً وأخلاقياً وقيماً.

فهذه القضية -قضية ترميم التراث- ليست كما يظن بعضهم أنها مرحلة نسميها "الطفرة"، كلاً.. نحن اليوم في يقظة، لأن العالم كله اليوم يبحث عن جذوره، وقيام دولة دينية في المنطقة على أساس تاريخي كما يدعي بنو إسرائيل يجبرنا أن نقول أنهم يكذبون، وإذا بحثنا في التاريخ فلا نجد لهم جذوراً في المنطقة أبداً، فعودتنا إلى الجذور هي قراءة للسياسة والقيم والثقافة في المستقبل.

وهذا ما نكتشفه من خلال كل ترميم نقوم به، فالترميمات التي قامت بها اللجنة التي أشرفت على الجامع الأموي ولجنة حلب عاصمة للثقافة

الإسلامية، فوجئت بقراءات جديدة من خلال هذا الترميم، فوجدنا أرضيات مطمورة على بعد أمتار من الأرضيات الأخرى، ووجدنا أن تحت قلعة حلب قلعة أخرى.

وهذه المكتشفات تقول لأبنائنا: أن أجدادكم صنعوا هذا بثقافتهم وقيمهم وأفكارهم وحضارتهم، فليس المطلوب منكم المحافظة عليه فقط، وإنما تطويره، فقد تركوا لكم كنوزاً الغرب يأتي إليكم ويدفع أموالاً ليرى كنوز أجدادكم، فماذا سيرى أبنائكم؟ وماذا سيرى من سيأتي بعدكم من آثاركم؟

أيها الأبناء.. أعتقد أن هذه هي المدرسة التي أراد الأستاذ محمد قجة - من خلال إدارته لفعاليات حلب عاصمة للثقافة الإسلامية، وكرييس اللجنة الثقافية فيها- أن يؤسسها، وهذه هي الرسالة التي أراد أن يرسلها.

وأود أن أختتم أن الأستاذ محمد حتى هذه اللحظة -وقد غاص في التراث وفي الثقافة وفي الفكر- لكنه لا يزال يملك مدرسة أطفال يبني فيها جيل المستقبل، وهذه ظاهرة عجيبة، أنه لم يتخل عن هؤلاء الذين يريد أن ينيهم للمستقبل، وهكذا أستطيع أن أستوعب في الحديث عنه كلمات موسوعة إنسانية ثقافية فكرية..

هنيئاً لسورية ولحلب بعامها الذي مضى وباستمراره، وهنيئاً لنا رجالاتها
الذين يبنون دائماً للمستقبل ويعلمون الأبناء كيف يحافظون أيضاً على
الجدور،

حلب وسورية هي الأرض المباركة التي رعتها السماء، والتي قال عنها
سيد الأنبياء: أخبرني جبريل أن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها على بلاد
الشام..

فيا أبناء بلاد الشام.. حافظوا عليها، فهي الأمن والأمان حين ضياع
الناس، وهي الخير والبركة حينما يجوع الناس، وهذا ما رأيناه يوم
استقبلنا أبناء لبنان واستقبلنا أبناء العراق، فكانت بلادنا هي الأمن
والأمان.

شكراً لكم.. وكل عام وأنتم بخير.. ومبارك لأبي الحسن.. ومبارك
لحلب بأبي حسن.

كلمة محافظ حلب



الدكتور المهندس تامر الحجة

أيها الضيوف الأعزاء..

أيها السيدات أيها السادة.... أيها الحضور الكريم

تغمرنا مشاعر الإعجاب والتقدير، ويزدهي المكان ... ويفيض بهجة وسعادة وقد تألقت رحابه بمواكب الإبداع والعطاء وارتقت سدة التكريم، وأي مُكْرَمٍ أعزُّ من إنسانٍ يحمل عقلاً مُبدعاً وفكراً منيراً وكلمةً تنبض بالحياة وتحمل صدقَ الواقع وتختزلُ في معانيها ومدلولاتها ما تضمُّه صفحات.

أيها الحضور الكريم:

إن هذه الندوة النقدية التكريمية التي تقيمها وزارة الثقافة للمبدع السيد محمد قجة تأتي تجسيداً لمبدأ عزّزه السيد الرئيس بشار الأسد في حياتنا فهجاً ثابتاً في العمل الوطني، حيث أغدق سيادته من فيض مكرماته ومنح عدداً كبيراً من الأدباء والمبدعين مختلف الاستحقاقات تقديراً لإبداعاتهم المتميزة في مختلف المجالات.

ومن هذا المنطلق فإن هذا التكريم يعتبر تقليداً ميموناً، ويشكل حافزاً متجدداً إلى متابعة مسيرة البذل والعطاء. فالأديب المبدع (محمد قجة) يُعتبر واحداً من رجالات الفكر في محافظة حلب، والأدباء الذين أبدعوا وأدّوا رسالتهم ودورهم الوطني والثقافي والإنساني والاجتماعي، ورفدوا الأدب والثقافة بمختلف ألوانها بروافد عديدة أصيلة تعزّز المسار إلى بحيرة الفكر المتجدد، وتصوغ قلائد متميزة من الإبداع الفكري.

أيها الحضور الكريم:

إن وقفةً متأنية نسلط فيها الضوء على بيارد عطاءات أدينا المكرّم وشواطئ الإبداع التي ارتادها تؤكد مساهماته الغنية وإبداعاته في مختلف مجالات الأعمال الأدبية والتراثية.

فقد تولى الأديب المكرّم السيد محمد قجة مهام رئاسة جمعية العاديات منذ عام 1994، وإدارة الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، إضافة إلى توليه مهمة المستشار الثقافي لمحافظة حلب.

وأسهّم من خلال موقعه مديراً للأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، في طباعة العديد من الكتب وإقامة الكثير من الندوات والمحاضرات والمعارض والحفلات والمهرجانات المحلية والدولية، إلى جانب إنجاز العديد من الإصدارات والمطبوعات ومراجعات الترجمة والدراسات النقدية والتحليلية.

كما أسهم في رفد الدوريات المحلية والعربية والأجنبية بالعديد من الدراسات التي تتناول قضايا تاريخية وأدبية وأثرية. وتقديراً لمكانته المرموقة فقد تولى الأديب المكرم عضوية الكثير من اللجان التقييمية وكان له الفضل في اكتشاف موقع بيت المتنبي في حلب الذي تم تحويله إلى متحف ويجري العمل حالياً على تفريغه استعداداً للبدء بأعمال الترميم.

وفي الختام نكرر ترحيبنا بكم جميعاً ونتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتور رياض نعلان آغا -وزير الثقافة- على تفضله برعاية هذه الندوة النقدية التكميلية للمبدع السيد محمد قجة. كما نشكر كل من أسهم في الإعداد والتحضير والمشاركة لإقامة هذه الندوة التي جاءت قلادة ورد مفعمة بعبق الوفاء. ونتوجه بالتهنئة والتحية والتقدير إلى مبدعنا المكرم السيد محمد قجة متمنين له دوام التقدير والعطاء.

كلمة جامعة حلب



الأستاذ الدكتور محمد نزار عقيل

رئيس جامعة حلب



ألقاها نيابة عنه الأستاذ الدكتور عابد يكن

نائب رئيس جامعة حلب

يسرني أن أشارك اليوم في تكريم الأستاذ والباحث الفاضل محمد قجة، ممثلاً للأستاذ الدكتور محمد نزار عقيل رئيس جامعة حلب، الذي كلفني قبل سفره في مهمة رسمية بهذه المناسبة الهامة، التي نحتفل من خلالها بتكريم مثقف قدير ترك بصماته على الأجيال ودروب الحياة، وساهم من خلال مسيرته التربوية والفكرية والبحثية -وطيناً وإقليمياً ودولياً- في ترسيخ جذور عطاءٍ نستمد من نسغه القدرة على الاستمرار والبناء المستقل.

وعندما يكرم الوطن المفكرين والمثقفين ويتزهم منزلتهم التي يستحقونها، ويوئهم المكانة التي تليق بهم، فإنما يقوم بذلك براً بهم وعرفاناً بفضلهم وتقديراً لجهودهم وتضحياتهم في سبيل إعلاء شأن الوطن ورقية الحضاري.

إن جامعة حلب التي تأسست قبل خمسين عاماً، ونهضت على العلم والأخلاق والقيم والمبادئ السامية .. تُعبرُ اليوم عن وفائها لأستاذ جليل وعَلَمٍ من أعلام الفكر والعمل الثقافي والاجتماعي, وتؤكد تقدير الجامعة لجهوده التي بذلها في خدمة التاريخ والتراث وبناء الأجيال معرفياً ووجدانياً, وتجدد اعتزازها بالأثر الطيب الذي نسجه في تاريخ هذه المدينة العريقة, وجعله يستحق بمجدارة أن يكون القدوة والأنموذج في الأخلاق والثقافة, والقامة الشاخنة في المجتمع والحياة الثقافية للمدينة التي أحب وأخلص مدينة "حلب الشهباء".

إن تكريم الأستاذ الفاضل محمد قجة هو تكريم للعطاء ولكل الباحثين وتحفيزاً لكل المشتغلين بالفكر والدراسات التاريخية والتراثية يدفعهم للمزيد من الأداء والعطاء, وهو في ذات الوقت تكريمٌ للمعاني النبيلة التي غدت منهجاً سليماً وسلوكاً طيباً لتلك النخبة من أبناء هذا الوطن الذين أعطوا بلا حدود وقدسوا العمل والعلم وأخلصوا لقيم الأمانة البحثية والتاريخية.

وبكل تأكيد فإن هذا التكريم يحمل إلينا شمم وكبرياء الوطن وقائده سيادة الرئيس بشار الأسد الذي أولى العلم والمعرفة رعاية خاصة, ودعا إلى الأخذ بناصية الفكر والعمل على توفير متطلبات التنمية والتقدم والتطلع للمستقبل بثقة واقتدار.

أيها الحفل الكريم

حرص الأستاذ قجة على علاقة تفاعلية وثيقة بين جامعة حلب وجمعية العاديات منذ انتخاب رئيساً لمجلس إدارتها عام 1994, فأثمرت عن تنظيم عشرات الندوات والمؤتمرات بشكل مشترك كان آخرها ندوة الشاعر عمر أبو ريشة -الأسبوع الماضي-

كما يشارك الأستاذ قجة في أعمال الندوة العالمية التاسعة لتاريخ العلوم عند العرب التي سيقمها معهد التراث العلمي في جامعة دمشق خلال الفترة ما بين 28-30 تشرين الأول ضمن فعاليات احتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية, يضاف إلى كل ذلك رئاسة الأستاذ قجة لهيئة تحرير الكتاب السنوي الحکم "عاديات حلب" الذي تصدره جمعية العاديات بالتعاون مع جامعة حلب.

كما كان لجهوده الكبيرة التي بذلها كمدير للأمانة العامة لحلب عاصمة الثقافة الإسلامية الأثر الكبير في إنجاح هذه الاحتفالية. كذلك أسهم الأستاذ قجة في تمكين علاقة حلب مع الكثير من المثقفين والمؤسسات التاريخية والثقافية والتراثية داخل سورية وخارجها, وإبراز مراحل مختلفة من تاريخ حلب وتوضيح دورها الكبير في ترسيخ الحوار بين الثقافات والحضارات.

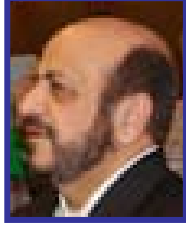
ولا يمكن أن ننسى دوره قي المؤسسة التربوية وإدارته الناجحة لأقدم مدارسها الثانوية " ثانوية المأمون" والذكريات العطرة التي تركها في وجدان زملائه المدرسين والطلاب.

لقد كان الختفى به ومازال أحد أهم رجالات العلم والفكر في حلب، وأحد أهم الأساتذة الأعلام في ميدان العلوم الأدبية والتاريخية والتراثية الذين وهبوا فكرهم وحياتهم الوظيفية والعامة لمجتمعهم، ومثلوا أوطانهم خير تمثيل في المحافل العربية والدولية.

السيدات والسادة...

إن جامعة حلب إذ تعبر لابن حلب البار الأستاذ محمد قجة عن اعتزازها به وتقديرها له، لتتمنى له دوام الصحة والاستمرار في العطاء والبذل الثقافي والفكري المتميز، وتؤكد له أنه سيقى في وجدان أحبائه في حلب على الدوام علماً من أعلامها البارزين الذي ساهموا في بنائها وتطويرها.

وتقديرًا للدور المبدع الذي قام به الأستاذ محمد فإن جامعة حلب تتشرف بأن تقدم له درع العيد الذهبي لتأسيس الجامعة.



كلمة دار الإفتاء بحلب

الشيخ الدكتور محمود عكام

مفتي حلب

في كل ندوة، الأستاذ الكبير محمد قجة يعطي، وفي هذه الندوة سنعطيه وأظن أن عطاءك أكثر من عطائنا، لكن حسبنا أننا نعطي. لعل بعضنا يسأل عن مثل هذا التكريم، أقول أن غاية مثل هذا التكريم أمران:

الأمر الأول: نسبة الفضل إلى أهله والله عز وجل قال "ولا تنسوا الفضل بينكم" والله عز وجل قال "ولا تبخسوا الناس أشياءهم". والرسول محمد صلى الله عليه وسلم قال: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

الأمر الثاني: غاية تعزيز التطوع في نفوس الناشئة.. في نفوس الجيل.. التطوع إلى العلم والمعرفة رداءً وأسلوباً وأساساً وركناً للحضارة. من أراد الحضارة فبإها العلم ومن ابتغى الحضارة فسيبيلها العلم ومن حرص على الحضارة فمسربها أيضاً العلم "ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة".

وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض ليصلون على معلم الناس الخير، هذه الغاية بشعبيتها أذكر بعدها أيها الأحبة يا أبناء حلب ويا ضيوف حلب أنه قد جرت عادتنا أن نؤبن من مات، وقلّت عادتنا أن نكرم من هو عائش ومن هو على قيد الحياة، وحسنًا ما فعلت وزارة الثقافة عندما كرمت حياً وعائشاً وأظنه سيبقى حياً وعائشاً، فقديمًا قالوا كم من عائشٍ ميت وكم من ميتٍ عائش، "سنكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین"، لذلك أشكر لأصحاب الفكرة فكرتهم وآمل أن تتابع التكريمات لرجالنا، وما أكثرهم في هذه البلدة الطيبة المعطاءة. آمل أن تتابع التكريمات، فإننا من خلال هذه التكريمات نتعرف على بعضنا ويعرف الصغير الكبير ويرحم الكبير الصغير، وكما تفضل الدكتور فايز استناداً إلى الآية القرآنية "لتعارفوا" سنتعارف من خلال هذه التكريمات.

أيها الأستاذ الفاضل الكبير.. سأحكي بعضاً عما رسمته عنك في ذهني وهذا من منطلق المدرسة الانطباعية، وقديما قال شاعرنا الرواس : رسمتك يا حبيبي في خيالي.. يعني وهو أيضاً الشاعر يرسم، والمتكلم يرسم، ولذلك سأحكي لكم بعض هذه اللوحة التي رسمتها عن الأستاذ محمد قجة..

سأتحدث عن ملامح هذه اللوحة، سأحدث عن أربعة أمور: عن الإداري، والباحث، والإنسان، والحلبي، وسأذكر أركان كل من هذه الصفات، وأعتقد أنكم جميعكم توافقوني على أن الأستاذ محمد قجة قد استوفى أركان هذه الصفات.

إذا كانت الإدارة حزمًا وحكمة، فالأستاذ محمد قجة كان في إدارته حازمًا وحكيمًا. وإذا كان البحث يعتمد على التوثيق والتحقيق فالأستاذ محمد قجة كان موثقًا ومحققًا. وإذا كانت الحلبية كما قال عن نفسه " فأنا العربي الحلبي"، إذا كانت الحلبية -وأعني الوطنية- تعني الوفاء والولاء -والوفاء يفرز معرفة، والولاء يفرز عطاء، وقد كان الأستاذ محمد قجة صاحب وفاء بل كان الوفاء لحلب وكان الولاء لحلب، وأفرز وفاءه معرفةً بحلب فهو الأعرف بهذه المدينة، وهو الذي حاول جاهداً وبذل ما في وسعه من أجل أن يتعرف على مدينته، ومن أجل أن يُعرف بمدينته ثم بعد ذلك دفعه ولاؤه لحلب لأن يعطي وقد أعطى الكثير.

لا أريد أن أتحدث عن عطائه لحلب ولا عن معرفته بحلب فهذا ما سيبحثه الباحثون في الجلسات القادمة.

أما الإنسان في رأيي أيها الأحبة، فالإنسان هو الإحسان.. إن نظرنا إلى الإنسان ففي الإنسان نون النشء وفي الإحسان حاء الحياة، وإن

استبدلنا بنون النشء حاء الحياة فالإنسان هو الإحسان. وإذا ما طلبتم تعريفاً عن الإحسان فالإنسان الذي هو الأستاذ محمد قجة.. الإحسان كما أراه أيها الأحبة -أعود فأؤكد لأنني أريد أن أسمع- أستاذنا محمد قجة، الإنسان هو الإحسان الإنسان فيه نون النشء والإحسان فيه حاء الحياء ولقد استبدلنا بنون النشء حاء الحياة فصار بين الإنسان والإحسان جناس (كما يقال جناس ناقص).

إذا أردت أن تتعرف على الإنسان، ومن أجل أن تعطي هذا الذي أمامك صفة الإنسان انظر إحسانه، فإن كان محسناً فهو إنسان وإن لم يكن محسناً فليس بإنسان، والإحسان هو بكل بساطه هو أسلوب أمثل في أداء ما يجب عليك أدائه بدافع الحب، الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأنت يا أستاذ محمد فعلاً كنت محسناً في عملك أتقنت عملك، إن الله كتب الإحسان على كل شيء ولذلك تلمست في إحسانك إنسانيتك فأنت إنسان محسن وأنت محسن إنسان.

الأستاذ الفاضل..

في النهاية أنت الآن تجربة وتجربة غنية.. وأسأل الله عز وجل أن تتابع هذه التجربة عطاؤها وأن تبقى مستمرة في حيويتها، ودائماً وبكل اقتدار نتمنى ونسأل الله لمكرمنا الأستاذ محمد قجة العمر المديد.

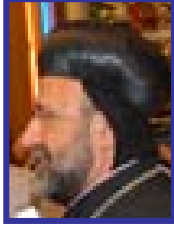
هذا الإنسان الذي يكرم في حياته تجربة، وسيتحول بعد غياب شخصه عن مسرح الحياة إلى قيمة، ترى هل نستعد جميعنا من أجل أن نتفحص أنفسنا ونرى فيما إذا كنا نعيش تجربة غنية لنغدو بعد ذلك قيمة؟ قيمة تلهم من أراد السير في هذه الحياة ليصل إلى رضا، إلى حضارة، إلى حسن فعل، إلى حسن عمل.

أشكرك أيها الأستاذ الفاضل.. وأسأل الله عز وجل أن يحفظ بلادنا وأن يحفظ هذه الأرض التي ترعانا والتي نحبها وتحبنا.. وأن يحفظ بشكل خاص حلب الشهباء التي أعطتنا الكثير والتي قدمت لنا الكثير.

شكراً لك يا مدينتنا يا حلب.. لقد أعطيتنا محمد قجة.. وأعطيتنا من قبل الكثير الكثير، والكبير الكبير،

"سنكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في كتاب مبين".

كلمة رئيس طائفة السريان الأرثوذكس بحلب



المطران يوحنا إبراهيم

بداية.. من الواجب أن نقدم كل الشكر لصاحب إحياء هذه الندوة النقدية التكريمية، للباحث والمبدع محمد قجة. إن أمة تعرف مكانة رجالها، وتثمن دورهم، وخدماتهم، وأعمالهم، وعطاءاتهم، تبقى حية ليس فقط في ذاكرة التاريخ، وإنما لأجيال قادمة، لأن عمادها مرتكز على عطاءات رجالها، فهنيئاً لأمة يُقدر المسؤولون فيها أعمال المبدعين وهنيئاً للمبدع والباحث الذي تقدم له في حياته زهرة من بستان العرفان بالجميل. معالي وزير الثقافة الدكتور رياض نعسان آغا

أيها الحضور...

ندوتنا النقدية التكريمية في هذا المساء ليست ندوة عادية، إنما أمام جملة مواضيع لها مساس بالمكرم، فبادئ ذي بدء السيد محافظ حلب الدكتور المهندس تامر الحجة يشهد بأن برامج احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية كانت من المهمات الصعبة التي تلقي على عاتق مسؤول، خاصة إذا كان للمسؤول بعد نظرٍ في المعاني الكامنة وراء هذه الاحتفالية. فهذا الكم الهائل من النشاطات التي نفذت خلال عام

كامل, كان يحتاج إلى جهد كبير مقرون بالمشاورة والجدية, والعمل المتواصل, مع فكر واسع, وأخيراً يحتاج إلى رجالات تتصف بالصبر والتحمل, لأن نتائج كل احتفالية لا يعلمها إلا الله وحده, وأثبتت الأيام بأن احتفالية حلب تألقت بالنتائج الذي تركته أمانةً في أعناق الحلبيين, ليدون بطريقة علمية ويوضع في أياد أمانة منها: مراكز الأرشيف, والمكتبات العامة والخاصة, ثم لكل مسؤول يريد أن يقيم العمل أو يقومه مستقبلاً.

المحور الأول: العلاقات بين المسلمين والمسيحيين

كنت قبل عشرة أيام أحضر ندوة هامة جداً, عقدت في واحدة من أعرق جامعات العالم وهي جامعة كمبردج في انكلترا, ودار الحديث بين شخصيات فكرية ودينية أتت من كل العالم حول وثيقة وقع عليها 138 من علماء وقادة دينيين ومن كل العالم بعنوان (كلمة سواء بيننا وبينهم) هذه الوثيقة أكدت على أنه لا يمكن أن يكون هناك سلام مجد في العالم من دون إحلال السلام والعدالة بين أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية.

فمستقبل العالم يعتمد على السلام بين المسلمين والمسيحيين. وتعليل هذا الكلام هو أن الأساس الذي يبنى عليه السلام والتفاهم موجود أصلاً, وهو جزء من صميم المبادئ التأسيسية للديانتين, أي حب الإله الواحد

الأحد, وحب الجار, كما جاء في القرآن الكريم: قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم (آل عمران 3:64), وكما ورد في الإنجيل المقدس أن كل الوصاية: أن تحب الرب إلهك من كل قلبك.. وقريبك كنفسك (إنجيل مرقس 29:12).

لقد تعنى العالم بهذه الوثيقة لأنها تدعو لتكون محبة الله ومحبة القريب أو الجار هي الأساس في العلاقة. نحن في سورية برهننا للعالم بأن هاتين الوصيتين ممارستان فطرياً في حياتنا عندما كنت أتابع محاور النقاش حول كلمة سواء بيننا وبينكم,

تذكرت شخصيتين في دمشق المدينة والعاصمة التي تتألق اليوم كعاصمة للثقافة العربية:

الأول: المناضل الكبير عبد القادر الجزائري، صاحب العاصمة المتقلة التي سماها الزمالة, وكان عدد سكانها 200000 نسمة, مدينة كلها من الخيام, هذا المناضل الكبير القادم من جزائر المليون شهيد عندما جاء إلى دمشق سجل صفحة ممجدة في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين, فهو الذي أثناء إقامته في دمشق منع اشتعال فتنة طائفية امتدت إليها من لبنان عام 1860م ففتح بيته وبيوت أفراد أسرته وبعض جيرانه لإقامة النصارى الذين يخشون الاعتداء عليهم, وجاء في مصادر التاريخ المعاصر لتلك الأحداث أنه عندما ازداد عدد الملتجئين إليه وضع يده

على قلعة دمشق, حيث آوى إليه الآلاف من أولئك النصارى, يقال أن عددهم زاد على 15000 نسمة, بينهم قناصلة الدول الأوربية, وأفراد أسرهم الذين استنجدوا بالأمير.

أما الثاني: فقد عرفته سورية مقاتلاً ومناضلاً قومياً وفكرياً وعضواً مهماً في حركة تحرير سورية وأحد أركان النهضة العلمية فيها, ثم مدافعاً ومحامياً عن حقوقها في المحافل الدولية, وعضواً بارزاً فعالاً في أول حكومة عربية في سورية, ثم في الثانية والثالثة والأخيرة, إنه فارس الخوري الذي أصبح أستاذاً في معهد الحقوق, وكان أول نقيب للمحامين في سورية وترأس حكومتها أيضاً, هو صاحب القول الشهير: إن المسيحيين في سورية لن يقبلوا حماية فرنسا, لأنهم في حماية إخوانهم المسلمين.

إن احتفالية حلب عاصمة الثقافة أكدت في لجاتها المتعددة ونشاطاتها المتنوعة, خاصة الندوات المكثفة, ومحاضراتها المميزة, بأنها كانت مع هذا الخط الوطني الواعي والداعي إلى الإخاء الديني واللحمة الوطنية, فكما كرمت هذه الاحتفالية المتنبى والكواكبي, والسهروردي, وابن العربي, والفارابي, هكذا نرى من تحدث في لهجة حلب السريانية, والموسيقى الأرمنية, وقسطاكي حمصي, والمسيحية والإسلام في عصر النهضة, وحلبيون ومسيحيون في المهاجر العربية, وغيرها من المواضيع التي كتب فيها باحثون مسلمون ومسيحيون. هذه دلالة على أن احتفالية حلب

جعلت إحدى مرتكزاتها الوحدة الوطنية والعيش المشترك بين أبناء الديانات والمذاهب والتيارات والاثنيات.

وفي هذا السياق صدر عن المبدع محمد قجة قول مفاده: أن الانتماء بالأساس انتماء ثقافي وليس جغرافياً أو متعلقاً بالأواصر الدموية، وأشار بأن: العرب في السابق كانوا يؤكدون على انتمائهم إلى الحضارة الإسلامية غير قاصدين بذلك أي تمييز فيما بينهم، وأنهم هيمنوا على العالم مدة ألف سنة، تحت لواء احترام الديانات الأخرى، فلم يطبقوا سياسة إقصاء الطرف الأخر، أو إجبار السكان الأصليين على تغيير دياناتهم، بل على العكس هموا الأقليات التي عاشت في سلام وأمان.

الخور الثاني: تاريخ وثقافة حلب

لقد فاضت شهرة حلب في التاريخ، فهي أقدم مدينة مأهولة في الدنيا، وعرفت حلب عبر تاريخها الطويل شعوباً وأماً كثيرة بدءاً من الحثيين، والأراميين، والآشوريين، مروراً باليونانيين.

أما بعد الفتح العربي فهناك صفحة جديدة من تاريخ المدينة، فلقد جرى العرب المسلمون على مألوف عادتهم فأمنوا أهل حلب على حياتهم وكنائسهم ومنازلهم. واحتفظ المسيحيون بخمس كنائس إلى أن احتل

الفرنجية بلادنا, ودارت الأيام فعرفت حلب غزاة جاؤوها من هنا وهناك, ولكنها قاومت وصمدت, وبرزت فيها صفحات ناصعة تجملت بالأدب والطرب والفكر والفن وغيرها من أبواب الثقافة.

واختيار حلب عاصمة للثقافة الإسلامية كان لإعادة مكانتها حاضراً, كما في الماضي, ولقد وقفت حلب برجالها لتبرهن بأنها مازالت مؤهلة لتعيد إلى الأذهان مكانة حلب تاريخاً وعمارة وأدباً وفناً كما كانت في بلاط سيف الدولة, وغيرها من المراحل التاريخية التي مرت عليها, وهذا يظهر من خلال البرامج الكثيرة التي خطط لها بدقة ونفذت بجهود المفكرين والعاملين النشطين من مسؤولين, وأدباء وعلماء, وباحثين, ومبدعين, واشتركت كل الفعاليات والمؤسسات وعلى رأسها جامعة حلب هذا الصرح العلمي الذي أصبح منارة يهتدي بواسطتها طلاب العلم, ليس فقط من حلب بل ومن أقطار عربية وغيرها.

إذاً توفقت حلب في احتفالياتها لأنها استقطبت رجالها واعتمدت على مفكرين, واستعانت بالكفاءات والخبرة لتجعل من كل برامجها موفقة وناجحة, ولتعيد الدور الفكري إلى حياة سكانها.

المحور الثالث والأخير: محمد قجة

هو كلمة في من تكرمه حلب اليوم بهذه الندوة النقدية التكريمية:
الباحث والمبدع محمد قجة.

عرفته أولاً طالب علم، وعندما تخطى الخمسين من عمره لم يتوان في تعلم لغة سورية القديمة -اللغة السريانية-، دخل دورة كان مجتهداً فيها يريد أن يتعرف على فكر شقيق اللغة العربية، فاستفاد وأفاد.
وعرفته محاضراً لامعاً، ومتحدثاً لبقاً، وكاتباً أديباً في الإعلام، والصحافة، والثقافة، والتعليم، والموسيقى، في ندوات وصلات كثيرة، وأخيراً رئيساً لمجلس إدارة جمعية العاديات السورية منذ عام 1994 التي ازدادت نشاطاً بمهته العالية وعلاقاته الواسعة وخاصة بصفته المدير المسؤول، ورئيس تحرير مجلة العاديات.

وأخيراً اختياره كأمين عام لاحتفالية حلب، كان موفقاً في خدمته، لأنه سخر كل مؤهلاته ومواهبه وعلمه الواسع وخبراته وعلاقاته مع كل الأطياف والشرائح، خاصة الأدباء والشعراء والعلماء وعدد كبير من الباحثين والمبدعين والكتاب والمؤرخين، في سبيل نجاح كل برامج ونشاطات الاحتفالية. والكل يشهد بأن دوره كان مميزاً، وعمله كان مضمياً، وخدماته الجليلة والكثيرة كلها سجلت صفحة جديدة ناصعة في سجل عطاءات حياته.

إن قائدنا الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الأكرم الذي واكب مسيرة الاحتفالية ووجه ان يكرم المبدعون, يفرح اليوم لأن واحداً من أبناء الوطن يُكرم وهذا حافز جديد لكل مبدع وباحث في سورية.

الصديق العزيز أبو حسن...

هذه الندوة النقدية التكريمية برعاية السيد وزير الثقافة, وعلى مسرح مديرية الثقافة في حلب, وبحضور السادة المسؤولين في السلطة والحزب والأصدقاء والمحبين هي بمثابة كلمة شكر لك ولعائلتك العزيزة, وأما كلمة نابغة من قلب كل من عرفك من الحاضرين والغائبين بل هي وسام يعلق على صدرك اليوم.
أرجو أن تبقى الزهرة فواحة دائماً في مسيرة عطاءاتك.



كلمة أسرة المكرم

الدكتور حسن قجّة

النجل الأكبر للمكرم

في الحقيقة، إن هذه الكلمة معدة منذ زمن، ولكن في رغبة منا بعنصر المفاجأة للمكرم الوالد فقد قررنا ألا ندرجها في البرنامج وأن نعلنها الآن..

اليوم أنتم موجودون هنا كي تحتفلوا بتكريم من تحبونه وتشعرون أنه أعطى لهذا البلد.

وحلب الخروسة تحتفل اليوم بمن حفظ حجارتهما وتراثها، وحفظ محبة الناس إليها، وعرف مكارمها.

ووزارة الثقافة - في بلدٍ مترع بالثقافة الغنية - أرادت أن تكرم من يدافع عن هذه الثقافة ويقدم إليها.

فكيف بنا نحن - أسرة المكرم - ونحن نعلم أنه اليوم يحظى بهذا التقدير من كل من هم حاضرون، ونحن الذين حظينا أن يكون عميد أسرتنا، وأن يكون أبانا، وأن يكون هو محور حياتنا..

قد تتساءلون أيها السادة: ما الذي يقدمه هذا الرجل المعطاء في داخل بيته، أباً ورب أسرة؟ ربما تكون الأمور خارج المؤلف من عبارات التشجيع على التعلم والصدق والأخلاق الحسنة، والالتزام بما هو إيجابي. لا بد أن يكون الأمر أكثر من ذلك، فلقد تعلمنا طيلة حياتنا في هذا المنزل الذي يرأسه عميده الكبير، أن نحب الوطن ونحب التاريخ، أن نحب حجارة بلدنا ونشيدنا الوطني وعلم بلدنا، حتى بتنا نذرف الدموع دون أن ندري كلما سمعنا نشيدنا الوطني وكلمنا شاهدنا علمنا، في الوقت الذي تتراجع فيه أحاسيس المواطنة لدى البعض من الناس في دول كثيرة، وحتى أحياناً في بلدنا.

إذن، عندما حصلنا على هذا الحب: للتاريخ، للغة، للثقافة، للمعرفة.. فهل يمكن أن يكون ما حصلنا عليه قد ذهب دون جدوى؟ بل إنه لا بد أن يظهر بشكل ما. فنحن نحس بشيء مختلفٍ ونحن نحيا في هذا البيت، نحس بما يعطيه إيانا هذا الأب الإنسان الكبير، من حلم وصبر وهدوء وابتسامة طافحة دائمة، وما يقدمه من طمأنينة تجتمع جنباً إلى جنب مع الهيبة الكبيرة، ونحن نتلقى توفقه إلى الاستماع، فهو يجب أن يستمع دائماً، وحتى لو كان غاضباً بعض الشيء، فإذا قال له أحد: هل لي أن أتحدث؟ فعلى الفور يقول: يجب أن نتحدث فهذا حقك.

انطلق هذا الموضوع من الأسرة، ثم ذهب للحوار مع الآخر، الحوار عبر ضفتي المتوسط، والحوار عبر المحيطات وعبر التاريخ أيضاً، عبر القديم

والحديث، عبر الجغرافيا والتاريخ والسياسة والفكر، والمثقف والعامّة، هو حريص على الحوار ويجب الحوار، ويحترمنا جميعاً إلى درجة أنه لم يدفع يوماً بأحد منا لأن يشكل عقيدة وإيديولوجيا بشكل ما مبنيةً على ما هو يرسمه ويقول لنا: اتبعوه.

ما كنا نراه، هو البيت المليء بالكتب من أول يوم ولدنا فيه، فتحنا أعيننا لنجد أن الكتب والجرائد والمجلات في كل مكان، والاسطوانات الموسيقية الكثيرة: من فيروز ومحمد عبد الوهاب والموشحات الحلبية إلى الموسيقى الكلاسيكية.

كان هذا البيت الذي تزخر جدرانه بلوحات فنية تشكيلية، يجب أن تكون أصلية ويجب أن تعبر عن أصحابها وعن من يقتنونها. كان بيتنا مكسواً بالثقافة، وحتى ضيوفنا، فقد تعودنا أن يكونوا - من داخل البلد ومن خارجها- أولئك الناس الذي يضيفون شيئاً كلما دخلوا إلى ذلك البيت، ولكن ما يضيفونه لي ولأخوتي هو عندما يقولون: "لابد أنك ابن أستاذنا الكبير".. وتعلمون كم هو فخر لنا أن نكون أبناء أستاذنا الكبير.

ولكن كيف كان يعطينا كل هذا؟ كان يحدث من خلال أحاديثه الممتعة عن التاريخ، بعشقه لحديثه عن التاريخ، وعن بيانات تؤكد لنا أشياء يجهلها آخرون، وبالتالي تؤثر على علاقتهم وعلى محبتهم لهذا البلد.

هناك أسلوب سردي جميل وجذاب في حديثه عن الفكر والتاريخ والسياسة والجغرافية والأدب. إلى درجة أني بت أحفظ كتباً من الأدب بالإضافة إلى مقرراتي المدرسية منذ بداية مرحلتي الإعدادية. وكان يخاطبنا في مناسباتنا في طفولتنا بقصائد شعرية منذ ذلك الوقت.

ونحن نعلم كم هي قدراته كبيرة، فقدراته الذهنية العالية التي لا شك أنها بُنيت على المراس والتمرين، وليست فطرية فحسب، مثل ذاكرته الفولاذية، وقدرته الهائلة على الاسترجاع والاستيعاب، بالإضافة إلى القراءة السريعة، ولكن إضافة إلى هذه القدرات الذهنية، فإن لديه تواضعاً وهيبَةً واطمئناناً، وقدرة على الاستماع، ورحابة صدر، ولديه نبل وطيبة لم نعهدها معنا فقط، لكن مع كل من عاملهم وتحدث معهم أمامنا.

أريد أن أشير أن في تاريخ أستاذنا المكرم صفحات من الكفاح، باعتبار أن والده توفي عندما كان عمره عشرين عاماً، وكان لديه تسعة من الأخوة، وكان عليه واجباً أن يقوم مقام أبيهم بكثير من التضحيات، ثم فيما بعد تشجيعهم هم أنفسهم على الدراسة وعلى القراءة وعلى النجاح المهني. وبالإضافة إلى ذلك، كان ذهابه إلى الجزائر ثم إلى السعودية، ثم وجوده هنا، كانت جميعها صفحاتٍ عززت من محبته لبلده ومن رغبته في العطاء.

وماذا بقيَ لنا نحن من وجود محمد قجة في مدارس "المأمون والمعري ومعهد حلب العلمي والحسن بن الهيثم"؟ كثيرون من طلابه في ذلك الحين يقولون لي: إن والدك كان مديراً لي أو مدرساً، ولاشك أن بعضهم يتحدث على سبيل الدعاية بأنه كان قاسياً وربما يكون قد تلقى قصاصاً بشكل ما، ولكن ما يقولونه لنا أنه لم يكن مدرساً يدخل ليعطينا منهجاً ويخرج، كان يعلمنا أن نقرأ، فكلما كان يدخل علينا نخرج من الصف لنهرع إلى المكتبات ونشتري الكتب والمجلات الدورية، وهذا قد بنى فينا كثيراً، ومن لم يكن لديه المقدرة المادية على الشراء كان يستعير الكتب، فهكذا يقول طلابه إلينا.

ما سأختم به، هو أن هذا الرجل اختار في سنوات حياته العشرة الأخيرة أن يقدم هذه الأمة ولهذا التاريخ وهذه الثقافة عن طريق العمل العام والعمل الأهلي، لم يتفرغ لكتابته، التي لو قام بالتفرغ لها لكانت ستطبع بنسخ كثيرة. ولكنه شعر أن الإعلام بحاجة إليه وأن المؤتمرات والمحاضرات بحاجة إليه، والعمل الإداري كذلك بحاجة إليه. فكان عاكفاً على هذا العمل.

وعشقه للتاريخ لم أرَ مثيلاً له في حياتي، فإذا كان أحياناً يشعر بالنعاس أو يشعر أنه سيقوم بعمل ما، فقط جرّب أن تسأله عن يوسف بن تشافين أو عن أسد الدين شيركوه أو عن معبد حدد في القلعة، فسوف

يتحدث باستطراد شديد وباستمتاع شديد، فالحديث عن التاريخ هو متعة حقيقية له.

نحن الآن نشعر أن علينا أن نقول كلمةً نقولها دائماً في غيابه، والآن علينا أن نقولها في حضوره وفي حضوركم جميعاً:

لقد تسنى لنا في وجودنا في أسرة واحدة وبيت واحد مع هذا الرجل العظيم، أن نحصل على أشياء كثيرة، من ضيوفه وكتبه وأحاديثه إلينا، فإذا بنا نمتلك شيئاً بسيطاً مما يمتلكه، من حب البلد ومن الرغبة في الدفاع عن اللغة والثقافة وحب الأمة، فكيف نستطيع أن نقدم إليها؟ ما يمكن أن نقوله، أن ما لدينا الآن هو الرغبة في ذلك والحرص على ذلك، ولكن هل سنتمكن؟ سنحاول، ونحن نحتاج إلى تعاون الجميع لكي نكمل نهجاً بدأه من أفتخر بأنهم ينسبون إليه، عندما يقولون لي: "أبا محمد"، وكم أنا اعترز بأنني "أبا محمد".

وكنتُ قد كتبتُ رسالةً لوالدي قبيل ندوة التكريم، عن رؤيتي لوجوده في حياتي وحياة أسرتنا وفي حياة هذه الأمة وهذا البلد، وكنتُ حريصاً على أن تُرفق هذه الرسالة مع نص كلمة التي ألقيتُ خلال الندوة.

وها هو نص الرسالة:

لن نُعدَّ شموعاً.. فالشمسُ لا تنطفئُ...

كان ينبغي عليك أن تأتي، وأن تلبّي ما أراده منك الكثيرون، كان هذا الزمان بحاجة إليك، كان يفتش عنك، ويعلم أنك موجود، وأن حضورك سيغيّر الكثير، لأن المنتظرين كثر، والمنتظر منك كثير، وأنت سرّ لا يعرف قارئه من أين أتى، ولكنه يعلم أنه يجب التعرف عليه، حتى يعرف سر هذا الزمان.

اجد يُكتب.. ولكنه يكتب أصحابه فقط...

التاريخ يعرفه الكثيرون، ولكن قلائل من يعرفهم التاريخ...

الإنسانية الخالصة تُبتغى، ولكن قلّما تتمثل في أحد..

والعبقريّة صفة للبعض، ولكن هناك من هو نموذج لتلك العبقريّة..

أفلن يفتش عنك الزمان، وهو يعلم أنك من يكتبه الجّد، ويعرفه

التاريخ، وتتمثله الإنسانية، وتُنسب إليه العبقريّة؟!!

يا صاحب الجّد: لئن خلت يوماً أن مسيرة حياتك اليومية المألّى بالتفاصيل الصغيرة التي يعيشها كل مرء، تنأى بك عن تلك الصفات، فها نحن - شهود هذا الزمان - نوّكد لك أنّها أنت، وإن أحبطتْكَ ظروف الحياة أحياناً، فهي لا تنفي عنك ما يراه الدهر بك، وإن خاب ظنك في حاسد أو حاقد، فالأن أفرعك المثمرة أعلى مما يمتد إليه البصر.

يا شامخ المجد: عليك أن تدرك مدى علو أغصانك، تسمو إلى قلب السماء، ترتفع عالياً وبعيداً.. لكي تشعُر الأرضُ أن لديها رسولاً هناك. وعليك أن تعرف مدى انبساط فروعك وجلالها، وكم عيناً تفيأتُ بظلالها، وتنعمتُ بوريف أمانها.. كانت وسيط الشمس.. دفناً، وبريقاً، ضياءً، ودرءاً للهيب. كانت رسول الثريا.. غيثاً، ونسيماً، هواءً شارباً من زهوِّك، وتمدنياً للرياح الراحدة.

وعليك أن تعلم ما مدى طيب ثمارك.. كان هناك من يعرف طعمها وينتظر نضوجها من أكمام زهرك كي يردَّ على اشتياقه، وكان هناك من يسمع عن عذوبة عطاءاتها، فيهرع ليند سَعْباً لحوحاً.. وكان أيضاً من يعرف فقط أن هذا الأريج الشذيّ يجبّي له ما يماثله عَبَقاً. وأن هذا الجذع الصلب لا يحمل إلا ما نفو إليه.

يا شامخ المجد أرجوك تأكد أننا كلنا نستمدّ وقوفنا على التراب السخيّ من تغلغل جذورك الوفيرة تحت هذا التراب، أنت تعرف من أين أتت هذه الجذور، ومن أين كان البذار، ولكن.. انتصابنا جميعاً لتطلع لبهاء سمائنا.. كان رجعاً لرسوخ جذورك تحت أقدامنا... يا للأمان بقربك أيها السر العظيم!

ولِمَ أسمىك سراً؟! هل من يفهم هذا التمازج العجيب؟

هل من يفهم هذه النفس الصافية؟ وكيف احتوت كل هذا النبيل
والطيبة والرغبة في العطاء، وشم أقصى مثالات التواضع...
هل من يفهم هذه العبقرية الفذة؟ حتماً كان مؤلفو علوم الاجتماع
والنفس والطب يبحثون عن نموذج لقدرة ذهنية عبقرية في مجمل
جوانبها، من ذاكرة تنافس المراجع، إلى قدرة على التحليل والمنطق
والحكمة والتركيب يصعب اجتماعها في دماغ واحد. فإذا بلسان
افتقدته الخطابة مؤخراً، وافتقدته قواعد اللغة الشاكية، وافتقدته شفاه
تعودت الابتسامة الرحبية المطمئنة التي تنبئ عنها..

وأين السر في أن تكون سراً؟ هل تعتقد أن نظرات من وجه ملئ
بالرجولة الطافحة يمكن أن تجمع الهيبة والاحترام جنباً إلى جنب مع
الطمأنينة والارتياح والهدوء الذاتي لمن يرى عينيك قبل أن تراه عينك؟!
أليس سراً أن يختصر رجل في عصر لاهت ينكر الجميع، كل أشكال
الخلود وكل صبوات أجيالٍ عاصرتة؟!!

يا عاشق التاريخ: إن التاريخ يعشقك. أجل، وإن أردت شهوداً
ودلائل، فأنصت إلى بوح آلاف الكتب في مكتبك، وانشق عبير
حروفها يتلهف لملاقاة عينيك على السطور...

اسأل غلافات المجلدات القديمة، تلك التي تذيلتُ باسمك كمقتنٍ لها،
اسألها هل تبادل سواك الشعور ذاته وإن تذيلتُ باسمه؟ أنت تتهامس

معها يا سيدي، تحاورها، تغازلها، وتمسك بنواصي فهارسها ومقدماتها
وحواشيها لتسكبها على أروقة العصر، أنت يا سيدي تجرّها عن أيامنا
تماماً كما تجرّك عن أيامها. وأنا على يقين من أحاديث تجري بين
أصدقاء لك دون أن تسمعها، فابن عربي يمسك بديوانه بامتنان إليك
يسأل المتنبّي إن كان قد ساوره الإحساس ذاته وهو يعود ليتذكر بيته
ويتساءل: كيف سيكون تمثالي يا صاحب الجميل؟

وها هو المعري يهمس: لا يمكن لي أن أكون رهيناً لحبسٍ يا أبا بكر طالما
هناك من يجبس العيس ويستضيف شكاة النوب.

والأزمة تتجمع لديك يا أحد أسياد التاريخ، حينما يعانق سيف الدولة
صلاح الدين، ويحكي الأسدي موسوعته للأصفهاني على أنغام الفارابي
وأبيات أبي ريشة.. حينما يناديك "حدد": هل أنا ممن ترعون القلعة
لأجله؟ فيجيبه بيرس: وحتى نحن يا كبير الآلهة، حتى جيوش ابن
تاشفين، ومغنيات يثرب، ومآذن سمرقند، وألواح إييلا وأوغاريت.

إن التاريخ يعشقتك يا عاشق التاريخ، والمستقبل ينظر إليك عموداً من
أعمدة التواصل الزمني.. ويا لكلمة التواصل كم عملت لأجلها..
الثقافة والمجتمع.. الشرق والغرب.. الفكر والسياسة.. الأدب
والإنسان.. أنت والآخر، احترامك لذلك الآخر، وحرصك على فهم

الآخر، وعلى فهمه لنا.. كم عملت لتواصل المثقف بالعامه، والفكرة باليقين، وإيماننا بما نرنو إليه وما نعمل به..

فكيف هم عشاق اليوم يا سيدي؟ من يدينون لك بالكثير!!

تسعة وستون عاماً مضت، وهناك من ينتظر المزيد من الأعوام الطويلة، والعطاءات الطويلة.. إنهم المتفيتون بظلالك الدائمة، تلك الظلال التي بدأت تسمق على جيل بأكمله قبل أربعين عاماً من الآن.. ومن لا يعرف التواريخ الأهم في ثانوية المأمون: 1892، و1967؟!!

ربما أوحى لك كلمة المأمون استيحاء ذكرى دار الحكمة؟ لقد بدأت هذه الدار آنذاك كتاباً ومطبوعات وبطولات رياضية وفناً تشكيليّاً، ومسرحاً وتأليفاً موسيقياً واختراعات علمية.. لكنها تحولت إلى جيل بأكمله حمل البلد على أكتافه ولا يزال يحمله، ولسان حاله يقول: لم يمكن لطلاب هكذا أستاذهم ألا يكونوا ثمراته..

لكن الظلال اتسعت كثيراً حينما أخذت على عاتقها الامتداد إلى جدار الأمة الأخير.. ثقافة هذه الأمة وهويتها، والكل يعلم كم عملت لتحمي ثقافتنا وتجعل أبناءها يرونها ويعرفونها، فكرست عملك ووقتك وجهدك وعلاقاتك للحفاظ على إرث هذه الأمة، فكان اختيارك للعمل على إحياء جمعية العاديات بعد سباتها لتكون قناة تقدم من خلالها ما لديك من معرفة ومن حب وعطاء، وقد كانت "العاديات" بالنسبة إليك أكثر

من مجرد وسيلة لإيصال صوتنا للآخرين عبر حدود بلدنا وفي كافة الأرض، وأكثر من مكان يجتمع فيه من يجنون تراث حضارتهم ويتعرفون عليه عن قرب. فلقد كان إحياء دور جمعية العاديات وإبرازها هدفاً بحد ذاته، فقد أصبحت خلال سنوات ترؤسك لمجلس إدارتها مؤسسة حقيقية محكمة الإدارة، وصرحاً ذائع الصيت على مستوى دولي.

وكانت علاقتك مع الإعلام ومع الجمهور بكل أشكاله: المحاضرات والندوات والمؤتمرات على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، اللقاءات والمقابلات التلفزيونية والإذاعية في محطات وقنوات عربية وعالمية، المقالات واللقاءات الصحفية في عشرات الدوريات والمطبوعات، العضويات في مجالس أمناء مؤسسات دولية وفي لجان تحكيم أكبر الجوائز الفكرية.

ثم كانت احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية قبل عامين، والتي أنظر حلوها في ذلك التوقيت بطريقتين: فقد كان من حسن حظك يا أحد أكبر عشاق حلب وثقافة حلب، أن تأتيك هذه المناسبة لتعبر من خلالها عما تمتلكه من عشق كبير ومن قدرة على ترجمة ذلك العشق إلى عطاء متفاني ونقل للصورة المشرقة التي تنصف ثقافة حلب إلى الآخرين.

ولكن في الوقت ذاته، فقد كان من حسن حظ احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية أن تجد حين حلوها في هذا الوقت من تاريخ حلب،

رجلاً غير اعتيادي بكل المقاييس، رجلاً يقدر الثقافة الإسلامية وتاريخ
أقدم وأعرق مدن الدنيا، تلك المدينة التي يفخر بصورة لا مثيل لها بأنه
أحد أبنائها، وهو ذاته الرجل الذي يمتلك أدوات نادرة من حسن
الإدارة الحكيمة بعد خبرة في المجال الإداري عبر أربعين عاماً، وشبكة
من العلاقات الدولية القوية مع شخصيات لامعة وبارزة، وقدرات
شخصية عالية على المستوى الذهني والسلوكي والأخلاقي، وسمعة طيبة
عطرة على كافة المستويات، وفوق كل ذلك، الرغبة والقدرة على
إنفاق كل وقته لتلك الاحتفالية لدرجة أن يعمل خمس عشرة ساعة في
اليوم الواحد، ودون مقابل مادي..

أولم تكن احتفالية حلب عاصمةً للثقافة الإسلامية محظوظة بوجود هكذا
رجل لدى حلولها في هذا الزمن؟

وارثك العظيم الذي يزخر ثراءً سيتجلى كذلك حين ستشهد الأعمام
القليلة المقبلة إهداءات خطك الجميل على صفحات عشرات الكتب
التي تتوق للخروج من غرفة مكتبك، تماماً كما يتوق إليها كل من
يعشق هذه الأمة، وكل من يقدر الإنسانية.. وكل من يقول لي حينما
يتعرف إلى اسمي: " لا بد أنك ابن أستاذنا الكبير " .. وهل تعرف يا
كبيرنا ما الذي سمعته عنك خلال سبعة وثلاثين عاماً من حياتي؟!!!

ربما لست تسمع ما يقال عنك.. كيف تتصور أن أحس تجاه رجل يؤكد الناس قاطبةً أنه فخر المدينة وفخر الأمة وفخر العصر؟ رجل يتمنى الناس أن يحظوا بسماع محاضرة أو لقاء إذاعي له، ويتلقفون مقالاته الصحفية، ويتباهون أمام آخرين أنهم على معرفة بذلك الرجل العظيم، أو أنهم قد تسنى لهم لقاءه ذات مرة!!

كيف تريدني أن أحس وأنا أدلف متزلاً تعودتُ أن يجتمع فيه كبار المثقفين والأدباء ونخبة شخصيات الأمة، منتظراً لدى كل مصافحة عبارةً تغبطني لأن اسمي "حسن" ولا شرف أكبر من اقتراانه بأهم "أبي حسن" عرفته الشهباء.

كيف تريدني أن أستبدل بيتاً كتبته في قصيدتي إليك ذات يوم حينما قلت: " كيف سأبدأ؟ ماذا أقول؟ " فأنا حقاً بعد صفحات قليلة بثتُ فيها إيماءات لجوزائك، ها أنا أقول : " كيف سأبدأ؟ ماذا أقول؟ "

أبي ومعلمي ومثالي:

لا يمكن لقصيدة كتبتها إليك في كتاب شعري، ولا لخطاب ألقىته مغتبطاً في ندوة تكريمك، ولا لرسالة مطبوعة في قلبي قبل طبعها في هذا الكتاب، وعنوانها " لن نعدّ شموعاً.. فالشمس لا تنطفئ ". لا يمكن لهم

جميعاً أن يبلغوا ما في داخلي من فخر عجيب، ومن احترام وحب
مقدسين، ومن اهتداء لا ينكفي بخطاك.

إن ما حببني إياه، لا يمكن لسواي العثور عليه وإن أنفق عمره، فكيف
أشكو متاعباً في حياتي ولديّ أثنى كنوز الأرض؟
كيف ألوم زماناً قد جعلني "أبا محمد"؟ مستمداً من ذلك الاسم أعقب
سمعة وأنبى إنسانية وأرقى طموح للوصول إلى العبقورية والضرورة رمزاً
للعطاء والنبوغ...

إن الشموع تنطفئ يا والدي، يا أعظم الرجال، ولكننا نريدك شمساً بيننا
طويلاً طويلاً، رغم أن شمسك لن تغيب يوماً عن الدنيا بأسرها، فاجعلنا
شموعاً حولك جميعاً، علنا نصبح في يومٍ سراجاً يحمل بالإضافة إلى تاج
اسمك شعاعاً من شمسك التي لا تنام.

الفصل الثاني:

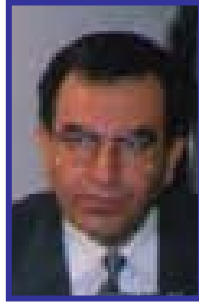
شهادات أصدقاء المكرم

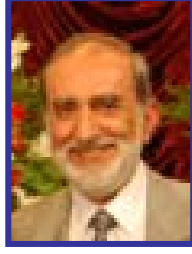
شهادات أصدقاء المكرم

رئيس الجلسة:

أ. د. عيسى العاكوب

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة حلب





كلمة المشاركين

البروفيسور سليم الحسيني

أستاذ في جامعة مانشستر

رئيس مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة.

اسمحوا لي أن أتوجّه بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن المشاركين، بالشكر والامتنان لمعالي الوزير ورفاقه، وأهنتهم على انتقائهم الحكيم واختيارهم الموفق للأستاذ محمد قجة بالتقدير والاعتراف والتكريم، وذلك بإقامة هذه الندوة التي نرجو لها النجاح الكبير.

منّا من أهل حلب، ومنّا من قطع مسافات شاسعة من أرجاء العالم العربي ومن خارجه، وكل له قصة يرويها أو مقالة سيلقيها في هذه الندوة. والجامع المشترك بيننا هو الحبّ والاحترام والإكبار. فاسمحوا لي أن أختصر لكم قصتي التي جاءت بي من مانشستر وآلت بي إلى حلب الشهباء.

عام 1961 وصلتُ إلى المملكة المتحدة طالباً، كي أصبح بعد ذلك أستاذاً بجامعة مانشستر، وسرعانَ ما اكتشفتُ أن الأوروبيين قد أسقطوا من تاريخهم ألفَ سنة سموها "عصور الظلام" عصوراً سادها الجهلُ والتخلفُ المُخجِلُ. لم يكنْ في الأمرِ ما يثيرُ الاستغراب، فطبيعيّ أنْ

يسعى الإنسان إلى إخفاء ضعفه وسلبياته، ولكن مما أثار عجباً حقاً كان سعي الأوروبيين إلى إسقاط الألف سنة هذه من تاريخ البشرية بأكملها! كان ممن لفت نظري إلى هذه الفجوة البروفيسور دونالد كاردييل مؤسس قسم تاريخ العلوم والتكنولوجيا في جامعة مانشستر ومؤسس سلسلة متاحف العلوم والصناعة في إنجلترا، حيث قال لي: إن هذه السنوات الألف مفقودة من أذهان الناس، وهي لم تكن مظلمة بل كانت مشرقة ولكن في مناطق أخرى من العالم بما فيها غرب وجنوب أوروبا- أقصد بذلك العالم الإسلامي- ثم أضاف قائلاً: بما أن جذورك منهم (أي من العرب)، وتجد اللغتين العربية والانجليزية وقد بلغت ذروتك في علم الميكانيك فهل لك أن تنبري لإشعال شمعة في هذا الظلام. فهذا العمل الإنساني قد يحدث تغييراً كبيراً في علاقات الشعوب والمجتمعات ليس في إنجلترا فحسب بل وفي أرجاء العالم كافة.

لقد صدمت بما قاله لي وبثقل المسؤولية التي شعرت بها على عاتقي، فرددت عليه قائلاً إني لست مؤرخاً، وإني لم أحبّ دروس التاريخ، حيث لم أدرس فيها غير الحروب والويلات، ولا أعهد حاكماً أو خليفة إلاّ ومات قتلاً، إلاّ النادر الذي لا يقاس عليه، فردّ عليّ قائلاً: لا، لا ... اقرأ سير العلماء، فستجد شيئاً آخر... ستجد تاريخ البشرية الحقيقي الذي يجهله معظم الناس.

هذا الحوار الذي دار بيني وبين أستاذاي المحترم نَبهني وجعلني أعود وأتصفح ما كتب عن العلوم والعلماء وخصوصا في الكتب المدرسية منها، فثبت لي صحة كلامه إلا أنها جميعاً تقفز بالقارئ من أيام الإغريق والرومان الى عصر النهضة الأوروبية مُلغية بذلك ألف سنة من تاريخ الحضارة الإنسانية. وبتوفيق من الله وعزائم وسواعد شخصيات مهمة من مسلمين وغير مسلمين نشأت مؤسستنا سنة **1999**، وظهر أكبر موقع انترنت ومعرض متنقل ثم كتاب "ألف اختراع واخترع". الكل لهم هدفٌ واحدٌ هو إبرازُ حقيقةِ الدورِ الحضاريِّ الذي لعبته الحضارةُ الإسلامية، عبرَ التركيزِ على منجزاتِ العلماءِ المسلمين في ميادين العلوم والتكنولوجيا وبالأخص الاختراعات التي ما زالت تؤثر في مجتمعات اليوم.

سعتْ مؤسستنا منذ تأسيسها إلى استقطاب الخبرات الغربية والعربية التي لديها باع طويل في قضايا التراثِ وجوانبه. أخذنا مقطعاً أفقياً في سماء العلم والأدب في العالم العربي وبدأنا بدراسة بعض الرؤوس التي اخترقت ذلك المقطع كي نتقصى تاريخها وسلوكها وإنتاجها العلمي قبل عرض العضوية عليها. ومن الأسماء القليلة التي وقع الاختيارُ عليها كان اسمٌ من حلب، اسمحوا لي أن أعرض عليكم بعض ما اكتشفناه من خلفياته وسيرته التي لو جمعت في فيلم لكان من روائع الانتاج الفني الدراماتيكي الذي يجذب جمهور الشباب.

1943 اليوم الأول في الكتاب لطفل صغير وقف مرتعداً أمام شيخ حمل بيده خيزرانة ذات أمتار ثلاثة، كانت قادرة على الوصول إلى أبعاد طفل في الكتاب، عند هذا الشيخ حفظ القرآن الكريم وجدول الضرب ومبادئ الحساب، كان عند عودته إلى بيته في حيّ قارلق يستكشف الكتب والمخطوطات التي حوتها مكتبة أبيه الصغيرة، بين هذه الكتب ديوان عتيق لشاعر اسمه "المتبي" واظب على قراءة أشعاره دون أن يفهمها، ولكنه كان مقتنعاً بأن ثمة شيئاً سحرياً يسكن كلمات هذا الشاعر.

1946 يكبر الطفل ويدخل المدرسة النظامية، ويرز فيها طالباً متفوقاً وقارئاً فهماً، حفظته جيداً مقاعد دار الكتب الوطنية. كان في المرحلة الإعدادية قد قرأ الأغاني وبيتمة الدهر وكتب الجاحظ والتوحيدي وروايات نجيب محفوظ ويوسف إدريس، ورحل في عوالم ابن هاني الأندلسي وعمر أبو ريشة وشعراء المهجر بل إنه قاسم ابن زيدون عشقه لولادة.

1959 يدخل الشاب جامعة دمشق طالباً في قسم اللغة العربية، يقف أمام "سعيد الأفغاني" في الامتحان الشفهي لمادة "القرآن والحديث" ويطلب منه الأفغاني أن يفتح المصحف ويقرأ، يُنهي الطالب الصفحة والأفغاني لا يطلب منه التوقف، يعلق الطالب المصحف وبنبرة تحد يقول: إذا كنت تنتظري لأخطي فستنتظري طويلاً، ويتابع القراءة من

محفوظه، يهَلُّ الأفغانيُّ ويمنحه درجةَ 87، لم يمنحها لأحدٍ من قبله كما قال له، وهكذا يتخرَّجُ الأولَ على دفعته.

1970 يجمعُ أغراضه على عجلٍ، يحملُ حقيتهُ وينطلقُ إلى الجزائرِ، مدفوعاً بحماسة القومي لتأديةِ دورهِ في حملةِ التعريبِ هناك، بعدَ أربعِ سنواتٍ يعودُ كسيرَ القلبِ وقد أدركَ حقيقةً مؤلمةً، أمتُه في خطرٍ شخصيتها تَمُحى وتراثها يندثر، فلا بدَّ من التحركِ. وطوالِ السنواتِ التاليةِ يستنفرُ نشاطه وفكره لخدمةِ هذه القضية، ويصدرُ عدداً من البحوثِ والدراساتِ وكماً كبيراً من المقالاتِ التي توزَّعتُها الصحفُ والمجلاتُ وخصوصاً السعوديّةُ منها حيثُ كانَ يعملُ.

1971 يزورُ الأندلسَ للمرةِ الأولى ويتعرفُ على لسانِ الدينِ ابنِ الخطيبِ وابنِ رشدٍ ومحيِ الدينِ ابنِ عربي، وفي إحدى زيارتهِ التاليةِ يقفُ الدليلُ الأسبانيُّ في بهوِ قصرِ السَّبَّاحِ في قصورِ غرناطةِ شارحاً كيفَ أن اليهودَ هم الذين بنوا هذهَ الأعجوبةَ المعماريةَ، تتجمدُ الدماءُ في عروقه، وبهدوئه الذي لم يفارقه يوماً يحاولُ أن يشرحَ للشابِّ الأسبانيِّ كيفَ أنَّ العقولَ والسواعدَ العربيَّةَ المسلمةَ هي مَنْ بَنَتْ هذهَ القصورَ، ويجيبُ الدليلُ ببرودٍ: هذا ما تعلمتهُ وأنا لم أضفُ شيئاً من عندي. تعودُ الحقيقةُ المؤلمةُ مرةً أخرى، أمتُه في خطرٍ ثمةً من يحاولُ اقتلاعَ جذورها ومحوَ تاريخها. وتستمرُ رحلتهُ الأندلسيةُ التي لم تنتهِ بعدُ والتي كان من

ثمّراتها كتابُ "محطات أندلسية" وعدد كبير من البحوث والمقالات وكتباً أخرى تنتظر النور قريباً.

كتاباتهِ وكلماتهِ عن ابن رشد ومحي الدين ابن عربي وابن العوام وابن البيطار والإدريسي وابن خلدون والكواكبي وغيرهم، ثمّ كتاباتهِ التحليلية حول تطور المنهج التاريخي وصور التأثير العلمي بين الأندلس وحلب على مر القرون تشكل قوساً هاماً في جسر العلاقات بين العالم العربي والإسلامي من جهة والعالم الأوربي والغربي من جهة أخرى وخصوصاً في هذه الأيام.

1990 يعودُ إلى حلب، المدينة التي أحبَّته وأحبَّها - وأحبَّتها أنا أيضاً - ولكنَّ حلبَ لم تعدْ كما كانت لقد اختفتْ معظمُ أحيائها وشوارعها العتيقة التي قضى فيها طفولتَهُ وربيعان شبابه. وتبدأُ رحلةً جديدةً، رحلةُ الدفاعِ عن المدينةِ في وجهِ الزحفِ الإسمنتيِّ، وذلكَ عبرَ إدارتهِ العملِ في جمعيةِ العادياتِ حيثُ حقَّقَ انتصاراتٍ لا يمكنُ لأحدٍ تجاهلها، ولعلَّ آخرها كانَ نجاحُهُ المتميزُ في احتفاليةِ "حلب عاصمةُ الثقافةِ الإسلامية" التي أعادتْ للمدينةِ الكثيرَ من ألقها ودورها الحضاريِّ الإقليميِّ والدوليِّ، يضافُ إليها مشروعُ لإقامةِ متحفٍ في بيتِ المتنبيِّ الشاعرِ الذي سلبَ لبه فحفظ ديوانه. إضافةً إلى كلِّ ذلكِ فإنه يواصلُ التعبيرَ عن ذوقهِ وخلجاتهِ أدبياً وشاعراً بمقالاتٍ وسلوكياتٍ تحتاجُ إلى موسوعةٍ كاملةٍ لجمعها.

يأخذنا المشهد لسنة 2008 وها هو يجلسُ بيننا و كأنّ لسان حاله يتساءل: لماذا كلُّ هذه الضجة؟ لماذا التكريمُ؟ فأنا ابنُ هذه الأمةِ من حقّها عليّ أن أصونَ تراثها وأن أحافظَ على شخصيتها. وأنا ابن هذه المدينة، في أحضانها ترعرعتُ ومن خيراتها نشأتُ، فهل كثيرٌ إن حاولتُ حمايتها والدفاعَ عنها؟

محمد قجّة - هكذا دونَ ألقاب كما تفضّل دائماً - لا بدّ من التكريم، ففي زمنٍ أصبحَ فيه الأبناءُ البارونَ بأمّتهم وتراثهم ومدنهم قلةً قليلةً، وجب علينا تكريمهم. فهنئنا لنا بك ومبارك عليك...

تحية من صباح قبّاني



الباحث الأستاذ الدكتور صباح قبّاني

الأستاذ قجعة إنسان وصديق عزيز أعتز بصداقته وتبهري معرفته الأدبية والتاريخية الواسعة والشمولية، وأرى فيه دائماً عراقاً مدينة حلب بثقافتها وأهلها وأدبائها.

وكم كنت سعيداً عندما أعلمني أنه بصدد اكتشاف المكان الذي كان يقطن فيه الشاعر العظيم أبو الطيب المتنبي، وقد دأب خلال سنوات طويلة على البحث والتقصي واستقراء النصوص الشعرية والأدبية والنثرية ليتعرف أين كان يسكن المتنبي؟ وبعد هذا الجهد الطويل توصل إلى المكان، وبذلك أضاف آبدَةً عظيمة لا تقل مكانة وجمالاً عن أوابد حلب العريقة، وهي ستقف جنباً إلى جنب مع قلعة حلب الشامخة.. وأقدر كثيراً جهده العظيم الذي امتد سنوات كما قلت ليصل إلى المكان بالضبط: أين كان يسكن المتنبي؟

أتمنى لو أن أقرانه -أقران الأستاذ قجعة من مؤرخين وباحثين وأدباء- أن يقتدوا بهذا المثال، ليكتشفوا لنا أين كان يسكن شعراؤنا وأدباؤنا وعلمائنا وفقهاؤنا، كي نحول هذه البيوت إلى متاحف على شاكلة ما يحدث في الغرب، في الغرب نذهب في زيارة يقال لنا كان هنا يعيش

شكسبير هناك كان يعيش فلان وفلان من الأدباء والشعراء، فالزوار حين يدخلون إلى هذه البيوت يعيشون أو يتعايشون خلال فترة (فترة زيارتهم) مع هؤلاء العظام وكأنهم بينهم يتحركون في هذه الأمكنة.

أتمنى للأستاذ قبة الصحة والعافية والاستمرار في العطاء وفي الإنجاز وهو يستحق الخير وشكراً جزيلاً.

نهر من العطاء العلمي اسمه محمد قجة



الأستاذ الدكتور عبد الله العثيمين
الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

كم هو صعب على محدود الثقافة مثلي أن يتحدث عن عالم موسوعي المعرفة والثقافة، متدفق العطاء والحيوية. أعلم هذا علم اليقين، وأرجو أن أحظى برحمة ربي، التي وسعت رحمته كل امرئ عرف قدر نفسه. أتى لمن هو مثلي في محدودية معرفته وضعف قدرته على التعبير عما يشعر به، أن يفني بحق حبيب الجميع، الأستاذ محمد قجة، أو يقترب من الوفاء بهذا الحق، فيتكلم عن أبي حسن بما هو جدير به وحسن؟

هذا العالم الموسوعي الفذ، العاشق لتراث أمتنا، المتدفق عطاءً وحيوية لإحياء هذا التراث الجيد والمحافظة عليه، ليس من اليسير إيفاؤه حقه عند الحديث عنه. وكم كنت أود أن تسمح لي ارتباطاتي المسبقة لأحظى بسعادة حضور هذا اللقاء التكريمي الحميمي له على أرض حلب الشهباء الرائعة بمن فيها وما فيها. لكن سلطة هذه الارتباطات أتضح أنها أبخل من أن تجود لي بالسماح كي أحضر اللقاء، فأنتشى طرباً

وسعادة بما أسمع من كلمات العلماء الأجلاء، والمسؤولين الأكارم،
تقديراً وتكريماً لمن هو أهل للتقدير والتكريم.

ينتمي حبيب الجميع، أبو الحسن الأستاذ محمد قجة، إلى أسرة كريمة
عربية المتمد، عميقة الجذور، في حلب الشهباء ذات الماضي العبق مجداً،
والحاضر المتألق فخراً واعتزازاً، أسرة كانت لها مكانتها؛ عطاءً علمياً
ونضالاً وطنياً. ولو لم يكن من رجالها إلا جده محمد، الذي قاد ثورةً في
سبيل وطنه أدت إلى استشهاده عام 1820م، لكفاها فخراً ومجداً.

قبل ما يقرب من سبعين عاماً سعدت أسرة ذلك الحبيب بطلته على
الدنيا، فاستبشرت بتلك الطلة النيرة خيراً. وما كان الله البر الوهاب
إلا ليجعل ذلك الاستبشار دائم الإشعاع والوهج. ففي ظلال تلك
الأسرة الوارفة حنوً مضى المستبشر بطلته وليداً يرفل في حلل السعادة،
ناهلاً من موارد العلم ما يروي الظمأ، وجانياً من ثمار المعرفة ما لذ
وطاب، ولم يقتصر على ما كان يتعلمه أقرانه في صفوف الدراسة
بمؤسسات التربية والتعليم - وفيه الخير الكثير - بل راح يقرأ ويواصل
القراءة بنهم ما دونه المؤلفون في مختلف الموضوعات، لا سيما
موضوعات العلوم العامة والإنسانية.

ولعشقه هذه القراءة أصبح لديه - فيما بعد - مكتبة منزلية تتألف من
حوالي اثني عشر ألف عنوان.

وشخصية فذة مثل شخصية حبيب الجميع، العالم الموسوعي محمد قجة، لم يكن غريباً أن كان عطاؤه لأمته ووطنه متنسقا مع مؤهلاته العلمية ذات الوجوه المشرقة. ولذلك فإنه -وهو قاب قوسين أو أدنى من السبعين عاماً.. مدّ الله في عمره- يرأس مؤسسات علمية لها منزلتها الراقية، أو يشارك مشاركة فعّالة في إدارتها.

فهو رئيس مجلس إدارة جمعية العاديات السورية منذ أربعة عشر عاماً، وهي جمعية أسست عام 1924م، ومركزها حلب، ولها خمسة عشر فرعاً في مدن سورية أخرى. وهو رئيس تحرير الكتاب السنوي المحكم (عاديات حلب)، بالتعاون مع جامعة حلب. وهو رئيس تحرير (مجلة العاديات) الفصلية للتراث والآثار والمدير المسؤول لها. وكان المدير للأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية، كما أنه المستشار الثقافي لمحافظة حلب هذه المدينة العظيمة، إضافة إلى كونه عضواً في لجنة حماية منطقتها القديمة، وعضواً في الجمعية السورية لتاريخ العلوم (معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب).

ولم يقتصر نشاط حبيب الجميع العلمي على ما قام ويقوم به في داخل القطر السوري - وهو نشاط عظيم مقدّر - بل امتدّ ليشمل عضويته في مجالس ومؤسسات علمية في عشرة أقطار أخرى؛ عربية وغير عربية.

أما عطاؤه الفكري فهو الآخر مثار إعجاب ومحلّ تقدير وإجلال، لا من حيث وفرة الإنتاج فحسب، بل من حيث جودته وتنوعه أيضاً. فقد صدر له حتى الآن أربعة وعشرون عملاً علمياً، ثمانية عشر منها بمفرده، وستة بالاشتراك مع آخرين؛ إضافة إلى مراجعة ترجمة عمليين، وتقديم عدد كبير من الكتب لمؤلفين في مجالات الدراسات الحضارية والتاريخية والأدبية، وأكثر من ثلاث مئة دراسة في عدد من الدوريات المحليّة والعربية والأجنبية.

وفي طليعة ما أنجزه ونشره بمفرده سلسلة (الخالدون)، المشتملة على ست شخصيات لكلّ منها عظمتها الخاصّة. وهؤلاء هم: شجرة الدر، عبد الملك بن مروان، صلاح الدين الأيوبي، الظاهر بيبرس، طارق بن زياد، عبد الرحمن الناصر. وفي طليعتها أيضاً السلسلة التاريخية المتناولة لمعارك إسلامية مشهورة، وتحقيق ديوان محيي الدين ابن عربي.

ولم يقتصر عطاء ذلك النهر من العلم، حبيب الجميع الأستاذ محمد قجّة، على ما له صفة بحثية أكاديمية؛ تأليفاً أو تحقيقاً لكتب، أو تقديماً في برامج تلفزيونية، أو اكتشافاً لأمكنة تاريخية؛ مثل اكتشاف موقع بيت أبي الطيب المتنبي في حلب؛ بل امتدّ إلى ميدان الإبداع، فكان من ذلك تأليف مسرحيتين: إحداهما عن مدينة حلب في التاريخ، والثانية عن الملكة ضيفة خاتون، وكان أن كتب قصائد ذات مستوى إبداعي رفيع.

ولأنه مورد عذب -والمورد العذب كثير الزحام- لم يكن غريباً أن
دُعي، فأجاب الدعوة إسهاماً منه في أداء ما يخدم أمته، إلى مؤتمرات
وندوات داخل الوطن العربي وخارجه تجاوز عددها الثلاث مئة، منها
أكثر من خمسين في السنوات الخمس الأخيرة وحدها، وكانت له في
الكثير منها أوراق عمل إضافة إلى المشاركة في المناقشات.

وإذا كان ما سبقت الإشارة إليه باختصار عن شخصية ذلك النهر من
العطاء، حبيب الجميع العالم الموسوعي محمد قجة، أمراً يجعله مميّزاً، عطاءً
علمياً وإدارياً لوطنه وأمته، كما يجعله مثار إعجاب ومحلّ تقدير وتكريم،
فإن ما يتحلّى به من صفات خلقية رفيعة عامل أكبر لرسوخ محبته في
قلوب من سعدوا بمعرفته.

زاده الله توفيقاً، وبارك في كل ما يقوم به ويقدمه خدمة لوطنه وأمته.



دار الألفة والألاف في حلب

الدكتور حسن علي النعمة

مستشار الشؤون الثقافية بمكتب سمو أمير دولة قطر

إنه لأمر رائع وجميل، أن تقوم وزارة الثقافة الموقرة بالجمهورية العربية السورية، بتكريم الأستاذ الباحث الجليل محمد قجّة، لتضيف بذلك مكرمة معهودة، ومأثرة محمودة، في الإشادة بذلك الرجل الذي نشأ متجذراً بفكر حلب وتراثها العظيم، النابع من عروبته وحضارتها، إذ رافق مسارها التاريخي، وسير أغواره، إنجازاً وريادةً وإسهاماً، فيما كتب ودون وجمع.

وما أحرانا اليوم أن نبتهج أيما ابتهاج بالاحتفال به خير احتفال، فهو جدير بذلك وقمين، تخبرنا سجايه في عطاء الفكر والبحث عن صنائعه الجليّة في إحياء تراثنا العربي بحلب، فيما قام به من أبحاث وتجليات، تظلّ في ميدانها رائدةً في التحصيل والعطاء.

إن شخصية الأستاذ محمد، تمتلك فكراً سباقاً، وثقافة عالية، تشرع في الكشف عن مكنون تراثها الإنساني وعمقها الحضاري، لتغذي الحقل الثقافي العربي وترفده بروافد الإبداع والتجديد، مما تمخّض عنه كلّ هذا

الزاد الغني بتلك الدراسات الأصيلة، والمحاضرات القيّمة، في التراث والأدب والفكر.

إنّ هذا لعمري جهدٌ جهيدٌ قام به الأستاذ محمد خير قيام في التعريف والتقديم والبحث، فتخطّى بذلك مجرد الطبيعة الجغرافية أو السكانية على صعيد القطر الواحد، ليكونَ خلفية علمية رائدة، يقدمها لحيط أمتة العربية الكبير.

لقد أسعدني الحظ بمعرفة الأستاذ محمد، فألفت مجلسه في "عاديّات حلب" وفي غيره من منتديات الشهباء، وعرفته باحثاً مستكشفاً لعالم المعرفة، محتفياً به شديد الحفاوة، وتعلّمت منه الكثير عن حلب وأنماط فنونها وتراثها المستوحى من زادٍ حضاري عريق.

لقد استطاع الأستاذ محمد، أن يجدد في بحوثه أردان حلب الموشية، فأبرز لنا رونقها وأصالتها، لنستوحى من دار الألفة والآلاف بحلب، ذلك الإلهام المتميّز، ولنشتام من بروقها ذلك الوحيّ البراق الآسر.

لقد ألفتنا في ألفة الأستاذ محمد، تلك الرحابة والود، ما يدعوننا إلى محبته وإطرائه، وهو الغني عن الإطراء. إلا أن حلب تخطّ لنا في سفرها الخالد كل يوم حروفاً زهراء، تدعوننا إلى الفخر والإعجاب، وتشدّنا إليها،

وعلى حبّها تلتقي ملايين العرب، متطلّعة إلى إشراقة وجهها، ومتأمّلة في رؤى عينيها روائع عالمنا العربي الجميل.

جزى الله أخانا "محمدًا" على إحسانه خير الجزاء، باحثاً ودارساً، ما همُّه إلا الإسهام، فكأنّه لا لبانة له سوى التزوع إلى حقيقة الفكر والبحث عن الطموح والكمال، يبذل ما وافاه الله من جهد في سبيل بنيان حضاري أغنى، فهو بكده وعمله في إحياء تراث حلب يزرع في أجيالها شغف التعلق بهذا التراث، ليغدو زرعه سنابل مثقلة بالجنى والعطاء، وليرى دارته الشهباء حلب تمضي قدماً، صوب صيرورتها دارةً للعرب أجمعين، تلفّهم بالأمل، وتحّي في نفوسهم مكامن الحنين، وتحرك في قلوبهم سواكن الشوق إلى التراث، وتكبُّ شذاه في عقولهم، ليندى سوانح من شميم وطيوب، حتى إذا بلغت مبلغها العظيم في التأثير والتأثر، ألفت كلّ خالجة فيها ترنو إلى أختها اعتصاماً بوشائج الهدى والقربى والمصير.

بارك الله في صاحبنا محمد، وأمده بالعزيمة وطول العمر، لتحقيق المزيد من العطاء في البحث والدرس، لتعزيز قيم تراثنا القومي وإبراز عراقته في الإنسانية، بحيث يغدو مثلاً يحتذى في بناء الحضارة والتقدّم.

إلى صديقي.. وشريكي في حبّ حلب..



الأستاذ الأديب الروائي وليد إخلاصي

عزيزي محمد

لم أجد لي مكاناً بين المتحدثين عنك وفق الجدول الذي أعد لتكريمك،
فإذا كان لك باع في البحث عن التراث العربي، فأنا لي مجرد الإعجاب
بجوانب هذا التراث المضيئة، وإذا كنت قد أغرمت بالدراسة الأندلسية،
فإني كهواو استمتع بتأملي جواهر عرب الأندلس المشعة، وأني مجرد
فضولي يراقب مائدة حضارتهم ويلتقط من حين لآخر شيئاً من ثمار
فلسفتها وفنونها وعظمة بنيانها.

ثم إني يا عزيزي محمد لست عضواً في جمعية العاديات التي تديرها منذ
سنين فأتكلم عن حنكة إدارتك واستقطاب الأعضاء حولك.

كما أنك لا تنفك عن رعاية دراسات عن حلب. بينما اقتصرت أنا
على بناء قصور الخيال في حلب، فلم أخرج عن إهاب الرواية الذي لا
يلتزم كثيراً بالصدق الذي يدير دفة الدراسات الجادة.

أما جهودك التي بذلتها في موسم حلب العظيم والذي كان بمناسبة تسمية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية فقد شهد لك الجميع بأنك كنت القابض المخلص على مسار ذلك الموسم.

ويا صديقي محمد..

فإني أجدّها مناسبة في هذه الندوة المكرسة لك لأقول إن لي مكاناً فيها كي أعلن فيه عن الذي يجمعني معك: ألا وهو اشتراكنا في حب حلب, فهذه السيدة الجميلة التي اتفق على تسميتها منذ آلاف السنين بحلب, قد أوقعتنا في شباك غرامها, ليس تصيداً, بل لسحر رائحة تاريخها, وقد نفذت بخوره في مسام الجلد لنجذب إلى الشباك طائعين. وهنا لا بد من استدعاء ذكر شيخنا خير الدين الأسدي وكان من قبل نفخ في ذلك البخور ليسرع في تقديمه من عشاق حلب فألبسهم عباءة السحر فيقعون غير صرعى في الشباك.

أيها الحضور..

كان المفتاح الذي دار في قفل الباب هو الذي فتح أمامي بوابة الصداقة مع الأستاذ محمد قجة, وكان المفتاح مجرد مجلة صدرت في أواخر الستينيات من القرن الماضي, ففي ذلك التاريخ صدرت مجلة (المأمون) التي أعدت بمناسبة مرور خمس وسبعين سنة على أحداث مدرسة

السلطاني، التي تحول اسمها بعد ذلك إلى ثانوية التجهيز الأولى، وليستقر بعد ذلك على اسم ثانوية المأمون. ومن يذكر التاريخ السوري سيشير إلى أن السلطان مع مكتب عنبر في دمشق كانتا الوحيدتين كمدرستين ثانويتين في سورية.

تساءلت آنذاك عن صاحب مشروع المجلة الوثائقية تلك، فإذا هو مدير المأمون نفسه، وإذا ما علمت بأنه شاب اسمه محمد قجة، سعيت إلى معرفته لأدرك بأن تلك المجلة مشروع ثقافي، بل أنه ظاهرة تساهم في حفظ ذاكرة المدينة، وبخاصة أن عدداً من طلاب هذه الثانوية قد بات من رجال السياسة، أو أنه احتل مكانة في الجيش الوطني، أو أنه احتل مكانة في المهن العلمية أو عالم الفن والأدب، وأن نخبة من الأساتذة في كافة الفروع قد ارتقت بالثانوية إلى مستوى الجامعة في زمن لم يكن لسورية سوى جامعة دمشق.

ومن المصادفات أن الأستاذ محمد قجة كان أيضاً في عام 1992 في لجنة أشرفت على إصدار مجلة المأمون بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء المدرسة.

وبعيداً عن الصداقة التي نمت مع مرور الزمن، جمعتنا في السنوات الأخيرة لجنة في بلدية حلب ما زالت قائمة. كنت مع محمد قجة من أعضاء تلك اللجنة التي تعمل على تسمية الشوارع في المدينة، وبالرغم من تطوع تقدمه اللجنة فإن الالتزام بالعمل فيها ولها، قد كشف لي عن

قدرة محمد قجة على تسخير مخزونه التراثي العربي من شعر بسطه أمامنا كدلالة على ارتباطه الوثيق بذلك المخزون, كما أكد على قدرة يحسد عليها وهو يساهم بتزويد الكمبيوتر بمعلومات عن الأسماء المقترحة، وكأنه جزء من كتاب يدل على أسماء رجالات من التاريخ طالما نسبتها الذاكرة الشعبية كما أنها أصابت الحافظة الثقافية بالجفاف.

وأذكر فضائل محمد قجة كرئيس لجمعية العاديات, وكانت واحدة منها قد تجلت في استدعاء شخصيات ثقافية بالغة الأهمية، يكفي أن أذكر منهم المؤرخ الكبير الدكتور نيقولا زياد الذي استمعنا إليه كطلاب في أكثر من محاضرة، والدكتور زياد الذي فقدته الفكر العربي في الأيام الأولى من اعتداء تموز الإسرائيلي على لبنان في العام 2006, سيظل علامة ثقافية في مسيرة حلب سيذكر معها أن جمعية العاديات قد استضافته معطية الفرصة لمثقفي المدينة وأهلها للقاء عالم كبير، وأن رئيسها هو الذي لعب الدور الرئيس في تحقيق ذلك.

كما نذكر له العمل على توسيع رقعة جمعية العاديات لتشمل عدداً من المدن السورية فإذا بها تتحول إلى جمعية سورية بعد اقتصار نشاطها لعقود كثيرة على مدينة حلب, ومن الفضائل الأخرى كإصدار مجلة العاديات التي تحفظ أبحاثها ذاكرة الوطن الثقافية.

صديقي محمد قجة ..

حيويتك التي لازمت طموحك قد عمقت من صداقتنا، لإحساسي بأن
المدينة تفخر برجال من أمثالك، وجدوا في علاقة مدينتهم حصناً يرقمون
فيه ويساهمون في ابراز تراثه.

وكان همك الثقافي يستحق دون ريب أن يجمع من حولك اليوم رجالاً
يكشفون عن جوانبك, ويكفيك أنك اليوم قد أحطت بمزيج من المحبة
لك والتقدير لجهودك, وستغفر لي قصوري عن المساهمة العلمية لأنك
تعلم أن ما أملكه هو الصداقة والمحبة.

شذرات الشهباء



الأديب الروائي الأستاذ جمال الغيطاني

يمهد لنا الاسم أحيانا لتقبل شخص نراه أول مرة، أو مكان، أو حدث في الزمان، مع توالي الأوقات تتأكد عندي قوة الاسم وتعدد دلالاته، هذا ما تعلمته من سيرة المصريين القدماء الذين عرفوا قوة الاسم حتى أنهم اعتبروا استمرار ذكره معادلا لديمومة الحياة ذاتها.

حلب، يتداعى وصفها المرتبط باسمها الشهباء، أي البياض المائل إلى الشقرة. حلب، محطة إذاعة يمكن التقاطها في الستينات بعد العاشرة ليلا، عبرها كنت أستمع خلال شهر رمضان إلى حفلات غنائية موسيقية تبث مباشرة، أصوات جميلة تغني الطرب الشرقي الأصيل، أصحابها غير مشهورين، الحفلات تبث من الأحياء القديمة لحلب، من الأزقة والحارات، أهالي حلب يتوارثون الأدوار القديمة، مصرية أو شامية أو عراقية، لديهم لون خاص يعرف بالقدود الحلبية، تشبه -إلى حد ما- ما يعرف في الموسيقى المصرية بالطقوقة، وفي الغناء التركي بالبسته.

حلب، منها عرفت صباح فخري، استمعت إليه لأول مرة سنة تسعة وستين وتسعمائة وألف، كان ذلك في معهد الموسيقى العربية، منذ ذلك

الوقت تعلقت به، رحت أجمع تسجيلاته، كل ما تيسر منها، أحرص على حضور حفلاته عند مجيئه إلى القاهرة، ومن التسجيلات عرفت صوتاً آخر هو محمد خيرى رحمه الله.

في برلين عام تسعين من القرن الماضي صحبت الصديق الروائى عبد الرحمن منيف في زيارة قبل انميار السور الشهير، تحدثنا عن الطرب وعن الغناء العربى، قدم إليّ شربطا مسجلا، قال إنه لمطرب حلبى بدأ يغنى بعد بلوغه الستين، اسمه صبرى مدلل، ومرة أخرى أرتبط بصوت عريق من حلب، أحرص على الاستماع إليه مباشرة خلال المرتين اللتين زار فيهما القاهرة.

لحلب حضور عتيق منذ الأزل، أتوقف فيه عند سيف الدولة الحمداني، نزول المتنبى وإقامته بها، أبو فراس الحمداني، ابن العديم مؤرخها الذي قرأت له "زبدة الحلب من تاريخ حلب" تحقيق سامي الدهان، و"الوصلة إلى الحبيب في وصف الطبيات والطيب"، حلب التي اجتاحتها هولوكو، ثم تيمورلنك.

عبر ثلاثين عاما تالية زرت سوريا أربع مرات، ولم يتم مشروعى لزيارة حلب، عام ألفين اتصل بي الأستاذ محمد قجة رئيس جمعية العاديات، الكاتب والشخصية الثقافية الاجتماعية المرموقة، دعاني لحضور ندوة عن الشيخ الأكبر مولانا محيى الدين بن عربى، للأسف، لم تسمح ظروفى

وقنذ بالمشاركة، غبت عن حلب، وعندما اتصل بي الأديب الأستاذ الجامعي عبد الله أبو هيف في منتصف يوليو عام ثلاثة وألفين طلب مني المشاركة في ندوة "الرواية والتاريخ" بمهرجان الحبة في اللاذقية، وافقت على الفور، فوجئت بالأستاذ محمد قجة يتصل بي قبل مغادرتي القاهرة بيومين، يدعوني إلى حلب وحضور لقاء خاص بأدباء ومثقفى حلب في المكتبة الوطنية.

حلب أخيراً، مكان تفتت إلى زيارته، التعرف عليه، كيف سيبدو لي عند بلوغي مشارفه؟ عناصر عديدة توالى علي، بدءاً من لون الحليب الذي يستدعيه الاسم، إلى القلعة الشهيرة، إلى المتني، خولة شقيقة سيف الدولة، هل تبادلنا المشاعر؟ هل هام بما المتني كما تؤكد الشواهد؟ هل شعرت قبل موتها؟ حلب الطرب، المدينة الواقعة عند مفترق الطرق، الخطة الهامة على طريق الحرير.

اتصل الأستاذ محمد قجة بمديرية الثقافة، قال إنه في الطريق، عندما ولج المكتب المفروش بأثاث عربي، مطعم بالصدف، تقدم بقامته المديدة وحضوره الوقور ليصافحني، أيقنت أنني أعرفه من قبل، أننا القينا يوماً، لكن أين؟ لا أعرف..

قبل مغادرتي اللاذقية إلى حلب، عبر الهاتف طلبت من الأستاذ محمد قجة أن أقيم في أحد فنادق المدينة القديمة، قال إنه تم الحجز بالفعل في فندق زمريا، أحد البيوت الحلبية العتيقة التي تحولت إلى فنادق، كنت حريصا على النزول في المدينة القديمة لمعايشتها أطول وقت ممكن، وفي الوقت نفسه كان في ذهني الفنادق الصغيرة المتواضعة، عندما وصلنا إلى منطقة "الجديدة" وجدت نفسي في المدينة العتيقة، الشوارع أضيق، مبلطة بالحجارة، الحجارة نفسها موحدة للدور والمباني، غير أنني فوجئت بجمال البناية التي يعود عمرها إلى أربعة قرون، لقد تم تحويلها إلى نزل مريح، رفيع الذوق، أما السطح فمطعم ومقهى، معظم المقاهي المستقرة فوق مثل هذه البنايات التي تحولت إلى فنادق، تولى وجهها شطر القلعة.

حلب مركز قوي، هو قلعتها الشهيرة، تل صخري طبيعي شاهق، وعبر عصور متوالية أضاف إليها الإنسان من الحصون والموانع ما جعلها منيعة، من الصعب جدا اقتحامها عبر عصور التاريخ، لم تستسلم إلا صلحا بعد انهيار الظروف السياسية والاجتماعية.

لم يضع الصديق محمد قجة وقتا، بمجرد تدوين اسمي وتسلمي مفتاح الغرفة، خرجنا إلى المدينة القديمة، من خلاله بدأت ألم بالأسماء، والتاريخ المتوارى خلف الحجر، في الوقت نفسه كنت أحاول الاستيعاب وإدراك الخصوصية. تبدو الدور في الأزقة والحارات منحوتة وليست مبنية، ربما

بتأثير الحجر، أقوى عناصر وحدة المدينة بالنسبة لنوعه ولونه، معظم الحارات أو الأزقة الأصغر مساحة مغلقة، سد، تطل على فراغ كل منها مجموعة من الدور، يمكن الانتقال عبر أسطحها بسهولة. الحواري والأزقة المتداخلة تبدو منظومة زخرفية من الحجر، يوحى بعضها ببعض، يبدو زقاق مغلق كأنه لن يؤدي إلى فراغ آخر، لكن عند بلوغ النقطة التي لا يتجاوزها البصر، ينفتح طريق ويبدو درب، أو زقاق، تتقارب الدور الحلبية، تتجاوز، مخطط المدينة يستجيب للمناخ، ولأغراض دفاعية شأن المدن القديمة كلها.

غير أن الوضع في حلب أدق، المدينة عند ملتقى الطرق المؤدية إلى الشرق والغرب، إنما إحدى أهم المحطات على طريق الحرير والتوابل الواصل بين أقصى الشرق وأقصى الغرب، كما أنها نقطة متوسطة، متماسة مع أماكن تسكنها جنسيات شتى، فعندما مررت بشوارع المدينة الحديثة، قرأت التنوع والتعايش.

أثناء جلوسنا فوق سطح دار الياسمين التي تحولت إلى فندق، أشرت إلى القلعة المضاعة بذكاء وتنسيق دقيق، سألت الصديق محمد قجة: "كم سنة تطل علينا من فوق أسوار هذه القلعة؟" قال إنه طبقا لقراءة الآثار وما تراكم منها يمكن القول أننا في مواجهة تسعة آلاف سنة. وتذكر المراجع العلمية أن الإنسان استقر في هذه المنطقة منذ حوالي سبعة آلاف سنة.

عاصرت حلب مدنا قديمة اندثرت مثل بابل ونيوى وأوغاريت وإيبلا وأور وأفاميا وكركميش، تغيرت مواقع تلك المدن وتحول بعضها إلى أطلال، وبقيت حلب في موقعها، لم تتوقف دماء الحياة عن التدفق في شرايينها.

أما النسيج العمراني لحلب الذي نراه الآن فيعود إلى ألفين وأربعمائة سنة على الأقل. من هنا يستقر في فضاء المدينة ذلك العنصر الذي لا يمكن تعيينه أو رصده. إنما يدركه الإحساس، إنه ما يمنح الشعور تلك العتاقة، لدي يقين أن الأماكن التي يتوافد عليها البشر، يقيمون ثم يرحلون، تكتسب آثارا منهم، خاصة إذا أودعوها بعض نتاجهم، من عمارة وفنون مختلفة،

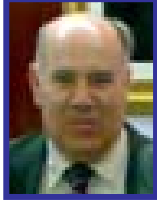
في حلب تبدو آثار الجهد الإنساني في فروع شتى، منها العمارة والنسيج والطعام والنقش على الحجر والمعادن، توارث الموسيقى، وفنون الطرب، يتم هذا عبر منظومة اجتماعية، بعضها تلقائي، ومنها المنظم. ولعل جمعية العاديات من أهم منظمات العمل الأهلي التطوعي في العالم العربي، والتي تقوم بجهد خاص في الحفاظ على تراث حلب والاستمرار به حيا فاعلا في شتى المجالات.

لكل مدينة من يحمل أسرارها، من يقدر على فض مغاليقها، من يجتهد ليصون تفاصيلها اليومية التي يطويها النسيان، عادتها وأسرارها التي

تتغير مع توالي الأزمنة، ولحسن حظي أنني تعرفت إلى بعض هؤلاء،
الذين سعوا في زمن مغاير، بعيد عن زمني، وأولئك الذين أسعدني الحظ
بلقائهم:

من القاهرة المقريري في العصر المملوكي، ومن دمشق ابن عساكر، ومن
بغداد الخطيب، أما حلب فمن الذين صانوا بعضاً من أسرارها في الماضي
كمال الدين بن العديم، وفي القرن العشرين عرفت شخصين، أحدهما
مضى عام واحد وسبعين بعد أن أودعنا موسوعة نفيسة، نادرة،
أعني "موسوعة حلب المقارنة" لخير الدين الأسدي، أما الآخر فأطال الله
عمره، صحبني في رحلتي الحلبية، ورأيت فيه سلافة من كل الذين
ذكرتهم، أعني الصديق محمد قجّة.

التكريم (شعر)



الشاعر كمال قجّة

طلُّ أصابك أم ظبيُّ إليك بدا
قوافلُ الشوقِ تَتَرى في أَعْتِها
كم خلدتُها يدُ الأيامِ شاهدةً
يُسائلُ الرملَ عن وقعِ يلوذُ به
عن المهابةِ التي في لحظةٍ شرراً
مسافرٌ في ثنایا العمرِ عُدتهُ
يَتيمَةُ الدهرِ والعقدُ الفريدُ وما
وسيرةُ العُربِ والأعجاذُ تعزفها
مع العرائسِ تزهو في قلائدِها
يسائلُ الفكرَ عن معنى يراوذهُ
وهذه نَفحاتُ العمرِ قد عبقتُ

أم بُحّةُ تركتُ في مَسْمِيكِ صدى
تسابقُ المجدَ أتى حلٌّ أو بَعدا
فأشرقَ الحرفُ في الأنداءِ مُبْتَرِدا
ويسألُ البيدَ عن صبِّ به شَرِدا
فشتتَ القلبَ في أعطافه بَددا
زادُ العلومِ ولم تعرفَ خطاهُ مَدى
غنى له الدهرُ يبقى راسخاً أمداً
لحناً على وترِ الأيامِ منفرداً
مع التواشيحِ والمعنى الذي خلدا
ويستمدُّ جذورَ الكُتبِ متقددا
فأورقتُ صفحاتُ الدهرِ ما شهدا

وهذه ومضاتُ العرسِ قد شهدتُ
من كلِّ فجٍّ أذاك القومُ واشتعلتُ
تاريخُ أمتنا يحظى بذاكرةٍ
يا واحةَ الفكرِ في صحراءِ غربتنا
أسقيتها قطراتِ الشهيدِ خالصةً
أسكنتها النورَ في بيدااءِ داجيةٍ
نحو الصراطِ إلى الآفاقِ ترسمها
خطاً إلى سُبُلِ الجوزاءِ مترعةً
وعدتُ لعينيكَ أن ترقى بها أممٌ
مع النجومِ تشقُّ الليلَ تعلنه
على المآذنِ نفعٌ من تمجدها
إلى المحاريبِ يتلو آيةً عبقتُ
صلّى أقامَ دعا للهٍ مبتهلاً

" كلنا يديه غياثٌ " أينما وجدنا
على المنابرِ تذكي من رؤاك هدى
تُضفي على الكونِ من إيقاعها رُشداً
أسقيتها الوابلَ المعسولَ مُبترداً
فأشرقَ الحبُّ في أفنائها برداً
منارةُ الشوقِ تضيءُ روعةً وندى
خطاً توزعُ في ساحاتها رَغداً
أعطى الإلهُ لها من خيرهِ مدداً
تقبلُ الحمدَ يستهويه ما حصداً
فجراً تألقَ في محرابها سجداً
يستغفرُ اللهَ في الأسحارِ مُقتصداً
تقدسُ الحقُّ ترقى أمةً سدداً
وأسرجَ الريحَ يمضي للعلا ، قصداً

تردُّ الكَلِمَ المعسولَ مُعْتَمِداً
وراح يسرُّ في الأفكارِ مُنتَقِداً
ويعملُ الفكرَ مفتوناً بما سرِّداً
أقنعتَ مضطرباً أفحمتَ من جَحِداً
جسراً يؤسسُ في عليائها سنِّداً
تباركُ اليومَ ما يصبو إليه غداً
تفجرُ الصخرَ في أعماقها برِّداً
به القلوبُ لتعطي الشهدَ من ورِّداً
إنَّ نسمَةً خطرتُ أو فجرتُ كَبِداً
هذا "شذا العرف"، فن الصرف، ما جمداً
تذكي الهتونَ إذا ما هاطلُ رَعِداً
تعانقُ النسرَ في جناحيه مُنفرداً
يطوي أوابدها من سالفِ صَمِداً
من غابر الزمنِ المعهودِ ما تَلِداً

صدقُ البديهةِ يخلو في مناظرةِ
إذا أدار حواراً أو محادثةً
ويفتحُ الصدرَ مشغوفاً بمسألةِ
مع النصيحةِ والإقناعِ في حُجَجِ
هو التواصلُ في الأفكارِ يجعلُها
إلى الحقيقةِ جنحُ الشمسِ يحملُها
تفتقُ العمرَ في أحداقه صوراً
وصاغَ من لهفةِ الكلماتِ ما صدحتُ
بل إنه العمرُ في أنفاسه عَبَقُ
مع "الأغاني" و"نفع الطيب" ينشرها
هي اللآلئُ في الشهباءِ بارقةُ
تباركُ القلعةُ الشَّمَاءُ عاشقَها
يضمُّ ما حوت الأيامُ من رُقْمِ
يسائلُ المجدَ والتاريخَ عن أثرِ

تمضي لعاشقها تَهفو لمن حصدا
نظم من الشعر أو سعي له رعمدا
جلُّ المكارم لا تُبقي به زبدا
ما ينفع الناس يبقى راسخاً أبدا
وقع السناكب فوق الرمل ما رقدا
يجدد العهد مشغولاً بما وعدا
وجذوة الحب في بُرديه ما خمددا
وصبوة المجد قد ألقَتْ إليك يدا
تحركُ البابَ والمصراعَ متندا
يردُّ الشعرَ في الأصقاع متقدا
به الروائع تطوي الدهر والبلدا
يقبلُ الضيف مشغولاً بما عهدا
صوتُ إليك هفا أم هائم نشدا

"قطر الندى" خطرتُ في ثوب عزتها
مسيرةُ العمر أحلى العمر تسكبه
في الأرضِ يمكثُ فعلُ الخير تُنبئه
إلى الجذورِ وتمضي في الورى أمم
وقلَّبُ الدهر يلقي وثبة عبرتُ
يجرك الشوق في أعماقه وتر
فجذوةُ الشمسِ تغفو في جدائلها
يا عاشقَ الخيلِ و البيداء تعرفه
دقتُ على بابك الموصود من زمن
حيا أبا الطيبِ الآتي بصهوته
تألق الحجر المنضود وانسكبتُ
تزرَح البيتُ في أطرافه ومضى
من المكارم من أعماق أمتنا

نفسٌ بما تعبتُ و أرهقتُ جسدا
إذا تملَّقَ واشٍ بينغي حسدا
عن كاهل الدهر ما أعيأ وما فسدا
في وقعه طربٌ في ناظريه غدا
بها القوافلُ تمضي في الورى صمدا

صوتٌ ترده الجدران تحملها
في دفقة الشعر لا تشبه بائقة
مسيرةُ الأمة الغراءِ قد نفضتُ
لكَ القوافي يجزّ الحرفُ منصلتاً
بوابةَ العرب والآفاق ديدما

الفصل الثالث:

محمد قجة والدراسات التراثية والأندلسية

محمد قجة والدراسات التراثية والأندلسية

رئيس الجلسة:

أ. د. أحمد ارحيم هبو

عميد كلية الآداب سابقاً في جامعة حلب



إضاءات على جهود محمد قجة في معالجة التراث



البروفيسور سليم الحسني

أستاذ في جامعة مانشستر

رئيس مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة

لا يعرف المرء ضيق لغته إلا عندما يحاول التعبير عما يخالج صدره نحو النوادير من الأحبة. ولقد أخذت حظي في شهادتي مساء أمس . (مفهوم التراث عند محمد قجة، والعلاقة بين الحداثة والتراث).. من خلال هاتين النقطتين يمكننا بوضوح استجلاء أبعاد التراث كما يظهر في كتابات محمد قجة.

(المصادر: 54 كتاباً ومبحثاً ومقالة تتعلق بالتراث إضافة إلى مقابلة شخصية مسجلة والتي تعتبر من أهم الوثائق التاريخية)

مفهوم التراث:

التراث هو المجموع المتوارث من الخبرات والحضارات القديمة التي تأخذ شكلها لدى أمة من الأمم ولكنها لا تنفصل عن الأمم الأخرى، بهذا المقياس يرى قجة أن التراث العربي في إطار الحضارة الإسلامية يمثل تراث البشرية كلها¹.

¹ - من مقابلة خاصة مسجلة مع محمد قجة تم إجراؤها بتاريخ الأربعاء 2008/10/15.

لقد اقترحت منظمة اليونسكو تسهياً للدراسة تقسيم الكلمة إلى محورين تراث مادي أي تراث الحجر والعمارة، وتراث غير مادي أي التراث الفكري الشامل، الذي يدخل فيه طراز الحياة الاجتماعية بما فيها من أفراح وأحزان وتقاليد وسلوك وكل ما يتعلق بالصناعات التقليدية والأغاني والأمثال المتداولة.

العلاقة بين التراث والحداثة:

إن الأوربيين الذين دخلوا عصر الحداثة وعصر ما يسمى بعد الحداثة لم يلغوا تراثهم على الإطلاق، بل هم على العكس يتمسكون به عبر العمارة والكتب والشخصيات، ويقدمونه تقديساً كبيراً ويهجمون على تراثنا ليحتفظوا به، فملايين المخطوطات العربية محفوظة لديهم، فضلاً عن آلاف القطع الأثرية المأخوذة من المتاحف ومن مناطق التنقيبات.

لقد فهمنا الحداثة فهماً خاطئاً، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية إذ فهم بعضهم أن الحداثة تعني التنصل من كل ما يمت إلى الأصول والتراث بصلة وبدأ اللهاث وراء ترجمات سرعان ما أصبحت بلا قيمة مثل: الوجودية والعدمية وفيما بعد التركيبيّة والتفكيكية ومثل هذه المصطلحات التي لا تمت إلى طريقة تفكيرنا بصلة.

"إن التراث بأشكاله المادية والمكتوبة والشفوية والروحية قد خضع لهزات عنيفة بعضها مبرمج تخريبي وبعضها طائش متهور، ولكنها أدت

في نهاية المطاف إلى إلحاق الضرر البالغ بهوية الأمة من خلال زعزعة ثققتها بأصالتها وجذورها"².

إن محمد قجة ليس ضد الحداثة إطلاقاً، إذ يرى أنه يجب أن نوظف هذه الحداثة لتطوير حاضرنا وللاحتفاظ بتراثنا³، ومن هذا التطوير أنك تستطيع الآن إدخال عشرات الآلاف من المخطوطات إلى جهاز كمبيوتر صغير مما يوسع دائرة الاستفادة منها.

والتراث أيضاً بحاجة إلى دراسات تحليلية دقيقة متخصصة، وهو يتفق هنا مع كثير من الباحثين في مؤسسة العلوم والتكنولوجيا وفي معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب ويرى أننا يجب أن نركز على التراث العلمي الذي كان له تأثير مباشر في حياة الناس اليومية، لأن التراث الديني والأدبي أُشيع دراسة، في حين أننا نمتلك قلة قليلة من الشروح حول كتب علمية سواء العلوم البحتة أم العلوم التطبيقية التي ساهم بها المسلمون مساهمة كبيرة.

وهذه الكتب تلقي ضوءاً على دورنا الحضاري وتلغي مقولة استشراقية خبيثة قال بها كثير من المستشرقين وبخاصة "ماسينيون"، بأن العرب أمة نظرية ليس لها دور في المجال العلمي، ونحن نستطيع أن نكذب هذا

² - مقال "الحداثة والتراث 2 من 3"، جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11425، 26/10/2003، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8.

³ - من مقابلة خاصة مسجلة مع محمد قجة تم إجراؤها بتاريخ الأربعاء 2008/10/15.

الزعم من خلال ما لدينا من تراث في الفلك والطب والهندسة والزراعة وكثير منه ما يزال موجوداً في قنوات الري والجسور والأنفاق وأساليب الزراعة والطب المعتمد على العلم، فهو يريد من التراث أن نركّز على هذا الجانب إلى جانب محافظتنا على الروح الشعبية الموجودة في تراثنا من حيث الأغاني وما يسمّى بالفلكلور والعادات والتقاليد.

إن التراث يشكل ركناً أساسياً في بناء شخصية الأمة. ويأتي الخطر الكبير الذي علينا أن نواجهه الآن، ما يسمى بالعولمة، ولا يهّمنا الجانب الاقتصادي أو العسكري، بل يهّمنا الجانب الثقافي لأن العوالم حينما تلغي لغة لحساب لغة أخرى يُلغى مع هذه اللغة كل ما يتصل بها من أساليب تفكير وأمثال ومدونات شعبية وموسيقى وتذوب الأمة بأكملها.

جدول توثيقي يظهر كتابات محمد قجة المتعلقة بمفهوم التراث وقضية التراث الحداثة:

رقم	العنوان	معلومات التوثيق	الخلاصة
01	معالجة التراث العربي في مجلة العربي	كتاب العربي 72، إبريل 2008، عنوان الكتاب: مجلة العربي نصف قرن من المعرفة والاستنارة، الجزء الأول، وهو يجمع أعمال الندوة التي أقامتها المجلة بمناسبة مرور نصف قرن على انطلاقتها، ص: 100-115	دراسة في العلاقة بين التراث والحداثة وما قدمته مجلة العربي الكويتية في مجال إغناء التراث العربي ومحاولة إحيائه

دراسة في بعض الأصوات الاستشراقية المنصفة التي درست التراث العربي بعين الباحث الموضوعي المنصف	جريدة اليوم السعودية، عدد: 4976، 29 جمادى الأولى، 1407هـ، زاوية: كل يوم، ص: 7 وص: 17	التراث والأصوات المنصفة	02
استعراض للصدام الحاصل بين التراث والحداثة وعرض واقع التراث العربي المادي والروحي وطرق النهوض به	جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11419، 2003/10/19، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8، كما أعيد نشر جزء من هذه المادة في: جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11586، 2004/5/31، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8 وص: 7، تحت عنوان: التراث أساس التحديث	الحداثة والتراث 3/1	03
استعراض لمواقف التيارين السلفي والحداثي من التراث والمعاصرة	جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11425، 2003/10/26، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8	الحداثة والتراث 3/2	04
استعراض السلبيات التي نعاني منها وطرح الحلول	جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11431، 2003/11/2، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8	الحداثة والتراث 3/3	05

جهود محمد قجة في معالجة التراث:

يجار الباحثُ أمام نتاج محمد قجة، فهو نتاج عصي على التصنيف والفرز إذ يتوزع نتاج الرجل على قضايا عديدة واختصاصات تراثية شتى، وهذا نابع من معرفة موسوعية واهتمامات متعددة، وسنحاول فيما يأتي تسليط بعض الأضواء على إنتاجه في التراث التاريخي والفلسفي والروحي والعلمي من خلال التعرض لبعض الأمثلة من مقالات وكتابات بالدراسة والتحليل.

1- جهوده في معالجة التراث التاريخي.

منذ تخرجه في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق برز اهتمام محمد قجة بالتاريخ وتبدى هذا الاهتمام عبر مجموعة من الكتب والدراسات والمقالات التي تعالج قضايا ومواقف تاريخية، ومن أمثلة هذه المقالات مقال "تطور المنهج التاريخي لدى علماء المسلمين وصولاً إلى ابن خلدون" وهو ورقة مقدمة إلى ندوة "تطور الدراسات التاريخية" المنعقدة في عمّان بتاريخ حزيران 2006، وقد قامت مؤسستنا بترجمته ونشره على موقعها.

فالأستاذ قجة في هذا المقال يبدأ بذكر بدايات ظهور الوعي التاريخي عند العرب مبتدئاً من الزهري (ت 124هـ - 741م) "الذي توسع في جمع الروايات وتمحيصها واستخدام عبارة "السيرة" بدلاً من المغازي"، ثم يتعرض لمن لحقه من المؤرخين أمثال البلاذري والطبري ثم يتوقف عند

مسكويه ولسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون بوصفهم أبرز المؤرخين أصحاب المنهج الواضح في الكتابات التاريخيةⁱⁱ.

ويمكننا تلخيص أهم سمات المنهج التاريخي الذي يحدد محمد قجة معاملة عند هؤلاء بالنقاط الآتية:

1- إن الفكر العربي التاريخي اتجه أساساً إلى سرد الوقائع والأحداث من خلال الرصد أو الرواية المسندة، ويرى قجة أن علم التاريخ استفاد في ذلك من علم الحديث.

2- إن كلمة "التاريخ" تعني في المعجم الغاية والوقت الذي ينتهي إليه كل شيء. وبذلك يتصل المعنى بحركة الزمن المرصودة وليس بالحكاية الأسطورية باللغات الأوروبية التي تشير إليها كلمة **History**.

3- الغاية النبيلة من كتابة التاريخ كعلم، ويندرج ذلك في إطار العلوم جميعاً كعمل يتقرب به صاحبه إلى الله وكأنه شكل من أشكال العبادة، وليس عملاً نفعياً يتوخى مصلحة آنية.

4- سرد الروايات القديمة بصورة حيادية وترك التعليق عليها وإلقاء مسؤولية روايتها على من أسندت إليه.

5- الاعتراف بالآخر وعرضه بموضوعية إلى حد بعيد وعدم إلغاء من يخالف الرأي أو الدين أو المذهب أو العرق.

جدول توثيقي يظهر كتابات محمد قجة المتعلقة بمعالجة التراث التاريخي:

رقم	العنوان	معلومات التوثيق	الخلاصة
06	صور من العلاقات المتبادلة بين أوروبا وشمال بلاد الشام	مجلة التراث العربي، فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: 97، آذار 2005، صص: 13-19	دراسة في تاريخية العلاقة بين أوروبا وحلب وكيف أثر الجانب التجاري على الناحية الحضارية والثقافية
07	المنهج التاريخي عند ابن الخطيب	الورقة المقدمة إلى ندوة "لسان الدين ابن الخطيب" المنعقدة في جامعة حلب بتاريخ "التاريخ غير متوفر"	أهم مؤلفات ابن الخطيب التاريخية ومصادر ثقافته التاريخية ودراسة منهجه في التأليف التاريخي ومقارنته بمنهج مسكويه وابن خلدون وآراء بعض الدارسين بمنهجه
08	تطور المنهج التاريخي لدى علماء المسلمين وصولاً إلى ابن خلدون	الورقة المقدمة إلى ندوة "تطور الدراسات التاريخية" المنعقدة في عمان بتاريخ حزيران 2006، وقد قام منظمو الندوة بطباعة أعمالها في كتاب بعنوان: نحو قراءة عربية للتاريخ والحاضر، صدر عن المؤسسة العربية	دراسة تحليلية لمنهج ابن خلدون في تدوين التاريخ ومن سبقه من المؤرخين كابن الخطيب

	بيروت ومؤسسة عبد الحميد شومان بعمان عام 2007 وياشرف: علي محافظة، كما أعيد نشر هذه المادة بشكل موسع في: كتاب: محاضرات موسم 2005-2006، جمعية العاديات، فرع اللاذقية - اللجنة الثقافية، تحت عنوان: ابن خلدون وفلسفة التاريخ		
دور هذا القائد في حروب التحرير التي قادها صلاح الدين والإشارة إلى اندماجه وهو التركمانى واندماج صلاح الدين الكردي في حضارة واحدة	جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11544، 2004/4/5، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8	مظفر الدين الأربيلي - 549 - 630هـ	09
استعراض سريع لحياته وظروف توليه الخلافة وذكر المقولات والقواعد التي ورثت عنه في المجال القانوني والسياسي	جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11825، 2005/5/2، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8	عمر بن عبد العزیز الغائب الحاضر	10

والإداري المعاصر			
دراسة في مدارس تدوين التاريخ عند العرب والأساليب العلمية المتبعة في هذا التدوين عند كل من مسكويه وابن الخطيب وابن خلدون	مجلة العاديات، جمعية العاديات - حلب، خريف وشتاء 2006	تطور المنهج العلمي في الكتابات التاريخية عند العرب	11
الحديث عن حياة ابن حزم ومنهجه في تدوين التاريخ	الورقة المقدمة إلى ندوة "ابن حزم الأندلسي المنعقدة في جامعة حلب	ابن حزم الأندلسي مؤرخاً	12

2- جهوده في معالجة التراث الفلسفي والروحي:

يتناول محمد قجة هذا الجانب من التراث عبر دراسات كثيرة تعرض
فكر ابن رشد وابن عربي وجلال الدين الرومي، وسنكتفي في الجانب
الفلسفي بإلقاء بعض الضوء على دراسته عن ابن رشد أما في الجانب
الروحي فسننتحدث عن دراسته عن "قيم التضامن والتكافل في التراث
العربي".

في دراسته عن "ابن رشد رائد الحوار في الحضارة الإسلامية"ⁱⁱⁱ يتحدث
عن فلسفة ابن رشد ومنهجه العقلي ومؤلفاته ويستعرض آراءه في قضية

الدين والفلسفة، ثم يتوسع في الحديث عن الظاهرة الأساسية في مذهب ابن رشد الفلسفي أي "العقلانية" وارتكازه على العقل والبرهان والنظر والتأويل على أساس ذلك، وتشديده على دور العقل في انطلاقه الحر للبحث عن قوانين الطبيعة، رابطاً السبب الفاعل بالموجودات، ويؤكد على تمجيد العقل مع التوفيق بين الدين والعقل، فالشرع قد دعا إلى البحث في المعقولات.

كما يتحدث عن استفادة الفلسفة العبرية من ابن رشد من خلال أعمال الفيلسوف العبري موسى بن ميمون، واستفادة الفلسفة الأوربية والفكر الأوروبي من نتاج الفيلسوف المسلم ذاكراً أسماء مهمة مثل توما الإكوييني وبيكون ورينان وغوته وبلاثيوس^{iv}.

إن محمد قجة في هذا المقال يحاول استجلاء أبعاد فكر ابن رشد بوصفه واحداً من أوائل الفلاسفة الذين دعوا إلى الحوار عبر منهجه العقلي الذي ينادي بقبول التأويلات المتعددة ومن ثم قبول الآراء المختلفة التي تقود بالضرورة إلى قبول الآخر.

في الجانب الروحي من التراث يكتب محمد قجة عن "قيم التضامن والتكافل في التراث العربي" وهي الورقة المقدمة إلى ندوة "التضامن والتكافل في الحضارة العربية والإسلامية" المنعقدة في تونس.

وفي هذه الورقة ينقب محمد قجة في مصادر التراث المختلفة عن هذه القيم وتبرز موسوعيته الواسعة من خلال إلمامه بالمصادر المتعددة التي تغطي مرحلة زمنية تمتد على أكثر من 1400 سنة.

فهو يرى أن الإنسان كان دائماً محور اهتمام الحضارة الإسلامية، وعماد تلك القيم، وإليه اتجهت كل الدراسات والعبر والمواعظ والتجارب، بحيث خلفت لنا تلك الحضارة نماذج من العطاء الفكري والإنساني لا حدود لها^v، ثم يتحدث عن وجود هذه القيم في التاريخ الإسلامي والقرآن الكريم والحديث الشريف وتأثير الحضارات الإنسانية بما قدمته الحضارة الإسلامية في هذا المجال ودور ابن رشد وابن عربي في هذا التأثير بشكل موسع لن يتسع لنا المجال هنا للتفصيل فيه.

جدول توثيقي يظهر كتابات محمد قجة المتعلقة بمعالجة التراث الفلسفي والروحي:

رقم	العنوان	معلومات التوثيق	الخلاصة
13	الشيخ محيي الدين ابن عربي وأثره الحضاري في حوض المتوسط	مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية طهران، المجلد الأول، العدد الثاني، شتاء 2004، صص: 125-136 وقد أعيد نشر هذه المادة في:	حياة ابن عربي وأسفاره ومؤلفاته وأثره في الفكر العالمي عبر الحديث عن أمثلة من العديد من الفلاسفة الغربيين الذين تأثروا به

	جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11679، 2004/10/4 زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8 ، تحت عنوان: ابن عربي وأثره في الحضارة الإنسانية		
دراسة في فكر الكواكي الاجتماعي والتربوي والتركيز على قضايا: الأخلاق، المرأة، الشباب، العلاقات الاقتصادية، التعليم.	الورقة المقدمة إلى ندوة "الكواكي وحركة الإصلاح الإسلامي" المنعقدة في عمان بتاريخ "التاريخ غير متوفر"	الإصلاح الاجتماعي عند الكواكي	14
دراسة في ابن رشد وعصره وآثاره وفلسفته وتأثير الفكر الأوروبي بفكره عبر الأمثلة والنماذج	الورقة المقدمة إلى ندوة "ابن رشد" المنعقدة في حلب وقد أُعيد نشر هذه المادة في: جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 11689، 2004/10/18 زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8 ، تحت عنوان: ابن رشد رائد الحوار في الحضارة الإسلامية	ابن رشد وأثره في الفكر الأوروبي	15
استعراض لأعمال مؤتمر عقد في جامعة بيروت العربية تحت عنوان: التبادل الثقافي والحضاري	جريدة الجماهير الحلبية، عدد: 10286، 1999/12/8 زاوية من الفكر والقلب، ص: 8	حضارة المتوسط بين الصراع والحوار	16

بين شعوب حوض البحر المتوسط، واستعراض مشاركة قجة فيها			
عصر جلال الدين الرومي وحياته وأسس الفكر الصوفي عنده ومناقشة قضية الصوفية ووصفها بالانتمائية من قبل التيار السلفي	كتاب: محاضرات موسم 2006-2007، جمعية العاديات، فرع اللاذقية - اللجنة الثقافية	جلال الدين الرومي وفلسفة التصوف	17
الحديث عن هذه القيم ووجودها في التاريخ الإسلامي والقرآن الكريم والحديث الشريف وتأثر الحضارات الإنسانية بما قدمته الحضارة الإسلامية في هذا المجال ودور ابن رشد وابن عربي في هذا التأثير	الورقة المقدمة إلى ندوة "التضامن والتكافل في الحضارة العربية والإسلامية" المنعقدة في تونس بتاريخ "التاريخ غير متوفر"	قيم التضامن والتكافل في التراث العربي	18

3- جهوده في معالجة التراث العلمي.

لا توازي نتاجات محمد قنجة في الجانب العلمي من التراث مثيلاتها في الجانب التاريخي فتلك أكثر وفرة وأعمق تحليلاً، في هذا الجانب يتركز عمل محمد قنجة على تعريف القارئ بالجهودات العلمية للعلماء العرب، ومن ذلك مقاله عن "مجالات التأثير العلمي بين حلب والأندلس"^{vi}، الذي يرصد فيه دور العلماء الأندلسيين في المشرق العربي بعامة وحلب بخاصة عبر الحديث عن أطباء من مثل عمر بن علي البذوخ القلعي وعبد المنعم الجلياني وابن سمعون وأبو الحجاج يوسف بن البيطار، وعلماء نبات من مثل ابن الرومية.

ومن الأمثلة المميزة على اهتمام محمد قنجة بالتراث العلمي ورقته المقدمة إلى ندوة "الشريف الإدريسي وحوار الحضارات" المنعقدة في أسبانيا بعنوان: "الإدريسي رائد الجغرافية التاريخية والحوار الحضاري".

إن الأستاذ قنجة في الورقة المذكورة يتحدث بعمق عن رحلات الإدريسي ومؤلفاته العديدة مظهراً فضله على علم الجغرافيا في عصره وفي عصرنا الحالي.

وبعد استقرائه الدقيق لإرث الرجل يحدد معالم منهجه الجغرافي بالنقاط الآتية:

- الاعتماد على ملاحظاته المباشرة وأسفاره.
- الاستفادة من أحاديث الرحالة والتجار و الحجاج الذين التقاهم.
- الاستفادة من معلومات الجغرافيين السابقين مثل بطليموس وابن حوقل.
- الاستفادة من معلومات الرواد الذين أرسلهم بنفسه لسبر أغوار البلاد والعودة إليه بما حصلوا من معلومات ومعارف.
- استخدام لوح الترسيم لتحديد المسافات بين المدن والأقطار.^{vii}

جدول توثيقي يظهر كتابات محمد قجة المتعلقة بمعالجة التراث العلمي:

رقم	العنوان	معلومات التوثيق	الخلاصة
19	صور من التأثير العلمي بين الأندلس وحلب في القرون 6 - 7 - 8 للهجرة	مجلة العاديات، جمعية العاديات بحلب، العدد صفر، ربيع 2004، ص: 23-31. وقد أعيد نشر جزء من هذه المادة في: جريدة الجماهير الحلبيّة، عدد: 11408، 2003/10/5، زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8، تحت عنوان: صور من التأثير العلمي بين الأندلس وحلب. كما نشر جزء منها في: جريدة الجماهير الحلبيّة، عدد: 11413، 2003/10/12	دراسة في أثر المهاجرين الأندلسيين إلى حلب في مجالات العلوم التطبيقية والعلوم النظرية ومجال الفلسفة والتصوّف

	زاوية: قلعة بلا أبواب، ص: 8 وص: 7، تحت عنوان: مجالات التأثير العلمي بين حلب والأندلس		
اهتمام الفلاسفة والأطباء العرب بتربية الطفل وتخصيص ابن سينا بالحديث والتركيز على نقاط: حركة الوليد، التلحين "المهددة"، سياسة الطفل، الميول، الصحة النفسية، ضرب الطفل، اللعب، نظافة الطفل، تعليم الطفل	جريدة اليوم السعودية، العدد: 4611، 12 جمادى الأولى، 1406هـ، زاوية: كل يوم، ص: 5	ابن سينا وتربية الأطفال	20
علم الجغرافيا عند العرب، الإدريسي حياته وعصره، وجهوده في علم الجغرافيا	الورقة المقدمة إلى ندوة " الشريف الإدريسي وحوار الحضارات" المنعقدة في أسبانيا	الإدريسي رائد الجغرافية التاريخية والحوار الحضاري	21
استعراض الظروف السياسية والعسكرية والثقافية والفكرية للقرن السادس الهجري الذي ولد فيه الإشبيلي	الورقة المقدمة إلى ندوة "ابن العوام الإشبيلي" في معهد التراث العلمي العربي - حلب	عصر ابن العوام الإشبيلي	22

ثالثاً: قضية حوار الحضارات في جهود محمد قجة التراثية:

تكاد هذه القضية تكون الهدف الحقيقي الخفي وراء كل دراسات محمد قجة التراثية بأنواعها التاريخية والفلسفية والروحية والعلمية.

وقد ذكر هذا الهدف صراحة في عدد من البحوث والدراسات، ومن هذه البحوث:

1- الشيخ محيي الدين ابن عربي وأثره الحضاري في حوض المتوسط^{viii}.

2- صور من العلاقات المتبادلة بين أوروبا وشمال بلاد الشام^{ix}.

3- حضارة المتوسط بين الصراع والحوار^x.

4- الحوار المتوسطي^{xi}.

5- ابن عربي وأثره في الحضارة الإنسانية^{xii}.

يضاف إليها العناوين التي ذكرت سابقاً في هذه الورقة وعناوين أخرى كثيرة يضيق المجال عن ذكرها هنا. وهي في معظمها تركز على قضية واحدة يمكن تلخيصها باليد الممدودة من قبل شعوب جنوب المتوسط والنفور الذي لاقته هذه اليد في معظم الحالات من قبل الشمال.

ولي طلب من الأستاذ محمد قجة:

أستاذي الكريم:

لقد لاقيت من التعب في جمع مادة هذا البحث الشيء الكثير، فمقالاتك وبحوثك على كثرتها وأهميتها لا تزال متناثرة في بطون الجرائد والمجلات والأدراج التي تخزن فيها عادة أوراق الندوات العلمية التي نقيمها، حبذا لو جمعتها في كتب فبذلك ستتوسع دائرة الاستفادة منها بشكل كبير.

بارك الله في عمرك وعملك.



مُتِمِّم حلب وهاجس الأدب

(قراءة في بائية الوجد)

الأستاذ الدكتور الطاهر الهمامي

أستاذ في جامعة منوبة في تونس

اخترتُ واحدة من بنات محمد قجة الشاعر كي تكون سبيلي إلى المشاركة في هذا الحدث. وقد كان نشرها، وطالعُها، وشدَّتني، وأُحب أن أغتتم فرصة التكريم عساني أوفَّق إلى تقديم صورة من صور البُعد الصامت في شخصية الختفى به⁽⁴⁾.

وهي من القصائد التي لا يجد القارئ عنَّا في قراءتها والإحاطة بمقاصدها، فقد توخَّى فيها مُقصدُها "بلاغة الوضوح" التي عدَّها النقاد القدامى أمانة إماراة البيان، وسمَّة نظم الفحول، قبل أن يأتي أبو تمام في القرن الثالث ويرسي بلاغة الملبس والمحال، فِيربك المؤسسة النقدية وينقض السنَّة الشعرية.

آثرتُ ذلك، لأن أبا حسن شاعر، ولو صامتا، نشر العديد والعديد لم يُنشر، وهو إلى ذلك حَفَاطة، وصدرة عامر بديوان العرب. فأنت تراه يستعيد القصيدة من سماع واحد، وتسمعه ويُدُّه على مقوده يتلو نادر الأشعار، وبعضها للبحثري في صاحبتة علوة، بعدما يكون قد عرفك بالموضع الذي ضمَّ خلواتهما.

⁴ محمد قجة، قبلة حنان على ثغر الشهباء، عاديات حلب، 1998، ص 157 .

وكنْتَ تَعْجَبُ وتقول: هذا رجل قادم من عصر أجهل وسليل سُلالة عمرها أطول! وإلى ذلك، هو ناثر ونثره كلام منخَّل، ثم قيل هذا وبعده صاحبنا مُتَمِّم، ولَهوى حلب وهوائها ما للأكسيجين في الإبقاء على علوِّ هامة الإنسان واستقامة قامته، فهل كان المتيمون إلا شعراء، وهل أبلغ من "فستقُ مَقَشَّر" (5) في تصوير الوجد، وترجمة الوجدان؟

يقول محمد قجة نشرنا يقدم بانيته التي نقرأ، في خاتمة الفصل الذي ضمَّها، وكأنك به ابن حزم يحتتم باباً من أبواب "طوق الحمامة" بقصيدة له عن قرطبة الغراء: "وأختم حديثي بقصيدة لي عن حلب الشهباء التي هي حبي ومرتع طفولتي وصباي وشبابي، وبيتي الجميل وهوائي العليل ومستقبل أبنائي" (6)

هذه البائية التي تخير لها صاحبها من العناوين "قبلة حنان على ثغر الشهباء" والتي تعداد أبياتها 37، بناها على قافية ذات نسب (سبق إليها السابقون في حُبِّ حلب، أمثال رزق الله حسون وبشارة الخوري وقيصر المعلوف ومحمد عبد الغني وسليمان العيسى وقدرى مايو)، وأجراها على وزن من عتاق الأوزان هو البسيط الذي استأثر، مع الطويل والكامل، بنسبة كبيرة من الشعر العربي إلى عصور متأخرة، ولم يتخلَّ محمد عن سُنَّة التصريح فاستهمل يقول:

أهواك يا حلبُ الشهباءُ فاقتربي وعانقيني لأرقى فيك للشُّهْبِ

⁵ أطلقه بعض النقاد القدامى على شعر عمر بن أبي ربيعة.

⁶ محمد قجة، حلب في عيون الشعراء، عاديات حلب، 1998، ص 156

وتواترت عنده مفردات الغزل وإن سارع إلى التأشير على كونه الغزل بالأوطان
وعشق الحواضر والبلدان. فقد سبق لصاحب "أغاني الحياة" أن خاطب
خضراءه متغزلاً :

أنا يا تونسُ الجميلة في لُجِّ الهوى قد سبحتُ أيَّ سَبَّاحه
شرعتي حبِّك العميقُ وإني قد تذوّقتُ مُرَّهُ وقَرَّاحه
لا أبالي وإن أريقَتْ دماي فدَمَاءُ العُشَّاقِ دوماً مُباحه

وإذ خاطب صاحبُ حلب شهباءَه مخاطبة الأحياء وخلع عليها من صفات
المليحات البديعات، فقد توخَّى أسلوب البديع استعارةً وطباقاً ومقابلةً وجناساً
للظفر بالمبنى المشاكل للمعنى، ووجدتَ نفسك وأنتَ تقرأ أمام طبقتين من
الدلالة : طبقة المعاني الأوَّل حيث الخطاب يوهم بمناجاة بشر، وطبقة المعاني
الثواني المشيرة إلى كونها مناجاةً أثير، فالسطحُ حبُّ الغواني والعمقُ عشق المغاني.
أما صورةُ المُحبِّ فقد قُدَّتْ من تراث المُتَمِّين الذين سكَّنوا بأشعارهم ذاكرته،
وتحديداً أولئك الذين سكنهم هوى الشهباء وشجاهم فراقها.

فاتحةُ القول إعلان الهوى وتحديد طبيعة العلاقة الغزلية بين المتكلم ومخاطبته:
"أهواك يا حلب الشهباء..." (ب1) فمن ناحية متكلم يهوى ومن ناحية مخاطبة
ذات هوية عليّة يرتجئها وصلاً يصل به إلى السماء، فسلطانها فوق سلطانه،
لكأنها زنوبيا أو ضيفة خاتون أو خولة اللواتي سكنَّ وجدانه.

وإذا كان تعداد أبيات المقطع الأول أحد عشر فإن أربعة منها (ب7،9،3،2) انعقدت على جمال عيون المخاطبة، ولا غرو فوراء بائية قجة وأمامها تراث شعري حافل بجمال عيون الحليبات وفتنتها، ولم يكن أبو الطيب أول من علقها أو آخرهم في مثل قوله :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وتوختى في أداء المعاني الدائرة على أصيل الجمال مبانٍ من طرازها، قوامها العريق الذي يُذكر بإنشائية القصيد الإحيائي في إتيان ضروب الجناس وخاصة منها ظاهرة رد الأعجاز على الصدور:

كم ذا أكابد في عينيك من وصَبٍ وتستطيينَ من همِّي ومن وصبي
(ب7)

وفي نسج المقابلات وألوان الطباق (ب7،4...) والتشكيلات الصوتية التي هيمن عليها معنى الحلقيات (ع، غ، ح، هـ، أ) المؤدي معنى الصباية الذي احتل مكان الاستهلال من القصيدة واستغرق مقطعها الأول.

أما الثاني، وهو الأطول (ب25) ففيه الانتقال بضمير التكلم من الأفراد (أنا) إلى الجمع (نحن) وضمير الخطاب من مجاز الكائن البشري إلى حقيقة الكائن الأثري، وبالأسلوب من هيمنة المناجاة إلى هيمنة السرد. تلك كانت سيماء المتكلم المحب، أما المخاطبة فمرت من مرحلة الصورة المخيلة (الحسناء) حيث

الغزل بمثابة الغرض، والمتغزل يُناجي ويلتمس، والإنشاء يتواتر بالنداء والطلب (ب، 10، 9، 8، 5) إلى مرحلة الصورة الواقعية (المدينة) حيث تعداد الأمجاد وشواهد العظمة، ولذا جاءت فاتحة المقطع تفتح على التاريخ:
"شهباءُ يا مولد التاريخ... (ب13).

صورة الحاضرة العريقة بأعلامها وأعمالها ومعالمها، وبمعدن ذوبها وبنيتها، قُدَّت من شعر الفخر، والمديح، والحماسة، والحكمة، وقد حرص شاعرها على إبراز ما يرمز إلى هويتها العربية (العرب، ب24) والإسلامية (المآذن، ب23) ومآثرها الحضارية (القلعة، ب20) ومهضتها الحمدانية التي خصّها بوقفه طويلة (ب26-35) امتدح فيها سيف دولتها وعدد أسماء أدبائها ومفكرها الذين ميّز من بينهم أبا الطيب واختتم بيتين أولهما استئناف لمناداة حلب ومناجاتها وتعبير عن دوام الولاء :

شهباءُ نحنُ بنوكِ العُرِّ، مهجنتنا عشقٌ ومقلتنا ترنو إلى حَلبِ (ب36)

والثاني وهو بمثابة بيت القصيد استعادة لضمير المفرد وإعلاء لنبوة الفخر والمعنى الانتماء تاج معاني الولاء:

إنْ فَاخِرَ القَوْمِ فِي أَرْضٍ وَفِي نَسَبٍ إِذَا لَفَاخِرَتْ أُنِّي اليَعْرُبِي الحَلْبِي (ب37)

ولم تخلُ البائية من شعر الحكمة في شأن الحياة وطبيعتها:

هي الحياة سُلالاتٌ مُعْتَقَةٌ بالأُمْنِياتِ إِذا تَنَبَوْا وَإِنْ تُصَبِّ (ب16)

وفي شأن القلب وأطواره:

قَدْ يَهْرَمُ الْقَلْبُ فِي غَرَاءِ صَبْوَتِهِ وَقَدْ تَشِيبُ الرُّؤْيُ وَالْقَلْبُ لَمْ يَشِبْ
(ب17)

خلصُ إلى القول بأن العرَاقَةَ هي الجسرُ المُمتدُّ بين حلب القصيدة وحلب المدينة في هذه البائية. شكل عريق احتضن أعرق المدائن ونص تحتشد داخله أصداء النصوص الأثيلة وتحديدًا أصداء "معجز أحمد" غزلا ونسيبا، وحكمة وتأملا، وشوقا وتحانا، وكفى الخلف أنه سليل قول القائل:

أتيتُ بمنطقِ العربِ الأصيلِ وكان بقدر ما عاينتُ قبلي

وهل في وَسعِ المتيمِّمِ أن ينسى حينَ يحنُّ:

كَلِّمًا رَحِيتُ بِنَا الرُّوضِ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ
فِيكَ مَرَعَى جِيادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ

فإن النص يُؤلّد من النص والتناصّ جسر ممدود بين كافة النصوص على مر العصور، والتنافس على حسن التركيب وطرافة الانزياح، وقد سبق لأبي تمام أو وضع يده على هذا المفتاح فقال، يعني شعره :

لِي فِي تَرْكِيْبِهِ بَدْعٌ شَغَلْتُ بِاللِّي عَنِ السُّنَنِ

وسواء نظرت داخل القصيدة وتابعتَ صاحبها وهو يبني مبانيتها ويُعلي معانيها، أو نظرت إليه خارجها وهو يتقدم زوّار الأوابد ويقصّ قصتها أو رأيته يتقصّى موقع بيت المتنبي بين المواقع وفي المراجع، أو ينهَمِكُ في تحقيق ذخيرة من الذخائر، أو يجتبر فصلا من فصوله الماتعة النافعة أو يسهر على دوران عجلة "العاديات"، فإن الإنسان والفنّان في محمد قجّة ماهية واحدة، لا انفصال ولا انفصام. وعسى أن يجد الوقت لإصدار ذخيرة العمر، دواوينه وبقية كتبه، فيتاح للباحث أن يحيط بكامل الصورة، وعسى أن يكون هذا الحدث حافرا للرجل.

ومهما يكن من خلاف حول نهج الشاعر في تقصيد القصيد فقد لا يُنكر أحد أنّه وُفّقَ إلى تحقيق معادلتين: المعادلة بين المبنى والمعنى، والمعادلة بين القول والفعل، فأفلت بذلك من عتّب الفلاسفة ونقد الناقدين في الماء العكر.



محمد قجّة والشيخ الأكبر

الأستاذ الدكتور يوسف زيدان

مدير مركز المخطوطات ومتحف المخطوطات

في مكتبة الاسكندرية

جئت محمولاً على أجنحة المحبة، وأقولها صادقاً: لا يوجد شخص في الوطن العربي يستطيع أن يحضرنى إلى مدينته، سوى محمد قجة.

الأستاذ محمد قجة فيما أرى قيمة كبيرة تعطي لهذه المدينة عمقاً مميزاً. قبل بضع سنين تلقيت دعوة بالجميـء إلى حلب، ولست من محبي السفر، فاستشرت صديقي الكاتب جمال الغيطاني، فقال مبتهجاً: لا بد أن تذهب، سترى القلعة ومحمد قجة. هكذا قال.

اتصلنا به من مصر فقال كعادته: مرحباً، وأنه سيمر علي لنى قلعة حلب. وكتبت بعدها أن من لا يرى حلب بعين محمد قجة فلا داعي لرؤيتها لأنه سيفقد الكثير. كان يسير بي بين دروب القلعة ليحكى تاريخاً كامناً في الأحجار وفي الزوايا. ولن أنسى طبعاً هذا اليوم على الرغم من مرور عدة سنوات.

ولكن رأيت ما تأكدت منه بعد ذلك في محمد قجة، السمات الكبرى، الوهج الحقيقي، هو لا يصطنع اهتمامه بهذه المدينة، هو اهتمام حقيقي كامن فيه بصدق كبير ينطلق في كل وقت وبنفس الدفء وبنفس الحب، وسوف نرى بعد ذلك كيف يعنى بهذه المدينة حتى وإن بعد المسار به.

الصفةُ الثانيةُ فيه - ما دمنا في معرض تقديم شهادات - هي اللطف الشديد، هو من أطف الناس الذين عرفتهم، ويستطيع بلطفه هذا أن يحيط بمن معه فيجلله بسحابة فيها من العناية والرحمة والرفق به، فلا يقلق من يصحب محمد قجة أبداً.

الصفة الثالثة هي المحبة، هو شخص محب حتى وإن اختلفت معه، شخص لا ينهمك في الخلاف مثلما يفعل الضعفاء، ويشير إلى أنه غير راضٍ عن هذا فقط، والمحبة أصيلة فيه، في كلامه، في بيته، في زوجته السيدة الفاضلة عفاف، وبالمناسبة فقد التقيا وهما صغار - هو لا يعرف أنني أعرف - أنهما التقيا صغاراً في مدرسة المحبة في حلب، وتحابا، وأنجبا حسن وزيد هما اللذان عرفتهما وأختيهما بانه.

هذه المحبة الكبيرة رأيتها حاضرة في أسرة محمد قجة، في كلام محمد قجة، في علاقته مع الآخرين، في عنايته بالمدينة، ثم في أعماله التي نلمس دائماً فيها حباً لما يكتبه وحباً جارفاً خاصة إذا ما تعلق الأمر بحلب.

كتب محمد قجة مؤخراً مقدمة لكتاب محي الدين ابن عربي، وكان لابد لي أن أتوقف عند هذا العمل وقفةً ولو سريعة، لأنَّ الشعر الصوفي عادةً ما يلقي إهمالاً مزدوجاً من دارسي التصوف ومن دارسي اللغة، فهؤلاء يحسبونه خارج نطاق اختصاصهم، وأولاء يدعون أنه خارج نطاق اختصاصهم، ومن ثم وقع بين شقي رحى الدراسات اللغوية والدراسات الصوفية، الذين يدرسون التصوف في الغالب ينتمون إلى أقسام الفلسفة، والذين يدرسون اللغة عادةً يكونون مبتعدين قليلاً عن مجال الصوفي، ولذلك فالشعر الصوفي عموماً هو أحد مجالات الدراسات التراثية المهجورة مع أنه فيما أرى هو المجال الأوسع لاستكشاف التصوف لأن بنية القصيدة ونظام الشعر يشابه بنية التصوف ونظام الأحوال والمقامات.

القصيدة بشكل عام تبدأ بمطلع يأخذنا عادة إلى قمة توهج النص في نهايته، وكذا التصوف هو يبدأ بأحوال تصير بعد حين مقامات لا آخرها، ولكن يظل الصوفي يترقى فيها كما لو كان يتسلق أبياتاً شعرية، والشعر بطبعه أشاري يلمح من بعيد وكذا التصوف (الحقيقي) لأنه لا ينتمي إلى هذا العالم، ولذلك كان الشعر الصوفي مفتاحاً من المفاتيح الأساسية لدارس التصوف لكنه أهمل إهمالاً كبيراً ولا أظن أن ما صدر محققاً من دواوين الشعر الصوفي حتى هذه اللحظة يزيد عن ستة أو سبعة دواوين أنا أخذت منهم ثلاثاً مثلاً.

والآن يأتي الأستاذ محمد قجة بكل صفته هذه ليتجه إلى محي الدين ابن عربي، تساءلتُ - بيني وبين نفسي - هل قصد محمد قجة أن يسد هذا النقص في المكتبة العربية أم هو رأى ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر وهو ابن حلب الأكبر فالكبير استدعى الكبير، أم أن ابن عربي مر على حلب؟؟

وهنا نقف وقفة. كتب الكثيرون عن ابن عربي من عثمان يجيى إلى ميشل شكيتشي ... وكثيرون فلم يلفت نظري أبداً ما رأيت في هذه المقدمة اللطيفة التي كتبها محمد قجة من أن ابن عربي نزل حلب، قد يكون هذا خيراً مفرداً من بين المراجع لكن محمد قجة يقف عنده.

وبمناسبة النشر لم أفهم في الوقت الذي كان محمد قجة ينشر عشرات الكتب، فإن كتابه هو نشره في بيروت، وكان في منتهى البساطة ينشره بشكل أسهل، ولكنه نشر للآخرين، بينما نشر لنفسه خارج الحدود!

وتوقف عند هذه المسألة، ثم توقف أيضاً عند مسألة مهمة في سيرة محي الدين ابن عربي - وكان لابد له طبعاً أن يتوقف عندها بسبب صفة المحبة التي ذكرتها أولاً - وهي محبة محي الدين ابن عربي للنظام، هذا الصوفي العالم الذي أراه دائماً كمثل كون لا حدود له وبكل هذه المعرفة والرؤى العميقة التي قدمها في شعره طبعاً وفي الفتوحات المكية وخصوصاً الحكم وعشرات بل مئات الرسائل الصوفية.

عندما نزل إلى مكة وحضر مجلس شيخ مكة - الأستاذ محمد يسميه
بـ(أبي خاشه) وهو طبعاً أشهر أسمائه- وهو زاهر ابن رستم الكيلاني
شيخ الحرم، وكان لشيخ الحرم هذا ابنةً يصفها ابن عربي نفسه بأنها
(طفلة هيفاء عراقية الظرف أدبية بليغة، إن أسهبت أتعبت، وإن
أوجزت أعجزت). وألف فيها ديواناً "ترجمان الأشواق" ثم شرحه في
ديوان آخر "ذخائر الأعلاق"، والديوان الكبير عملٌ يختلف عن هذا،
شعر صعب قام الأستاذ محمد بإعادة بنائه على حروف المعجم وضبطه
ضبطاً كاملاً وأصلح أخطاءً كثيرة فيه وهولم يشر حتى لهذا! ولا أعرف
سبباً لذلك، هل من باب الخجل مثلاً؟

أنا عرفت هذا الديوان في طبعته الأولى، وكان من المقدر أن أقوم من
زمن بضبطه ولكنني انشغلت أو تشاغلت عنه. والآن حين أنظر في هذا
النص أعرف كم اجتهد أستاذ محمد في بناء هذا الديوان وفي ضبطه.
وشعر ابن عربي يختلف عن شعر بقية الصوفية، هو شعر جامد ليس ليناً
مثل أقوال الصوفية الآخرين ولا زخرفياً حتى كشعر ابن الفارض، هو
يضع في الشعر مالا يمكن له أن يضعه النشر يقول مثلاً:

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدتُ جميع ما عقده

هذا الكلام قد يمر شعراً بسلام ولكن، لو كان ابن عربي قد كتبه نثراً
لكان حكماً عليه وتعلمون طبعاً أن للمحاكمات في ثقافتنا تاريخاً طويلاً
لا نعلم متى بدأ ولا نعلم متى سينتهي! فكان الشعر بالنسبة لابن عربي
هو باب لصياغة نظرات فلسفية معقدة بشكل يصعب حتى على بعض
الدارسين المتخصصين في التصوف.

ومن ثم، فقد كان ضبط هذه الأشعار عملاً يليق بالأستاذ محمد الذي
أضاف إلينا عملاً مهماً وأعاد إحيائه بيننا وشكراً له على هذا الجهد.

محمد قجّة.. الأديب والمؤرخ والباحث



الأستاذ الدكتور محمد الأرنؤوط

أستاذ في جامعة آل البيت في الأردن

أود أولاً أن أعبر عن أسفي لأنني لم أتمكن البارحة من القدوم في الوقت المناسب وبالتالي المشاركة في هذه الندوة التكريمية للأستاذ محمد قجّة من أولها إلى آخرها.

حقيقةً جئت من عمان اليوم وأنا أحمل معي تحية من جمهور عمان أيضاً إلى الأستاذ محمد قجّة، وأنني وأن أقدر احتفاء حلب بابنها البار الذي كتب الكثير أدباً وتراثاً وتاريخاً عن حلب، ولكنّ - كما قيل اليوم أيضاً - اهتمامات الأستاذ محمد قجّة تجاوزت كثيراً حلب وبلاد الشام، ولذلك حق أيضاً أن أحمل له هذه التحية ممن يعرفونه ويقدرونه، خاصةً أنه على الأقل خلال العشرين سنة التي أعرفها شارك في الأردن مراراً وتكراراً في عدة ندوات، وفي أحد أهمّ المرات حمل باصاً بكامله من أعضاء العاديات وحمل روح حلب ونبض حلب وثقافة حلب وأدب حلب وتلك كانت مناسبة لا نزال نستذكرها حتى الآن مع هذه التحية،

وبالتالي كنت أقدر أن هذه الندوة ربما أقيمت على عجل لأنه عندما انتشر الخبر أعرف أنه كان هناك مَنْ يودون المشاركة وسماع صوتهم وشهادتهم بحق الأستاذ محمد قجة، وبالتالي يمكن أن يتم تدارك ذلك فيما بعد.

ربما بالصدفة أنه في الأحد الماضي انعقدت ندوة تكريمية أيضاً لباحث وصديق للباحث محمد قجة وهو الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت، ومن ثم أقول صدفة ربما تحمل دلالة، وهذه الدلالة أريد أن أنتهز الفرصة لأشكر وزارة الثقافة على دعوتها لي، وبالتالي أقول: شيء يسر فعلاً أن يتم تكريم الباحثين والأدباء في حياتهم، وبهذا الشكل الذي يليق بهم أكثر وأكثر. وهذه فرصة لنتمنى فيها أن يستمر هذا التقدير في المستقبل أيضاً سواء في حلب أو في الحواضر الشامية الأخرى.

في الجلسة السابقة وردت إشارة للدكتور عمر الدقاق عن الأستاذ محمد قجة كأديب وشاعر مجيد ثم كمؤرخ، ومن ثم كان يسترعيني وبالتالي يهمني أن أكتب عن إسهام الأستاذ محمد قجة في مجال الدراسات التاريخية وبالتحديد كمؤرخ، الآن ما يلفت النظر - وهذا ربما شهادة خارج الورقة- في الأستاذ محمد قجة غير الكثير مما سمعناه في الجلسة السابقة، عن هذا البعد الإنساني وعن روح الحبة والانفتاح على الآخر واستيعاب الآخر وغير ذلك أيضاً، وما يلفت النظر فيما أتيج لي أن أعرفه خلال السنوات العشرين هذه الروافد المدهشة لثقافته الموسوعية،

ومن ثم هذه الثقافة ليست مروية فقط، وهنا أنا أتفق مع الأستاذ يوسف زيدان عندما تحدث عن القلعة، فأنا أيضاً حظيت بفرصة أن أزور القلعة برفقة الأستاذ محمد قجة، فهناك لمست هذا البعد وهذه الثقافة كما قلت المروية المختزنة، حيث كنا نمر وكأنه يعرف قصة كل حجر وقصة كل زاوية.

ومن ثم هذه الثقافة يمكن القول أنها مروية، يمكن في أي جلسة مع الأستاذ محمد قجة أن يسمع الإنسان مختلف هذه الجوانب، وهي ليست استعراضية بالمناسبة وأيضاً هي ثقافة مدونة مكتوبة ومنشورة ومن ثم تتناول جوانب كثيرة، لذلك ربما الحرج قائم في ماذا يمكن أن يكتب الإنسان عن إسهامات الأستاذ محمد قجة؟؟

كما قيل في الجلسة الماضية يبدو لي أنه يمكن أن نقسم هذا إلى ثلاثة ميادين رئيسية:

التراث، والأدب "التراث بمفهومه الواسع كما تبدى في جلسة سابقة"، والتاريخ.

أنا أريد أن أركز قليلاً على الأدب فيما له علاقة بالتاريخ، لأنه واضح إسهام الأستاذ محمد في مجال التاريخ واضح وواسع، لذلك أريد أن أمر على هذا المدخل، أن ألتفت أو أتوقف تماماً عند التاريخ فيما يتعلق بالأدب.

ربما تعرفون أكثر مني أن إسهام الأستاذ محمد قجة هو في شعبتين: في الأدب باحث لديه دراسات، وفي الأدب مبدع. وبالتالي في كلتا هاتين الشعبتين أيضا نلاحظ هناك تداخلاً مع التاريخ، وهذا يسجل للأستاذ محمد، فهذا تواصل بين الأدب والتاريخ مهم هنا برأي.

وأريد فقط استشهد بأمرين فيما يتعلق بالجانب الأول بالأستاذ محمد قجة كباحث: أريد أن أذكر دراسته عن صورة حلب لدى الشعراء، ففي هذه الدراسة المهمة وفي هذا الجهد الكبير لم يتوقف الأستاذ محمد قجة فقط عند وصف ومدح الشعراء لحلب - وحلب تستحق الحب المدح ولا شك- ولم يتوقف عند مجرد الوصف العام ووصف الطبيعة وغير ذلك، وإنما ركز أيضا على الجوانب الحضارية، ومن ثم ركز مثلاً على وصف بعض الشعراء للمنشأة الحضارية في حلب، وبالمناسبة نحن كمؤرخين نعتمد بالتالي على الشعر وغير الشعر أحياناً في توثيق بعض التفاصيل. ومن ثم حتى بالنسبة للأندلس يعرف بعض الزملاء الذين اشتغلوا على هذا المجال بماذا يمكن أن يفيدنا الشعر الأندلسي أحياناً في توثيق بعض التفاصيل التي ضاعت من المصادر الأخرى.

لذلك فإن اهتمام الأستاذ محمد قجة بهذه الجوانب الدقيقة من وصف الشعراء مثلاً للمنشأة الحضارية الموجودة، أو وصف وتوثيق بعض الأوبئة والزلازل التي حدثت في حلب وآثارها وبماذا تضررت مثلاً

حلب من ذلك، كان هذا مثلاً فقط لأن الوقت لا يسمح بالتوسع أكثر.

أريد أن أنتقل إلى الجانب الآخر أن الأستاذ محمد قجة مبدعاً، سأتناول في هذا الجانب ما كتبه فقط عن الملكة ضيفة خاتون وما عرض في حلب، فهنا جهد مشترك بين الأستاذ محمد قجة والأديب وليد إخلاصي ولكن ما يهمني الفكرة التاريخية أو الرسالة وواضح هنا أنه ليس لدينا مجرد عمل أدبي، وإنما أيضاً عندنا عمل أدبي يحمل رسالة مهمة من التاريخ إلى الحاضر.

ومن ثم ليس عبثاً وليس مصادفةً حسب رأي أن الأستاذ محمد قجة اختار فترة مشرقة من تاريخ حلب ألا وهي حكم ضيفة خاتون، حتى كما قلت يوصل لنا هذه الرسالة، الرسالة التي تقول ببساطة أن مدينة حلب وغيرها من المدن لا تُحمى فقط بالأحجار والأسوار وبالخنادق وإنما تحمى من الداخل من الإنسان نفسه، من المعرفة ومن الإيثار ومن حب الوطن والاستعداد بالتضحية في سبيل الوطن، فلاشك أن هذه كما قلت رسالة مهمة يستخلصها من التاريخ للحاضر.

أريد الآن بعد هذا المدخل السريع أن أنتقل إلى الموضوع الرئيس: (محمد قجة مؤرخاً)، وإنما فرصة كون الدكتور سليم الحسني موجود معنا، أن نذكر الجهد الذي علينا أن نبذله في تتبع دراسات الأستاذ

محمد قجة وهي موزعه على أوراق وندوات ودراسات وكتب ولذلك أنا معه - مع الدكتور سليم الحسني - أن تكون هذه الفرصة نتمنى على الأستاذ محمد قجة وكثيرة من ثمرات هذه الندوة أن تكون أو تعاد طباعتها لنقل في عدة أجزاء، وبالتالي أن تكون ميسرة للقراء والباحثين المعنيين بهذه المواضيع.

أريد أن أقول في هذه الدراسات الكثيرة عن حلب - وكلكم تعرفون أكثر مني كم أجتهد وأضاف الأستاذ محمد قجة في تنويرنا في كثير من التفاصيل عن تاريخ حلب - كان الأمر بالنسبة لي: ماذا يمكن أو على ماذا يمكن أن أركز في إسهامات الأستاذ محمد قجة؟ آخذاً بعين الاعتبار أن هناك مساحة للآخرين في المساهمة في ذلك.

وهنا توقفت عند نقطة ربما كانت تستهويني، ألا وهي الصورة الكسموبولوتية لحلب، وبالتالي مدى إسهام الأستاذ محمد قجة في هذه الصورة الكسموبولوتية في دراساته المتعددة، فكما نعرف نحن في المشرق عندنا بعض المدن التي تتمتع بهذه الخاصية المغربية، وبهذه الجاذبية الكسموبولوتية، مثل اسطنبول وأزمير وبيروت والإسكندرية، ومن ضمنها إذا لم أقل على رأسها أيضا كانت حلب. وسنلاحظ مع تتبعنا لإسهامات محمد قجة الأسباب وراء ذلك.

ولكن هذه الصورة أنا أيضا كانت تستهويني، ففي عام 1991م نشرت أول دراسة في مجلة (دراسات تاريخية) في دمشق بعنوان (حلب على طريق الحرير: نموذج العجر في حلب)، وطريق الحرير لم يكن فقط لنقل البضائع وإنما لنقل البضائع والأفكار والأشخاص فرادى وجماعات، ومن الجماعات التي انتقلت وتوطنت بحلب أيضا كانوا (العجر) وبالتالي كانت هذه أول دراسة واهتمام لي.

ثم جئت إلى حلب في ندوة (طريق الحرير) وأيضاً كتبت في هذا السياق أقول في متابعتي لدراسات الأستاذ محمد قجة: أني وجدت أيضاً عنده الوعي والاهتمام بهذه الخاصة أو الخصوصية لحلب، وهذه خصوصية مهمة كما قلت في إطار المنطقة ومن ثم في دراساته، وخاصة في كتابه (حلب في مطلع القرن العشرين).

يمكن القول أنه يمكن لأي باحث أن يعيد تجميع أجزائه بهذه الصورة الكسموبولوتية من خلال دراساته المنشورة طبعاً. الأستاذ محمد قجة يركز على أن أحد مصادر مكونات هذه الصورة، فلا شك هو الموقع الاستراتيجي لحلب الذي جعلها نقطة جاذبة ومن ثم تحاول كل الكيانات الطموحة في المنطقة أن تضمها إليها ومن ثم نتيجة لهذا نجد الآن التنوع الأثني في حلب، ووجود العرب ثم بعد ذلك الأتراك ثم الأكراد والأرمن وغيرهم، وأيضاً مع التنوع الأثني ما يعزز هذه الصورة الكسموبولوتية هو التنوع الديني والمذهبي، وهذا يركز عليه كثيراً

الأستاذ محمد قجة وهو حقيقةً ما يجعل حلب هذه الخاصة التي لا تزال تتواصل فيها، وبالتالي لا يذكر الأديان فقط، بل المذاهب الكثيرة في إطار الأديان وعندما يذكر مثلاً المسيحية يذكر: لدينا في حلب (11) طائفة و(11) مطرانية مثلاً. ومن ثم مع هذا التنوع الديني والمذهبي تنطلق روح الانفتاح والتفاعل.

ولا يمكن للطابع الكسموبوليتي أن يتكون وأن يستمر بدون هذه الروح روح الانفتاح على الآخر وروح التفاعل مع الآخر وبالتالي مما جعل هذه الصورة تستمر في حلب هو بالضبط وجود هذه الروح واستثمار هذه الروح.

ومن ثم مما عزز هذه الصورة كما يبدو في دراسات الأستاذ محمد قجة أيضاً وربطه بشكل واضح بمركز حلب الاستراتيجي على طرق التجارة الدولية طريق الحرير وغير طريق الحرير، هو أيضاً اهتمام التجار الأوربيين وقدومهم وفتح القنصليات ووجود جاليات أوروبية، وبعض هذه الجاليات استمر ولدينا الآن في حلب بعض الأسر ذات أصول أوروبية، فهذا المركز التجاري وأنجذاب التجار الأوربيين وغير الأوربيين إلى هذا المركز وفتح قنصليات في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكما يقول الأستاذ محمد قجة كان في حلب حوالي 70 قنصلية ومن ثم يعدد أسماء القناصل، وأن أول قنصلية كانت للبندية في عام

1207م وهذا الشيء خارق إذا قارناه مع دمشق، فدمشق حتى
1831م كانت مدينة مغلقة وممنوعة على الأوربيين.

الآن أيضا يستمر الأستاذ محمد قجة في تكوين هذه الصورة مع
الإرساليات، ثم أيضا يتابعها بدقة مدهشة مع العمران، ومن ثم يسير في
حلب الآن لا شك ينجذب إلى هذا التنوع عندنا منشأة بيزنطية،
إسلامية مبكرة، سلجوقية، أيوبية، زنكية، عثمانية مبكرة، عثمانية
متأخرة، متأثرة الآن بالروكوكو، وبالتالي بالملاح الأوربية..

فعدنا شيء مدهش حتى في العمران طبعاً وصولاً إلى الإرساليات كما
قلت، وبالتالي المدارس - وحتى مدارس الإناث - ومن ثم ينتهي الأستاذ
محمد قجة في تكوين هذه الصورة إلى أن تأثير هذا التنوع وهذه
الإرساليات والمدارس ليس صدفةً. إذاً أن تكون حلب الآن مركز مبكر
للنهضة، وبالتالي لهذا التفاعل الفكري والانفتاحي على العالم الذي
انعكس الآن فيما يمكن أن نسميه حركة نهضوية، تتمثل في أسماء كثيرة
مثل الكواكبي، في عدة اتجاهات: سواء في الاتجاه الفكري في مقاومة
الاستبداد، أو في الاتجاه الاجتماعي في تمكين المرأة من حقوقها وغير
ذلك،

هذا كما قلت شكل الصورة الكسموبولوتية فنجد مكوناتها مبنوثة في كل دراسات الأستاذ محمد قجة، ويمكن لنا أن نعيد تجميعها بكل يسر إذا صح التعبير.

ومرة أخرى أريد أن تكون فرصة أتمنى فيها للأستاذ محمد قجة الصحة والعافية وأتمنى الاستمرار في هذا الجهد الخلاق، وبالتالي في أكثر من مجال، على الأقل في الجانب التاريخي.

وأتمنى أن تكون هذه فرصة أن يعيد كما سمعت في الجلسة الأولى تجميع إنجازاته وإعادة نشر أعماله وبشكل أن تكون متاحة أكثر للمعنيين.

ومرة أخرى شكراً جزيلاً وأريد أن أشكر من ساهم في تنظيم هذه الندوة وفي استمرار مثل هذا التقليد والتكريم للكثيرين الذين يستحقون ذلك

كتاب " محطات أندلسية " للمؤلف محمد قجّة



الأستاذ الدكتور عمر الدقاق

عميد كلية الآداب في جامعة حلب سابقاً

إنما ننهض الشعوب على أكتاف العاملين المخلصين من أبنائها ، وتتقدّم بفضل جهود النبهاء والمتميزين من قادتها وعلمائها ومفكرتها . وبذلك ارتقت الأمم وازدهرت الحضارات عبر العصور .
وكما قدّم الأجداد لوطنهم وللإنسانية كلّ ما هو نافع وجميل وطريف وأصيل، مضى الأحفاد على خطا الأجداد في رقد مسيرة التقدم ومراقي التطور و الإبداع .

وما كان الباحث محمد قجّة إلا واحداً ممن أنجبهم هذا البلد المعطاء ، حين حباه الله جملة من الخصال والسجايا ، ومن الصفات والمؤهلات ، عادت على وطنه بالخير العميم .
ومحمد قجّة - كما عرفناه - عاشق لمدينة حلب، حلب الحضارة والتاريخ ، وحلب البناء والعمران والفنون والصناعات والعلوم والآداب .

ومحمد قبة _ كما عرفناه أيضاً _ إنسان متنوع الجوانب ، متعدد المواهب ، فهو باحث رصين ومؤرخ ضليع ، ومحاضر قدير ، وشاعر مجيد ، فضلاً عن أنه إداري حاذق ومثقف مستنير .

لقد بدا لي أن أتناول بالدراسة والتحليل جانباً من اهتمامات محمد قبة بتراث أمته الحافل وماضيها المجيد في مجال التاريخ والآثار ، وفي تحقيق كتب السلف ودواوين الشعر ، ثم الدراسات الأدبية .

- وقد راقني كتابه " محطات أندلسية " قبل أكثر من عقدين من السنين ، حين اختار فيه صفحات زاهية من حضارة الأندلس وأدبها ، وعدداً من أعلامها المبدعين .

وعشت مع المؤلف في محطاته وقتناً طيباً غمرتني خلاله معطيات جمة من الفائدة والمتعة ، وبلغ ذلك في نفسي مدى النشوة في الفصل الأول والفصل الثاني تجاه الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس و عظمة القائدين موسى وطارق .

ثم انتشيت إلى مدى أرحب بما أورده المؤلف حول شخصية الأمير العظيم عبد الرحمن الداخل، ذلك الفتي اليتيم الشجاع ، الذي ألقى بنفسه في نهر الفرات واستطاع عبوره ، و نجا من مذابح العباسيين ومطاردة الألوية السود لكل من كان أمويّاً ومازال هذا الرجل الفذّ يشق طريقه إلى المجد بدأب وعناء ، حتى دانت له بلاد الأندلس وأسس بمفرده ملكاً لم يرثه من أحد ، ولا أجلسه فيه أحد . حتى لقد هابه

خصومه وأعداؤه في الداخل والخارج ، و بعد أن عجز الخليفة العباسي أبو جعفر عن التصدي لهذا الأمير الأندلسي قال لجلسائه : " الحمد لله الذي جعل بيننا وبينه بحراً وكفانا بَعْدَهُ عَنَّا خطراً " .. ثم أنصفه حين قال إنه صقر قريش "

لقد وفق محمد فجة في إبراز عناصر البطولة والعظمة التي امتاز بها ذلك الأمير الأموي، وكان في الوقت نفسه أكثر توفيقاً حين تلمّس ملامح الإبداع الأدبي في شخصية ذلك الشاب القرشي ، الذي طغت شهرته التاريخية ومقدرته العسكرية وبراعته الإدارية على موهبته الشعرية .

وما أجمل أن نصحب الأمير الداخل في هذه المحطة الأندلسية لنستمع إليه في إحدى لياليه القليلة الهادئة وقد راح يتذكر أيامه الخوالي في ربوع الشام ، ويحن إلى ربوع وطنه وأرض أجداده :

أقر من بعضي السلام لبعض	أيها الراكب الميمم أرضي
وفؤادي ومالكيه بأرض	إن جسمي ومالكيه بأرض
فعسى باجتماعنا سوف يقضي	قد قضى الله بالفراق علينا

وقد يتاح لهذا الأمير الطموح في أمسية ساجية أخرى بعد طول كفاح وعناء أن يتأمل نخلته العزيزة التي جلبها من وطنه وأرض جدوده وغرسها في تراب حديقته برصافة قرطبة :

تَبَدَّتْ لَنَا وَسَطَ الرِّصَافَةِ نَخْلَةٌ تَنَاءتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ
فَقُلْتُ شَبِيهِي بِالْتَّغْرَبِ وَالنَّوَى وَطُولِ التَّنَائِي عَنْ بِلَادِي وَعَنْ أَهْلِي
نَشَأَتْ بِأَرْضِ أَنْتِ فِيهَا غَرِيبَةٌ فَمِثْلِكَ فِي الْإِقْصَاءِ وَالْمَتْنَأَى مِثْلِي

هذا هو صقر قريش وشاعرها حين كان يشتد كالحديد ويرق كالحرير
علماً أن ما يكاد يذهب برونق المشهد وروعة الصورة وهالة العظمة
والعبقرية ، هو توقفنا في محطة تالية مع مؤلف الكتاب الذي واجهنا
بشخصية أخرى من الأسرة الأموية ، ولكنها شخصية مغايرة ومناقضة
لسابقتها . وهي شخصية الأمير الأموي اليافع مروان بن عبد الرحمن
أحد أحفاد الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر . و قارئ هذا الفصل
لابد أن يصاب بدهشة بل بصدمة تجاه هذا الأمير الذي عشق جارية
وقضى معها أياماً سارة وحدث أن رآها يوماً تتضحك مع أبيه ، فثارت
ثأرته ، واستلّ سيفه في لحظة انفعال وغضب وقتل أباه وتركه مضرّجاً
بدمه .

وقد تساءلت تجاه هذه الجريمة النكراء: هل يتاح لمثلها أن تنطوي على
مشاعر رقيقة، وأن تصدر عنها أشعار جميلة. ومع ذلك جالت في
خاطري جملة من الشعراء في القديم وفي الحديث كانوا في الوقت نفسه
لصوصاً أو مجانين أو منافقين أو ماجنين ... فهل بوسع هذا الأمير
المرواني أن يعوّض عمّا كان منه ويعطي شعراً يطغى على فعلته الشنيعة ؟

هيهات .. وهل هنالك أقسى من تجربة سجين أمضى في سجنه ستة عشر عاماً عقاباً له ؟ ومع ذلك يقول واصفاً ذلك السجن الغارق في الظلام ليلاً وأيضاً نهاراً حيث يقول:

في منزل كالليل أسود فاحم داجي النواحي مظلم الأفجاج
يسودّ والزهراء تشرق حوله الحبر أودع في دواة عاج

أي سجين معني كهذا يحاول أن يصف سوء حاله، فإذا هو يتسلى بلعبة ألوان تجعل تجاوز ظلام السجن وضياء النهار مثل حبر أسود في دواة بيضاء.

ولكن ماذا عن سائر شعره الذي أورده له المؤلف ولاسيما غزله ؟ وهو فيما نذكر العاشق المغرم. أما فتاته الحسنة فهي:

غصن يهتز في دعص نقاً يجتني منه فؤادي حرقاً
أطلع الحسن لنا من وجهه قمراً ليس يرى ممحقا
سال لأم الصدغ في صفحته سيلاقي التبر وافي الورقا

ولست أدري كيف يخص المؤلف هذا الرجل بصفحات لا يستأهل بعضها ، ثم يجلسه في محطة خاصة به مع أعلام كبار كابن حزم . وأين هذا الأمير من ذاك الأمير ..

كذلك وصف مروان الأموي صدود الحبيب فقال:

جدّ في قتلي حتى خلّته
أنه فيه من الدهر ارتشى

أما المنهج الذي آثره صاحب المخطات الأندلسية ففيه نظر. إنه يفتقر إلى تلاحم موضوعاته ذات المضمون الواحد المشترك ، حين جاءت متباعدة متفرقة .

فتحت عنوان كبير هو " أهم المساجد الأموية في الأندلس " يرد ذكر :
المسجد الجامع بتطيله - جامع باب مردوم في طليطلة - جامع المريية -
المسجد الجامع في اشبيلية. وبعد أكثر من مئة وعشرين صفحة نقرأ
فصلاً عنوانه مسجد القصبة في اشبيلية (الخير الدا)..
والملاحظة نفسها تشمل موضوع (شاعرات الأندلس)، مرة في عصر
الإمارة والخلافة، ومرة أخرى في عصر ملوك الطوائف، ومرة ثالثة في
عصر الطوائف والموحدين..

وبين كل عنوان وعنوان محطات مختلفة المضمون، صفحات كثيرة تفصل
بين كل محطة من شاعرات النساء، فلماذا هذا القطع ثم هذا الاستئناف

أو لم هذه التجزئة ، ولماذا التقييد بالعصور بدلاً من جمع العناوين الواحدة
انجزأة وجعلها على صعيد واحد مترابط المضامين ، متلاحم الأجزاء في
سبيكة واحدة معجبة ؟

ولماذا نجد عنوان القصور الأموية في الأندلس في أول الكتاب ثم نجد قصر الحمراء وحده في نهاية الكتاب.
أليس الأجدى تناولها مجموعة عمرانية حضارية معاً باسم (القصور الأندلسية)..
علماً أن كتاب محطات أندلسية حافل بموضوعات قيمة جديدة تتصل بالوجه الحضاري للوجود العربي في الأندلس مثل :

- زرياب في قرطبة
- الحدائق في الشعر الأندلسي
- البحرية في الشعر الأندلسي
- المقاومة في الشعر الأندلسي

كنا نتمنى ألا يلزم المؤلف نفسه بالتقسيم التاريخي المدرسي للعصور وتقييد دراسته ضمنها وهو نفسه الذي قال في مقدمة كتابه (إنه لم يلتزم بفصول متتابعة ولا أبواب متكاملة ولا سرد زمني معين ..)

والمؤلف واعٍ بطبيعة عمله ويعترف ببعده عن المنهجية الدقيقة إذ يقول أيضاً: (إنه لا يلتزم بمنهج محدد، بل إنه جولات تلتقط من هنا وهناك) ونحن نقول مع ذلك إن بوسع المؤلف أن يعيد ترتيب محطاته وتنظيم فصوله على نحو أقرب إلى التلاحم والانسجام .

وأخيراً إن مجال القول واسع بصدد الكتاب - كأن يتساءل قارئه بعد الانتهاء منه، هل يكون ثمة كتاب عن الأندلس دون أن يأتي فيه ذكر لأي موشح وأي وشاح ... ومع ذلك يرد فيه فصل عن صاحب كتاب (نفع الطيب) وهو ليس بأندلسي ، بل هو مغربي مثل ابن خلدون .

محمد قجّة وأبو الطيب المتنبي



الدكتور صلاح كزارة

أستاذ في كلية الآداب في جامعة حلب

عنوانٌ حديثي سيكون الحبة، الحبة هو العنوان الكبير...
الحبة: محبة أبي الطيب قجة لأبي الحسن المتنبي، أو بالعكس: محبة أبي
الحسن محمد قجة لأبي الطيب المتنبي شاعر العربية الأكبر مالى الدنيا
وشاغل الناس.

هذه الحبة تتجلى في مظهرين اثنين:

الثاني منهما تعرفونه جيداً، وقد سارت به الركبان كما يقولون، وهو
تحديده موقع أو المكان الذي أقام فيه المتنبي في حلب طوال تسع سنوات
بجوار أميره سيف الدولة، هذا الموضوع الذي التقطه خيطاً صغيراً في
كتاب ابن العديم مؤرخ حلب، وراح يتابع ويخوض في كتب التاريخ
والجغرافيا والبلدان والأدب ويستنطق الآثار والأحجار حتى استطاع
تحديد هذا المكان بدقة، وإذا أتيح لي الوقت الكافي سأتلو عليكم فيما
بعد خلاصة ما انتهى إليه في تحديد هذا الموقع.

وأعود إلى الجانب الأول الذي ملك على أبي الحسن مشاعره كلها: أي
حبه لأبي الطيب وشعر أبي الطيب، ومحاولة جمع دواوين أبي الطيب

وشروح هذه الدواوين، وما اختير منه من مختارات وما كتب عن شاعرنا من دراسات.

هذا الحب بدأ معه منذ الصغر، وأتركه يتحدث عن ذلك بنفسه في العدد الرابع والخمسين بعد الخمسمئة من مجلة العربي، أشهر مجلة عربية تصل إلى معظم أنحاء العالم، خصت أبا الحسن بجديث بعنوان "نحن من جيل شاهد العجائب" يتحدث فيه عن طفولته ونشأته في هذه الدار الكبير في حي قارلق التي بنيت في عام 1110هـ كما هو مكتوب في إحدى الغرف على الجدار، وفي القاعة الكبيرة من هذه الدار كانت هناك مكتبة تضم السير الشعبية لعنترة ولأبي زيد الهلالي وتغريبة بني هلال وسيرة الأميرة ذات الهمة، إلى جانب كتب التفسير والحديث واللغة والأدب والتواشيح الدينية والمدائح النبوية، وإلى جانب ذلك كله ديوان المتنبي في طبعة قديمة لم يحددها في المقال.

لكنني تتبعته هذا عندما سألته فقال هي طبعة بولاق في مصر عام 1287هـ، كما حددت هذه الطبعة الكتب التي عينت تأريخ تراثنا العربي أي العام 1871م، هذه الطبعة هي التي كانت تحتفظ بها هذه الدار وما زالت لديه حتى يومنا.

هذا الفتى أو الطفل عمره لم يتجاوز الخامسة بعد، وهو على أبواب الدخول إلى المدرسة الابتدائية، حفظ أكثر من نصف القرآن لدى

الشيخ أحمد البيبي، ثم أخذ يحفظ هذا الموجود في تلك الطبعة من هذا الديوان، وراح والده يشجعه على ذلك، يشجعه على الحفظ ويساجله كما يروي هو هنا، فما أن دخل الإعدادية حتى فكر أيضاً في أن يغني هذه المكتبة، فراح يقتني الكتب وكان في طليعة هذه الكتب التي تتصل بشاعره الذي أحبه، وراح يحاكي نظمه لهذا الشعر، وكان أساتذته في هذه المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية يشجعونه على نظم الشعر، ولا أدل على ذلك من تلك القصائد التي نظمها أيام المد القومي إثر الوحدة بين مصر وسورية، ولا يخطئ القارئ لها أثر المتنبي فيها.

لقد جمع أبو حسن كل ما يتصل من طبعات دواوين هذا الشعر، فهناك مطبوعات جاءت من المغرب ومن الهند ومن مصر ومن لبنان، فلديه ثروة كبيرة منها، ثم جمع ما تيسر له من شروح هذا الديوان، وشروح ديوان المتنبي تتجاوز الأربعين شرحاً كما يقول العلماء، ولم يخص شاعر من شعراء العربية بهذا الكم الكبير من شراح هذا الديوان.

جمع الشروح المتداولة في هذا الوقت وأهمها الشرح المسمى بالتيبان في شرح الديوان، والمنسوب خطأً كما سآين لأبي البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري المتوفى سنة 610 ، هذا الشرح حققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ونشرته مكتبة مصطفى البيبي الحلبي في مصر عام 1936م في أربعة أجزاء مازالت تطبع وتصور حتى يومنا هذا، وهي تحمل اسم أبي البقاء العكبري وهذا خطأً يجب التنبيه

إليه، لقد أثبت الباحث مصطفى جواد وهو باحث عراقي مغرم بالتراث العربي أثبت أن هذا الشرح لابن عدلان الموصلية "عفيف الدين علي ابن عدلان الموصلية المتوفي 660هـ" بالدلائل القاطعة التي نشرها في مقالة مطولة في العدد الثاني والعشرين من مجلة الجمع العلمي العربي "مجمع اللغة العربية اليوم" لعام 1947م. من هذه الأدلة التي لا تقبل الشك أن العقبري كان ضريباً وأنه ما إن جاء إلى بغداد فإنه لم يغادرها، وإنما نجد في أثناء هذا الشرح عبارات في موضع يقول قال: عفيف الدين علي ابن عدلان، في موضع آخر يقول ونسخت بخطي فهل للضريب أن ينسخ بخطه، ويقول عن نفسه أنه انحدر من الموصل إلى سامراء إلى بغداد ثم رحل إلى الاسكندرية فهل ينطبق هذا الكلام على أبي البقاء العكبري الذي لم يغادر بغداد، فإذا الشرح لابن عدلان الموصلية.

ثم نبه الدكتور جواد على هذا الأمر في مقالة أخرى نشرها في مجلة الثقافة المصرية التي كان يصدرها أحمد أمين في عام 1949م ، ثم أعاد تكرار هذا المقال لتحقيق النصوص وقد نشرته الآمال في فن تحقيق النصوص لمصطفى جواد واستشهد بهذا المقال.

لكن المحققين والناشر كانوا عن العذال في صمم وإلى اليوم يطبع هذا الشرح وينشر خطأ باسم أبي البقاء العكبري. كذلك هناك شرح آخر فرح به كثيراً أبو الحسن عندما وصلت نسخته إلى حلب وأعني شرح

ديوان المتنبي الذي حمل عنوان معجز أحمد ومن الشارح أبو العلاء المعري، فكيف لا يطير فرحاً بمثل هذا الشرح الذي أخرجته دار المعارف في مصر في طبعة أنيقة عام 1989م وهو من تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب؟

لكن هذه الفرحة سرعان ما تبددت عندما التقيته بعد أيام وسألته فساورته الشكوك قال هذا لا يمكن أن يكون للمعري، وقد صدق حدسه. فهذا الشرح ملفق من شروح حديثة، وما هي إلا سنوات قليلة إلا تعاور النقاد هذا الشرح بين مثبت وبين منكر إلى أن كان عام 1997م فأتيح لي أن أخوض مع الخائضين في تحقيق نسبة هذا الشرح وقد تذكرت كلمة أبي الحسن وشكوكه التي ساورته، فإذا بي أصل إلى الدليل الناصع أن هذا الشرح ليس للمعري على الإطلاق، ذلك أن هذا الشرح طبع عن خمس أو ست نسخ خطية وهناك في مكتبات العالم أكثر من خمسة عشر نسخة خطية كلها كتبت في القرن الثاني عشر أي أنها كلها متأخرة، وأقدم نسخة فيها تحمل تاريخ عام 1107هـ ،

وذكرني هذا التاريخ بما كنت قرأته من كلام للأمر شكيب أرسلان، عندما كتب مقدمة عبث الوليد الذي نشره عبد الله المدني، فقال أن أبا العلاء شرح دواوين الشعراء الثلاثة الذين أحبهم، فذكر حبيب أبي تمام وهذا فقد لم يصل إلينا، وعبث الوليد يعني الوليد ابن عبيد البحتري وهو بين أيدينا، ومعجز أحمد، وقال أن هذا الكتاب قد فقد ولا نبالي

بتلك النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية فهي في الأصل تحمل عنوان شرح ديوان المتنبي لمؤلف مجهول وكتب تحته بخط مغاير معجز أحمد لأبي العلاء المعري وتورط المحقق - الذي قدم هذا الكتاب أطروحة للدكتوراه بكلية دار العلوم 1975م - هو وأستاذه المرحوم أحمد محمد الحفوي ونشرا هذا الشرح باسم المعري.

غير أن أبا العلاء المعري شرح ديوان شعراء آخرين وصل إلينا منهم شرح ديوان ابن أبي حصينة السلمي الذي حققه ابن حلب البار الدكتور محمد أسعد طلس ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق 1956م. فالمقارنة بين هذين الشرحين تجعل الإنسان يقتنع تمام الاقتناع أنه لا يمكن لهذا العالم اللغوي كأبي العلاء المعري أن يقدم شرحاً أقرب إلى شراح أساتذة المدارس الثانوية يعطي معنى الكلمة ثم ينشر البيت نثراً عادياً. ثم جاء دليل آخر قاطع عندما وقفت على كتاب بديع القرآن لابن أبي إصبع المصري المتوفي عام 654هـ في منتصف القرن السابع أي بعد وفاة المعري بقرنين، وإذا به ينقل عن معجز أحمد شرحاً لأبيات آخر قصيدة قالها المتنبي في حلب: "عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم" وفيها البيت:

والنقع يأخذ حراناً وبقعتها والشمس تسفر أحياناً وتلتشم

وإذا بالشرح المنقول عن معجز أحمد يختلف عن هذا الشرح الموجود في ذلك المطبوع المجهول, هل يمكن للشرح نفسه أن يخالف ما كتبه هنا وهناك؟ وخاصة أن أبا العلاء يأتي بوجوه من الدلالة لـ (النقع) الغبار القتل والنحر وبقية الماء, في حين أن النسخة الأخرى تقول أن (النقع) الغبار, ثم يقول أبو العلاء وبقعتها بفتح الباء الموحدة, في حين أن الشارح الآخر يقول بضم الباء يعني تعبير محدث, فهذا كله ينفي نسبة هذا الشرح لأبي العلاء المعري.

وإذا انتقلنا من الشروح إلى الدراسات, فقد جمع أبو الحسن الكثير من هذه الدراسات, ولكنني داعيته في العام 2006م عندما عدت من قطر فأطلعته على هذا الكتاب هل تعرفه؟ "المتنبي أمام القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام" للمستشرق الفرنسي ماسينيون, فتعجب فقلت له: الحق معك أن لا تعرفه وهو لا يحمل اسم ناشر ولا اسم مطبعة ولا يحمل إلا اسم المترجم الدكتور إبراهيم عوض والعام 1988م.

وهذا الكتاب له قصة طويلة لكن نذكرها باختصار لأنها تنفي ظلماً حاق بالمتنبي عندما نسب إلى الحركة القرمطية وأنه كان داعياً قرمطياً تلك الإشارة التي بدأها بلاشير عام 1929 وفي دائرة المعارف الإسلامية, ثم ذكرها في كتابه عن المتنبي المعروف الذي ترجمه الدكتور الكيلاني ونشرته وزارة الثقافة في دمشق 1975 ثم أعيدت طباعته محتجاً بالبيت القائل:

شيخ يرى الصلوات الخمسة نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

فقال أن المستشرق كروس أخبره أن كلمة شيخ لدى الاسماعيلية تعني إمام الطائفة، دون سند، دون دليل، دون مرجع، لكن بلاشير كان عاقلاً فقال لعلها لا تؤكد لكن ربما تكشف عن ميول لدى المتنبّي نحو القرمطية فتلقى هذه الشرارة ماسينيون وراح ينفخ فيها في بحث بعنوان (عناصر اسماعيلية في شعر المتنبّي) ثم قدمه للمؤتمر التاسع عشر للمستشرقين في روما 1935م. ثم طوره ونشره في هذا العنوان عام 1936 وصادر عن المعهد الفرنسي في دمشق بمناسبة الذكرى الألفية لأبي الطيب، وقد تضمن هذا الكتاب دراسات خمساً لبعض المستشرقين كبلشير وكنار وديمونين ونيسيرف.

بعد ماسينيون تلقف طه حسين هذه الدعوة ونفخ فيها بل راح يرددتها ترديداً غليظاً كما قال شيخ العربية محمود محمد شاكر فانتشرت انتشار النار في الهشيم وهي كلها دعوة باطلة تقوم على تفسير خاطئ لبعض الأبيات دون أي سند ودون أي دليل، ولذلك قام الدكتور إبراهيم عوض بترجمة هذه الدراسة والتعليق عليها واتبعها بدراسة أخرى تنفي كل هذه المزاعم ولذلك أتيح في نهاية عام 2000م لباحث آخر أن يأخذ النقيض بكتاب عنوانه (الشخصية الإسلامية في شعر المتنبّي).

فهذا الكتاب أقدمه لأخي أبي الحسن في عيد تكريمه سواء عرفه أم لم يعرفه..

فهذه هي الخلاصة التي تشير إلى أن المكتبة التي تحوي على تراث المتنبي، والتي يكاد أن لا يكون لها مثيل ليس في سورية فحسب وإنما في الوطن العربي كله.

لذلك أدعو أخي أبا الحسن لأن يتبرع بهذه المكتبة الرائعة لذلك المتحف، متحف المتنبي الذي وعد به - وأنجز حرماً ما وعد به- أرجو منه أن يتبرع بهذه الكتب، وألا يضمن بها على هذا المركز الثقافي العالي وأعدّه أن أتبرع أيضاً بما تحتويه مكتبتي المتواضعة من آثار المتنبي.

المكتبة التاريخية



الأستاذ الدكتور سعد الدين كليب
أستاذ في كلية الآداب في جامعة حلب

تبدو المعارف ركناً أساسياً في وعي محمد قجة الثقافي والعلمي والاجتماعي معاً. ولا تتبدى تلك المعارف عبر الميل إلى الأرشفة والتوثيقية أو من خلال الذاكرة التاريخية العجبية، والحاضرة دوماً عبر الوعي النقدي المبني على التمثل بالتاريخ وحوادثه وشخصياته ودروسه عموماً، وإنما تتبدى كذلك عبر التأليف التاريخي المستند إلى أمهات المصادر التاريخية وبنائها أيضاً.

فقد اهتم محمد قجة بالتراث العربي - الإسلامي بوجه خاص سواء منه التراث التاريخي أو المعماري (جمعية العاديات) أو الأدبي. ونخصّص نحن حديثنا بالمكتبة التاريخية التي أصدرها محمد قجة للفتيان والفتيات، رغبة منه في تعليم الناشئة تاريخ الأمة، وقيم الفروسية العربية، وقيم التسامح الديني التي حفل بها التاريخ العربي في أشد لحظات التآزم العسكري والحضاري، إضافة إلى وعي العلاقة التاريخية بين شرق المتوسط وغربه، بدءاً بالحضارة الفينيقية وانتهاء بصرح الحضارات المعاصرة وحوارها، كل من موقعه ومنطلقاته واستراتيجيته، مروراً بالفتوحات الإسلامية، والحروب الصليبية والاستعمار الغربي الحديث وربيبته إسرائيل.

أصدر محمد قجة سنة 1984, عن دار الحوار باللادقية سلسلة من سبعة كتب تحت عنوان "المكتبة التاريخية للفتيان والفتيات" تتراوح عدد صفحات الكتاب الواحد منها ما بين السبعين والثمانين صفحة من القطع المتوسط, الذي يناسب في حجمه وعدد صفحاته المتلقي الصغير الفتي.

وقد تناولت الكتب السبعة معارك العرب المسلمين مع كل من الفرس والرومان والإسبان والصلبيين, مع التركيز في أثناء الكلام على معركة من المعارك, على المكان التاريخي والأسباب الموجبة والنتائج المترتبة, والشخصيات القيادية, والطبيعة العسكرية, والعوائق أو المشاكل الداخلية المصاحبة لها, إضافة إلى القيم الاجتماعية والثقافية والحضارية المتحصلة منها. كل ذلك في إطار تحليلي مبسط يتناسب وذهنية المتلقي الصغير. موجّهة في الوقت نفسه بما ينسجم والأهداف التربوية ذات الطبيعة القومية العربية في المقام الأول.

لقد أراد محمد قجة استعراض التواريخ المشرقة, التي مرّت بها الأمة العربية في حضارتها الإسلامية خاصة, وهو ما يعني أن محمد قجة لم يكن يولي كثيراً عناية بأشكال الفرقة والخلافة والصراع الداخلي, لكنه لم يكن يغفل الإشارة إليها, مغتنماً إياها في دروسه التربوية. نلاحظ ذلك في الأندلس بين مختلف الدول والممالك, وفي أثناء الحروب الصليبية. أما الكتب التي أصدرها محمد قجة فهي:

1- المنصور الأندلسي محمد بن أبي عامر /328هـ-329هـ/ (مؤسس الدولة العامرية في الأندلس).

2- معركة العقاب وبداية انهيار الأندلس. /609هـ-1212م/.

3- معركة ملازكرد /بين السلاجقة والرومان سنة 1071. وفيها يتحدث أيضاً عن معركة الزلاقة بين العرب والإسبان 1086. وهاتان المعركتان سيكون لهما أثر كبير في الحروب الصليبية التي بدأت في عام 1095م.

4- معركة أجنادين /بين المسلمين والرومان في 28 جمادى الأولى في السنة الثالثة عشر للهجرة بقيادة خالد بن الوليد/. وهي أولى المعارك المهمة والفاصلة بين العرب والرومان، والتي كانت تمهيداً مهماً لمعركة اليرموك التي وقعت بعد عامين من أجنادين.

5- معارك خالد في العراق. وفيه يستعرض المؤلف عدداً كبيراً من المعارك التي خاضها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد في العراق مثل معركة السلاسل ومعركة النهر ومعركة الوجلة ومعركة البيس وفتح الحيرة والأنبار وعين التمر.. الخ. كل ذلك في العام الثاني عشر للهجرة.

6- معارك عقبة في المغرب: وفيها يستعرض المؤلف مجمل المعارك التي خاضها المسلمون بقيادة عقبة بن نافع في المغرب العربي في مرحلتيه الأولى والثانية.

7- معركة المنصورة: التي وقعت في زمن شجرة الدر بين جيشها الأيوبي والجيوش الصليبية بقيادة لويس التاسع الذي وقع من جرائها في الأسر. وكانت معركة المنصورة في 4 ذي العقدة من عام 647هـ/8 شباط 1250م.

تلك هي المعارك /الكتب, التي توقف عندها محمد قجة, في غاية تأريخية, تربوية, تعليمية, تنويرية في الوقت نفسه. وهي معارك فاصلة, في معناها ونتائجها وأبعادها العسكرية والحضارية. وهي في معظمها معارك غائبة عن الأذهان, أو لا يتمّ الوقوف عندها في كتب التاريخ المدرسية إلا نادراً أو عرضاً وذلك بالرغم من أهميتها الفائقة في المراحل التاريخية المفصلية, من مثل معركة العقاب وملاز كرد والزلاقة والمنصورة..

فإذا كانت معركة العقاب إيذاناً بسقوط الأندلس بيد الإسبان, وبعد اندحار دولة الموحدين وما تبعه من حركات انفصالية وحروب أهلية وفتك وثورات في مدن الأندلس وممالكها الحدودية, فإن كلاً من معركة ملاز كرد والزلاقة في أقصى المشرق وأقصى المغرب العربي- الإسلامي كان إيذاناً ببدء الحروب الصليبية التي استمرت قرنين من الزمان.

وكذا فإن معركة المنصورة كانت بداية النهاية للوجود الصليبي في المنطقة.

أما عن أسلوب المؤلف محمد قجة في تلك الكتب, فيمكن إجماله بما يأتي:

1- الأسلوب اللغوي البسيط الذي يمكن للناشئة فهمه واستيعابه, لما ينطوي عليه من مفردات وتراكيب مفهومة ومبسطة ومتداولة في الكتب المدرسية, ومن دون أن يخلو ذلك الأسلوب من الطبيعة الجمالية أو العاطفية, أو النكهة الشخصية. فالمؤلف لا يكتب تاريخاً لغاية علمية صرفة, بل يكتب حوادث تاريخية أو يعيد كتابتها بما يجعلها حية تنبض في أذهان الناشئة وعواطفهم, كمثل قوله في معركة أجنادين في أثناء اجتياز خالد بن الوليد بجيشه الصحراء بين العراق والشام:

"مرّ اليوم الرابع ثقيلاً ولكنه كان محتملاً.. تناقص الحماس, وتزايد الحذر وخفتت الأصوات ليحلّ محلها القلق والوجوم, وحينما حلّ الليل ألقى الرجال رحالهم طلباً للراحة من عناء سير النهار, لكن عيونهم لم تعرف مذاق النوم وهم يفكرون بهول اليوم الخامس ويقلبون وجوه الاحتمالات ومدى المخاطر التي تنتظرهم, وهم لم يجدوا نبع ماء. وجاء اليوم الخامس والوجوه مقطبة, وتلاشت الأحاديث وتسمّرت النظرات على الأفق, وتناقلت الخطوات, والشمس تلسع بسياط أشعتها الجند الذين أرهقهم الظماً" ص: 24.

2- الأسلوب السردى. لا نقصد بهذا الأسلوب السرد التاريخي فهذا بديهي في مجمل كتب التاريخ. وإنما نقصد استخدام أسلوب السرد القصصي أو الروائي، في حده الأول الذي لا يحول المادة التاريخية إلى مادة سردية تخيلية، وإنما يعطي المادة التاريخية بعداً سردياً تتابعياً وترابطاً في آن. إنه نوع من تسريد الحديث التاريخي. وقد ظهر ذلك جلياً في معظم الكتب المذكورة وخاصة في معركة أجنادين ومعارك خالد بن الوليد في العراق ومعارك عقبة في المغرب .. وبعض المواضع من معركة ملاز كرد والمنصورة.

3- الأسلوب المنطقي في العرض والتحليل والتأويل والربط والمحاكاة، حيث يحاول المؤلف في مجمل الكتب أن يلتزم بالأحداث والأحداث التاريخية الواقعية مخلصاً إياها من التفسيرات الأسطورية أو التخيلية، فلا خوارق ولا حوادث استثنائية غير إنسانية بل ثمة بطولات إنسانية واقعية ممكنة الحدوث أو واقعية فعلاً. كما أن ثمة تفسيراً تاريخياً علمياً لأسباب المعارك ونتائجها على مختلف الأصعدة. كما أن ثمة وعياً تاريخياً علمياً لمجمل أحداث التاريخ وشخصياته وصراعاته بما يعني أن الأستاذ محمد قجة أراد أن يعزز قيمة الوعي العلمي للتاريخ والواقع في أذهان الناشئة، وفي هذا جانب آخر من جوانب القيم التي تؤديها هذه المكتبة. فعلى الرغم من العشق العجيب الذي يحمله محمد قجة للتراث والتاريخ العربيين، فإنه ينأى بعشقه عن أن يقع في أوهام النظر أو التحليل أو

التأويل, كيلا يغدو عشق التاريخ قائماً على الوهم, في أذهان الناشئة,
أو قائماً على البطولات الفردية, أو بديلاً من الواقع المعاصر.

ولا بأس من الإشارة, هنا إلى عشق قجة لبعض الشخصيات التاريخية
كابن الوليد مثلاً, وهذا لم يكن يدفعه إلى تقديس البطولة الفردية,
فالتاريخ تصنعه الجماعة لا الأفراد, مهما ارتفع شأن الفرد, وفي هذا
درس آخر من دروس مكتبة محمد قجة التاريخية للفتيان والفتيات.

سردية التراث الموسيقي في كتابات محمد قجة



الروائي والناقد الأستاذ نبيل سليمان

تُؤلي كتابات محمد قجة عناية خاصة للتراث الموسيقي. وعبر ذلك يغلب الرهان على تسريد هذا التراث. مما يتوزع بين الترجمة الأعلام والتأريخة للموشحات الأندلسية والحلبية. وللموسيقى الصوفية أيضاً. وبالطبع، فقد اشتمكت الترجمة بالتأريخة، بدرجة أو بأخرى، ودوماً في الإهاب السردية المميّز، كما هو الأمر فيما كان من نصيب زرياب. فقد افتتح الكاتب سردية هذا العلم الموسيقي الأكبر بأخبار مشوقة ورامزة عن المأمون وعلّويه في غوطة دمشق.

ومحمد قجة لا يفتأ ينوع فواتح فصول سرديته للتراث الموسيقي ولسواه، بطرفة أو حادثة محملة بالمعلومة ومشحونة بالتشويق، سرعان ما تأسر القارئ، كما هو حال المستمع لمحاضرات الكاتب أيضاً.

بعد المفتتح، جاء التعريف بزرياب على النهج التقليدي للتراجم. وما إن تلا انتقال زرياب إلى القيروان فقرطبة، حتى شرعت التأريخة بالإلحاح على السردية التي أخذت تتألق حين نتحدث عن أسرة زرياب الموسيقية وعن إنجازاته العلمية والفنية والتعليمية والاجتماعية، وهكذا يجد القارئ نفسه مأخوذاً بأصوات ابنتي زرياب حمدونه وعلية، وجاريته متعة،

وتلميذته مصابيح, فضلاً عن أصوات زرقون وعلون ومنصور, كما يجد القارئ نفسه مزهواً بابتداع زرياب للوتر الخامس في العود, وللريشة من قوادم النسر, وبتأسيسه للمعهد الموسيقي والمعهد التجميل ولدار المدنيات التي زهت بمن استقدم زرياب من مغنيات المدينة المنورة.

وكما كان مع زرياب, يبدأ محمد قجة سردية ابن قرمان الأندلسي بالترجمة له: ولادته ونشأته وموطنه وأسرته وتعليمه والمفاصل الكبرى لحياته ولعصره.

وغير أن ما هو أهم قد يكون في اهتمام محمد قجة بالنسيج الاجتماعي الفسيفسائي لمدينة قرطبة حيث العرب والبربر والقيسية واليمانية والإسبان والمولدون والإسبان المسيحيون والغلمان الصقالبة. وهنا تبدأ ترجمة ابن قرمان تتميز عن العهد بالترجمة. ويتعزز ذلك بالشفافة الكاتب إلى ما بين الفصحى السائدة في قرطبة, واللهجة الدارجة وما فيها من مفردات ذات أصل إسباني, وما عرفت من التسكين ومنقلب المخارج, وبالانفتاح الذي تميزت به كتابات وشخصية محمد قجة بعامة, يرى فيما كان من الفصحى والدارجة في قرطبة, أمراً طبيعياً في تطور اللغات وتفاعلها وتداخلها. وهكذا تبلغ ترجمة قجة لابن قرمان أنه يعلن ظهور صاحب الموشحات (كما وصف المقرئ ابن قرمان) وإمام الزجالين بالأندلس (كما وصفه ابن سعيد) "في هذا الأفق الثقافي والتشكيل الغوي المتميز".

يجل محمد قجة نماذج من أزجال ابن قزمان من حيث الشكل, ويترجم بعضها من العامية إلى الفصحى, معقياً بالقول: "ويوغل ابن قزمان في الدراجة العامية أكثر في أزجاله الغزلية, وهو في هذه الأزجال ينبو أحياناً بمفرداته, ويستخدم منها ينافي الذوق العام". غير أن الذي يأخذه الكاتب على ابن قزمان- وعلى سواه من الزجالين الذين يرى أنهم بالغوا في استعمال الدراجة- لم يمنعه من أن يقدر لابن قزمان محاولته التعويض عن عسر وصوله الموشحة الفصحى إلى دوائر أوسع من الناس.

يقول الكاتب: "يرر ابن قزمان ميله إلى كتابة الأزجال بأنه يريد الوصول إلى أوسع فئات المجتمع, عامتهم وخاصتهم, وأن يتمكن من اختيار الموضوعات البسيطة الفكهة والكلمات المتداولة بين عامة الناس, وذلك كي تصلح الأزجال أن تكون أغنيات شائعة سهلة التلحين, قريبة المتناول, وألا تكون متكلفة معقدة".

على نحو مقارب تأتي سردية محمد قجة لموشحات ابن عربي, سوى أن السردية هذه المرة تسهب في الترجمة, فيما يبدو أثراً لخبرة الكاتب العميقة بموضوعه- وهذا ما يسم كتاباته في التراث بعامة - واستجابة لغنى حياة المترجم له. هكذا لن يكون بوسع القراءة أن تلتقط أنفاسها وهي تقفز من مرسية إلى أشيلية إلى شتى مدن الأندلس والمغرب إلى مكة والموصل والقاهرة, وقونية وبغداد وحلب فدمشق. ففي هذا

الفضاء المترامي الذي اصطخبت فيه الصراعات السياسية والفكرية والدينية عاش ابن عربي، وتصوف. وترك أجمالاً من الرسائل والكتب. وقد أعقب محمد قجة هذه الترجمة بموجز عن (ابن عربي أديباً وشاعراً) ليفصل من بعد في (ابن عربي وشاحاً). وهنا جاءت إلماعته إلى التوشيح في عصر ابن عربي فيما كتب الوشاح المتصوف أبو الحسن الششتري والوشاحون الآخرون: ابن قزمان وابن جبير وابن زهر الحفيد (صاحب موشح: أيها الساقى).

وقد أحصى محمد قجة لابن عربي في الديوان الكبير 28 موشحاً. وبين تمرسه بألوان الإيقاعات فيما نظم على أوزان الخليل، وعلى الأوزان التي ابتدعها الوشاحون الأندلسيون. ولم ينس الكاتب في تركيزه على الإنجاز الفني لابن عربي في التوشيح، لغته الصوفية واستخدامه المفردات المتعلقة بمذهبه في وحدة الوجود والحيرة والشك. كما تقرى الكاتب المعاني الصوفية التي تداولتها موشحات ابن عربي. وما عانقت هذه الموشحات من الأفق الإنساني الواسع للشيخ الأكبر.

لا تكتمل كتابة محمد قجة عن (ابن عربي وشاحاً) إلا بما كتبه عن (التصوف والموسيقى). وربما كان هذا البحث من أهم ما كتب الكاتب عن التراث الموسيقي، وقد دأبت منذ قرأت هذا البحث على تحريض الكاتب على أن يتابع البحث في هذه السبيل، غير أن الأنشطة الثقافية التي ينهض بها محمد قجة، والتي تحتاج إلى فريق من الناشطين، تجعله

يترك بعض نداءات كتاباته معلقة, ومنها نداء (التصوف والموسيقى).
وها أنا ذا أعتنم هذه الفرصة لأجد التحريض, وأدعوكم إلى أن
تؤازروني فيه.

يبدأ هذا البحث بالماعة عن نشأة الموسيقى وصلتها بخاصة بالطقوس
الدينية والسحر. ثم يلمع للأسس الموسيقي في التراث والدين, من
أورنيينا الشامية إلى تنتنوت المصرية إلى جرادتي عاد وجرادتي أمية بن
الصلت إلى فتيات بني النجار ومغنيات ومغني المدينة, إلى منتدى سكنية
ومن عني من الخلفاء وذويهم بالموسيقى, إلى الموسيقى الأندلسية
والتأليف الموسيقي العربي, ولعل مثل هذا التمهيد أن ينقلب إلى فخ لا
فكك للكاتب منه الدراية والدربة اللتان تجعلان عبارة محمد قجة
وامضة ودقيقة, فتتجو من فخ الإحاطة بما يحاط به في حيز محدود كحيز
هذا التمهيد الذي أعقبته تعريفات شتى للتصوف. لينشب السؤال
الكبير عن العلاقة بين التصوف والموسيقى.

وقد بدأ الجواب بإشارة بروكلمان إلى محاولة المتصوفة أن يحركوا في
نفوس الناس الشعور الصوفي, ويصقلوه عن طريق السماع والموسيقى.
ومع تعداد الكاتب من قبل ذلك للآلات الموسيقية العربية, وبعد ذلك
لأشهر الفرق الصوفية, يصنف موقف المتصوفة من الموسيقى بين مؤيد
ورافض ووسطى. وإذ يعدد أشهر ممثلي كل موقف, يحظى الموقف المؤيد
بعناية الكاتب, مما يجلو موقفه هو. فإذا كان القراء المتزهدون قد بالغوا

في إنكار ما بين السماع والموسيقى والتصوف, فقد كان الجنيد يسمع, ومثله سري السقطي وذو النون. أما راية الموقف المؤيد انعقدت للفرقة المولوية وزعيمها جلال الدين الرومي الذي أيد السماع والرقص في الأذكار" لأن السماع فيه تيسير للإيقاعات المحببة إلى النفوس. وحركات الرقص في الأذكار فيها تصعيد للرغبات وترويض للنفس ورمز عن الحركات الدورية للأفلاك وعن الروح الشملة بالعشق".

يمثل محمد قجة للتفاعل الصوفي مع الموسيقى بما نُقل من "أن بعضهم كان يتقلب على عند السماع, ولا يحسّ بها. ونُقلَ أن بعض الصوفية ظهر منه وجدٌ عند السماع فأخذ شمعة فجعلها في عينه. قال الناقل: قربت من عينه, أنظر, فرأيت ناراً أو نوراً يخرج من عينيه يرد نار الشمعة. وحُكي عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعاً يمر ويحيى فيه". وقد تابع الكاتب بخاصة ما قاله السماع الشيخ أبو طالب المكي والشيخ أبو بكر الكتاني. ثم عدد الفرق الصوفية التي تستخدم السماع, وفصّل فيما له منها علاقة بحلب, وهي:

– المولوية: وكانت لها في حلب في باب الفرج التكية المولوية, وهي تستخدم المزامير والطبول وآلات التخت الشرقي من ناي ودف وصنوج ومزهر, ولا تنسى الموشحات والقُدود مثل (يا شادي الأحنان, يا من لعبت به الشمول)...

– الطريقة الشاذلية اليشرطية: ومؤسسها تونسي الأصل, وهي لا تستخدم الآلات الموسيقية, وتكتفي بالإيقاعات الشفوية.

– الطريقة الرفاعية: ومن حلقاتها في حلب الزاوية الكيالية, وهي تستخدم بعض الآلات الموسيقية والإيقاعية.

– الطريقة القادرية: نسبة إلى عبد القادر الجيلاني, ومنها في حلب الزاوية الهلالية القائمة منذ 500 سنة, وهي لا تستخدم الآلات الموسيقية, بل تعتمد الإيقاعات والأوزان والنغمات والسماع ويروي محمد قجة حضوره حلقة ذكر هلالية, واستعانته بما كتب عنها بشيخها جمال الدين الهلالي وبكبير المنشدين محمد مسعود خياطة. كما يعدد أبرز شيوخ الإنشاد فيها, والفصول السبعة الأساسية وفصولها الاستثنائية.

لسبب ما ترك محمد قجة هذا البحث بلا خاتمة, لكنني أرجو أن يكون السبب هو الوعد المضمّر بالمتابعة.

وقد كان هذا البحث, ومعه كتاب محمد قجة (محطات أندلسية) من بين المراجع التي أفادتني في الإعداد لما يتصل من روايتي (في غيابها) بالتراث الأندلسي, ففي فصل (غرناطة-الشام) من الرواية توحدت أزجال ابن قرمان بالثرثولا, وعتى زرياب بايلا. وفي فصل (مدريد) كان للتصوف الأندلسي فسحة عبر شخصية المتصوف الإسباني ماريانو الذي يصدق

ما لا يصدقه راوي الرواية وبطلها السوري. من أن الرندي الأمي يغترف النار بيديه من الكانون, فيمسكها إلى ما شاء الله, ولا تعدو النار عليه, وكذلك من أن الشكاز الأشبيلي كان يمد يده إلى ما وجد من نبات الأرض, من أعظميه مرارة. فيطعمه لمن معه, كأنه حلوى. وبينما لا يصدق الراوي إلا أن الشكاز كان مهووساً جنسياً. ينشد ماريانو مما يحفظ من أشعار ابن عربي, وهو الذي حفظ (ترجمان الأشواق) وبدأ بحفظ (الفتوحات المكية), وعندما ينتهي منها سيزور ضريح شيخه الأكبر, كما يهدي ماريانو راوي الرواية كاسيت هو "محاولة جريئة للمزج بين الفتوحات المكية والفلامنكو (...) تذكر الشيخ بأهله أقصد نحن. لا أنتم". كما يقول ماريانو.

لست أدري إن كان عليّ أن أوضح أن كل ما مضى هو تخييل في تخييل. ومثله ما جاء في فصل (قرطبة), حيث يتزل الراوي والراقصة الروسية تاتيانا في فندق, ويروي الراوي:
"كان البرد يسكن عظامي وروحي فملاً البانيو ماءً حاراً وغطست, وتعرق جيبني, وربما غفوت, والحمام يوقع لتاتيانا بالدف والغربال والمصافق والأصاف والمزهر والعود والكران والشاهين والرباب والمزمار والقيثارة والناس والكوس والكوبة والساقس والطبل والربط والصفار والطنبور والمرف والشبابة والشيرزان والكرمج والروطة والقانون والزلامي والشقرة والغورة. وكانوا يدخلون واحداً واحداً, وكن يدخلن واحدة واحدة, يتسمون جميعاً باسم زرياب, ويسحرون تاتيانا

وتسحرهم, فلا يصيب السحر سواي وهذا الفضاء الذي غدا عشرات الآلات الموسيقية والحمامات و... وحين أقفر الفضاء واستوحش, أقبل زرياب يوقع على وتر جديد لتاتيانا, فتضاعف السحر حتى بطل".

وهكذا إذن, تمثّلت رواية (في غيابها) ما تمثّلت من كتابة محمد قجة ومن كتابة سواه. فإذا بما تضيف العشرات إلى ما عدد الآلات الموسيقية, وتلاعب زرياب وابن قزمان والمتصوفة على النحو الذي تقدم.

وها هو الأوان قد آن لأهدي ذلك إلى صديق العمر محمد قجة في هذه المناسبة العزيزة.

ويبقى أن أختتم هذه القراءة في سردية محمد قجة الموسيقية التراثية, بما خصّ به مدينة حلب, حين أرّخ لشطرٍ آخر من التراث الموسيقي, هو الشطر النهضوي الحلبي.

ففي هذا السياق جاء البحث المقارن لمحمد قجة بين الموشح الأندلسي والموشح الحلبي. وقد عبّر هذا البحث عن توله الكاتب بمدينة "سيده الموشحات في المشرق بعد سقوط غرناطة" كما قال. وقد عدد من تطوير حلب للموشح الأندلسي ما جاءت به من نصوص جديدة في إيقاعات جديدة, وما طورت من القدّ في ضوء الموشح (يا غصن نقاً), وتلحينها النصوص أندلسية (أيها الساقى) وتطويرها إلى النوبة

الأندلسية, وتطويرها لأداء نصوص ملحنة في الأندلس, وأخيراً: إدخال رقص السماح في أداء الموشح.

أما صاحب هذا الانجاز الأخير فهو عمر البطش الذي خصّه محمد قنجة بشطر وجيز من سردية التراث الموسيقي. وجعله فيما يقدم نفسه بضمير المتكلم, حتى أنه ليذكر تاريخ وفاته ومكانها. وهذا سيتكرر مع الشيخ علي درويش وماريانا مراش ومصطفى البشّنة وأبو الوفا الرفاعي والشيخ محمد الوراق.

لعل الكاتب قد شاء في هذه السردية التي غلب فيه القصّ على التارخة, أن ييسّر تقديم أعلام التراث الموسيقي الحلبي لمختلف الأجيال والمستويات, ومن ذلك مما يتصل بالتصوف والموسيقى ما يلي على لسان أبو الوفا الرفاعي (1761-1845): "أخذت الفن والإنشاد في حلقات الذكر في تكيّتنا الرفاعية والزوايا المتعددة في حلب, وكان صديقي الشيخ مصطفى البشّنة إمام الفن والطرب والإنشاد وكان زميلي كذلك في حلقات الذكر ورقص السماح في الزوايا الهلالية".

وكذلك هو قول الشيخ محمد الوراق (1828-1910) أنه خمّس قصيدة " لشيخنا المرسي أبو العباس دفين مصر" وأنه كان يجي ليالي الطرب, وينتقل بين الألمان والأنغام والمقامات والأصوات.

ويعد الشيخ محمد الوراق في سرديته من الموشحات التي يعتز بها موشح (العواذل ليه تلومني) كما يذكر أنه كان يسحر بهذا القد (قم يا أمير الغزلان).

تلك هي سرديّة التراث الموسيقي في كتابات محمد قجة، والتي حملت بعض سمات ما كتب عن التراث الأدبي بعامة.

وإذا كان التسريد هو علامة كل ذلك، فلعل للمرء أن يرى أن محمد قجة يواصل السبيل الممتد من طه حسين إلى شوقي ضيف في الكتابة عن التراث الأدبي.

كما لعل المرء أن يرى أن محمد قجة قد لَوّن تلك السبيل بغواية المحاضرة وعمقها، بدت بامتياز لدى رهط من الأساتذة الكبار، حسبي أن أذكر منهم عبد السلام العجيلي محاضراً. ولذلك يتبوأ محمد قجة هذه المكانة المرموقة في الكتابة عن التراث الموسيقي وغير الموسيقي أيضاً.

الفصل الرابع:

محمد قجّة

وحلب عاصمة الثقافة الإسلامية

وجمعية العاديات

محمد قجّة

وحلب عاصمة الثقافة الإسلامية وجمعية العاديات

رئيس الجلسة:

الأستاذ الدكتور مصطفى جطل

نائب رئيس جامعة حلب سابقاً



حلب عاصمة الثقافة الإسلامية



والمبدع الأستاذ محمد قجة

الأستاذ الدكتور عفيف بهنسي

رئيس مجلس إدارة جمعية أصدقاء دمشق

في مدينة حلب الشهباء، مدينة الثقافة والشعراء، ما زلنا نردد شعر أبي الطيب:

كلّما رحبتُ بنا الروضُ قلنا: حلبٌ قصدنا وأنتِ السبيلُ

وأضيف إليه:

وبها خير إخوة وصبايا لجرى الروح لطفها سلسليلُ
يرتدين العفاف ثوباً قشيباً ناسجاه: القرآن والإنجيلُ

نجتمع اليوم في ندوة يُكرّم فيها المبدع الأستاذ محمد قجة، تحت رعاية كريمة من السيد وزير الثقافة الدكتور رياض نعيان آغا. وها هو المختفى به يجلس بيننا بعد أن أعياه المسير، وهو يسائل نفسه: إلى أين نذهب حين نمضي؟

في غمار مسيرته خلال عام كامل أو يزيد، كان يقود مع إخوانه في جمعية العاديات وغيرها، برامج احتفالية هامة موضوعها ((حلب عاصمة

الثقافة الإسلامية)). ولعله لم يخطط هدفاً ذاتياً لمسيرته الصعبة، أن يصل حين يمضي إلى ندوة تكريمية يقدم فيها المحتفلون باقة عطرة من التكريم والعرفان، بجهد المتواصل لإنجاح هذه الاحتفالية، وقد أوكلت إليه مسؤوليتها، بدعم قوي من السيد محافظ حلب الدكتور المهندس تامر الحجة، وبتعاون صادق من أعضاء الجمعية.

وبروحه الوثابة وعفوه الصادق، كان عليه أن يعترف أولاً أن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وأن العتب والنقد مهما كان قاسياً لا يثني عزائم الرجال عن متابعة السعي للوصول إلى الهدف. ونحن نقول له اليوم: ((أصدق البكاء بكاء الفرح بالانتصار)).

في دمشق كان أعضاء جمعية أصدقاء دمشق يشاركون زملاءهم في جمعية العاديات هموم نجاح هذه الاحتفالية، ويتابعون باهتمام برامج الاحتفالية الهامة التي شارك في وقائعها كبار العلماء والمتقنين. وكانت وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت تعكس بأمانة كثافة النشاط الثقافي والفني الذي تُفقد باهتمام بالغ من قبل وزارة الثقافة ومحافظة حلب وجمعية العاديات، وبدعم سخّي من المؤسسات الخيرية الإسلامية والمسيحية، التي ساهمت في تغطية بعض تكاليف هذه الاحتفالية.

كان للمحتفى به اليوم، دور كبير في إيصال الاحتفالية إلى أهدافها، وأهمها إبراز الهوية الثقافية الإسلامية لمدينة حلب، على امتداد العصور

الزاهرة التي حفظها تاريخ حلب الشهباء. وكان اختيار مدينة حلب عاصمةً للثقافة الإسلامية اختياراً صائباً، فحلب عاصمة سيف الدولة الحمداني، احتضنت عشرات المفكرين والمبدعين والشعراء، وحفلت بروائع الأوابد المعمارية، وما زالت هذه الأوابد قائمة معافاةً نقرأ عنها ونكتب في أمّها كتب تاريخ الفن والحضارة، ثم نقوم بتسجيلها في العام 1984م في قائمة التراث العالمي، حمايةً لتراثها وأصالتها وتاريخها.

ما زالت مدينة حلب عاصمةً للثقافة الإسلامية بامتياز، وهي من المدن القليلة التي يتعاقق فيها القديم والحديث مع كل استقلال وتميّز، ونحن نرى المدينة القديمة وقد انحصرت بين بقايا السور الكائنة بين باب الجنان وباب أنطاكية وباب قنسرين، وعلى أطراف جادة الخندق، مشكلةً مربعاً. ولكن هذه المدينة الصغيرة لم تلبث أن توسّعت منذ عهد الملك الظاهر بيبرس باتجاه الشمال والغرب، وكان يقطن منطقة داخل السور المدنيون (أهل جوا)، ويسكن الأحياء الخارجية سكان القرى والبادية (أهل برّا).

إن أهمّ ما تبقى من الآثار الإسلامية السور والأبواب، باب النصر وباب أنطاكية وباب قنسرين وباب الفرج وباب المقام وباب الحديد وباب الجنان.

وما زالت القلعة على رابية كانت أكروروبول المدينة، وفيها آثار مختلفة. وهي بشكلها الحالي ترجع إلى عهد سلطان حلب الملك الظاهر غازي. أما الجامع الأموي الكبير فقد جُدد مرات عديدة، وترجع منارته إلى عام 484هـ / 1090م.

وفي حلب مكان مقدس قديم، يرجع إلى أيام إبراهيم الخليل، يسمى مقام الصالحين، وهو مجدد. ومن المنشآت الإسلامية في عهد نور الدين البيمارستان النوري.

ومن أشهر الآثار الأيوبية المدرسة السلطانية، التي تضم تربة الملك الظاهر غازي والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الكاملية، ومنارة جامع الدباغة، وخانقاه الفرافرة، ومدرسة الفردوس التي بنتها سلطنة حلب ضيفة خاتون، زوج الملك الظاهر غازي، وهي مؤلفة من جامع ومدرسة وتربة ورباط، وهي أجمل مجموعة أثرية في حلب.

ومن أبرز الآثار الباقية في حلب من العصر المملوكي جامع الطنبغا، والبيمارستان الأرغوني، وهو من أفضل المشافي القديمة في سوريا ومصر. وجامع الأطروش، وحمام الناصري، وهو أجمل وأشهر حمامات سورية. ومن الخانات خان الصابون. ومن العصر العثماني تحتفظ حلب بخان الوزير وخان الجمرك وخان الفرايين وخان التتن. ومن البيوت بيت غزالة وبيت آجقباش وبيت الدلال، وحمام النحاسين، وغيرها.

هذه المباني التاريخية تشهد أن مدينة حلب حاضرة عربية إسلامية ما زالت تحمل عبق التاريخ الزاهر.

لقد أجمع وزراء الثقافة في المؤتمر الإسلامي الرابع الذي عُقد في الجزائر عام 2004م على تسمية حلب عاصمةً للثقافة الإسلامية، على أن يوضع برنامج ثقافي وفني لتأكيد هذه الحقيقة ينفذ خلال عام 2006م.

وتحدث الوزراء عن أهمية هذه المدينة عمرانياً وثقافياً وفنياً وتجارياً على مدى العصور الإسلامية، فكان اختيار حلب بعد اختيار مكة أول عاصمة ثقافة إسلامية. ولقد تلقت حلب هذا القرار باهتمام بالغ ووضعت برامج متنوعة، أولها عمليات الترميم والتأهيل لأهم المواقع الأثرية في المدينة، ومنها النشاطات المسرحية والمعارض والمحاضرات والندوات التي شارك فيها صفوة المفكرين والعلماء من العرب والأجانب ومن علماء هذه المدينة، التي ما زالت ترعى الأجيال الحاضرة، وورثة كبار العلماء والمفكرين والشعراء، كالسهروردي وأبي فراس والمنتبي، وعشرات غيرهم..

لقد مهد لإطلاق فعاليات الاحتفالية رعاية السيد رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد بافتتاح الجامع الكبير بعد الانتهاء من ترميمه وتأهيله. ويوم افتتاح الاحتفالية كان المحتفى به يبكي من الفرح أمام

ألف المواطنين الذين يعيشون عرساً ثقافياً تاريخياً، تحت عنوان كبير اسمه (حلب عاصمة الثقافة الإسلامية).

لقد صفقوا وهتفوا بجملة لإعادة الألق الحضاري لمدينتهم الشهباء، التي ما زالت حاضرة كبرى من حواضر العالم الإسلامي.

وكان الأستاذ قجة حاضراً في ضمير كل مواطن يشارك في هذا العيد التاريخي، كما كان حاضراً وفاعلاً في كل مناسبة ثقافية وفنية. وبوصفه المفكر المدقق المبدع كانت مشاركته ناظماً لجميع الوقائع والاحتفالات، فلم يحجب نشاطه الإداري والتنظيمي شخصيته الثقافية التي عرفناها من خلال كتبه المطبوعة وأبحاثه المنشورة، بل كانت هذه الهوية مبعثاً لالتفاف المثقفين حوله، ولتلبية كبار الباحثين للمشاركة في البرامج الموضوعية لهذه الاحتفالية.

ولعلّ العمل الفني الذي قام بتأليفه الأستاذ المبدع محمد قجة تحت عنوان (حلب على صفحات التاريخ) شاهداً على مقدرته الإبداعية، فلقد مزج فيه صفة الحكواتي مع تقنية السينما، وفي هذا العمل الذي قدم على شكل أوبريت عرض المؤلف تاريخ حلب منذ الألف العاشرة قبل الميلاد وحتى اليوم، ضمن إطار لوحات تمثيلية وغنائية، ووقف متأنياً في عهد سيف الدولة وبلاطه من الشعراء أمثال المتنبّي وأبي فراس والمفكر الفارابي والعالم الصوفي السهروردي، مردداً شعر السهروردي:

أبدأ تحن إليكم الأرواحُ ووصالكم ريجانها والراحُ
وقلوب أهلٍ ودا دمكم تشتاقكم وإلى لذيذ لقائكم ترتاحُ
وا رحمتا للعاشقين تكلفوا سترَ الحبة والهوى فضاحُ
بالسرِّ إن باحوا تُباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تُباح

لقد سعى المؤلف مبدع هذا العمل أن يعود بحلب إلى أعماق التاريخ، فهذه المدينة تعد من أقدم مدن العالم ومن أعرقها حضارة وثقافة، ولا بدَّ من تحية صادقة لفريق العمل الذي أنجز هذا الأوبريت، وللجهد المكثف لإنجازها في وقت قصير.

وكان من أهم ما قدّمته الندوة إبراز دور الإسلام في احترام حقوق الإنسان وتحقيق التعايش السلمي بين الطوائف، والتأكيد على موقعها الجغرافي الذي جعل منها بوابة عبور بين الشرق والغرب. وما زالت خانات حلب تحتفظ بذكريات التجارة الدولية التي كانت حلب مركز فعاليتها بين الشرق الأقصى وبين حوض البحر المتوسط.

وعن دورها في تجارة طريق الحرير كان ثمة بحثٌ علمي قدّمه الصديق المكرّم الباحث محمد قجّة. وكان مشروع الحديقة الدولية رمزاً للحوار بين الحضارات والثقافات، وجسراً يربط حلب بعالم اليوم، كما كانت

أسواق حلب وخاناتها محطات اقتصادية جعلت حلبَ من أهم مراكز التجارة والصدّاقة العالمية.

لقد كان سيف الدولة والمنتبي والسهروردي وعبد الرحمن الكواكبي موضوع تكريم مستقل، شارك في الحديث عن عصرهم وعن أفكارهم لفيف كبير من العلماء العرب والأجانب، وعن ابن العديم كان للمحتفى به الصديق محمد قجة مداخلة هامة أوضح فيها منهج هذا المؤرخ في كتبه التاريخية المختلفة.

كما تحدث الأستاذ قجة عن الإصلاح الاجتماعي التربوي عند عبد الرحمن الكواكبي، وأوضح أنّ الاستبداد عند الكواكبي يهدم ما قد تبنيه التربية، ويربي الناس على التلقي والطاعة من غير أن يستخدموا عقولهم. لقد شارك في دراسة الكواكبي وكتابه عن الاستبداد كبار المفكرين وأجمعوا على ضرورة إعادة نشر جميع مؤلفاته، وتاريخ حياته ونضاله الثقافي، وبين أيدينا كتاب عن الكواكبي، نقدم تحيتنا لمن ألفه ورعى نشره.

لقد اهتمت الاحتفالية بتخصيص ندوة عن التراث اللامادي في مدينة حلب، شارك فيها عدد من كبار الباحثين، وتشدني الآن ورقة المحتفى به التي أوضح فيها أنّ حلب عرفت أشكالاً من الحضارات ساهمت في صوغ شخصية متميزة لهذه المدينة، تمثلت بالأشكال الثقافية الشفوية وغير الشفوية، من عادات وتقاليد وحرف ومهن.

أخيراً؛ لا بد أن نردد مع أبي فراس الحمداني ذكرياتنا في هذه المدينة:

أيام عمري ونفاذ أمري هي التي أحسبها من عمري
أنعتُ يوماً مربي بالشام ألدّ ما مرّ من الأيامِ



التكريم.. وكرم المجازاة

الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشر

أستاذ في كلية الآداب في جامعة دمشق سابقاً

ليس من جميل العرفان أن يقف الأستاذ موقفي من الشهادة لتلميذه في حفل تكريمه، بالامتياز، بحكم تكوينه المفطور أو العامل المكتسب من بعد. في الجد والعطاء، في ميادين متعددة من ميادين العمل، وفي الإخلاص لمعانيه، انصرافه فيه إلى صالح الإنسان، وفي اكتمال قدراته في تأديته: تفوق فهمه واتساع قدراته، وقوة حضوره، وحدة إحساسه، مع مراعاة الجانب الأخلاقي في تعامله في حال الموافقة أو المخالفة، واحتفاظه على الحاليين بالود، ومواجهته النكران بالإمعان في صنع الجميل، والسماح فيه إلى حد اللذة في كرم المجازاة.

ولكن ما الذي يعنيه التكريم، بعيداً من رفع ممثليه، فإنهم زائلون اليوم كما زالوا بالأمس، على امتداد الزمان، أليس يعني تكريمهم تكريم العمل في ذاته، فهو وحده الباقي بخيره ونفعه في حياة الناس فليس يكرم العمل لصاحبه وإنما لصالح الإنسان، ولصاحبه الشهادة بالنفع فحسب، له وللناس من حوله: وجه من الإقرار بالجميل وشكره.

والمعنى الكبير الثالث هو حفز الآخرين على الاقتداء بهم, بصفتهم العاملين الناجحين في صنع الخير لهم وللناس من حولهم, في وقت راق. وهذا المعنى يقتضي كما قلنا أن يكون في التكريم معنى من معاني الإقرار بالنجاح في سعيهم إلى تحصيل ما حصلوه لأنفسهم وللناس من حولهم. على أن النجاح في هذا السعي سيلتزم فسح الطريق لصانعيه. وإحاطتهم بمظاهر التشجيع وحقائقه على السواء: إشعارهم بالود ودفعهم إلى المتابعة لتكتمل معاني النجاح في مسعاهم إليه.

وعند هذا المعنى يجدر التوقف, لما يعني التكريم عنه من سد السبل أمام العاملين أو تصفيتهم, والإخفاق في السعي إلى الخير العام, وما يصيب أصحابه من اليأس والإحباط والعجز, تتعدى نتائجها أصحابه إلى المجتمع الذي يعيشون فيه, ويلتمسون الخير له ولأنفسهم معاً.

عند هذا المعنى يجدر أن نتحلى بقدر من شجاعة الرأي تدنينا من الكشف عما نعاني جميعاً من الوقوف في وجه العاملين القادرين على شق الطرقات واستشراف الآفاق الجديدة في العمل, على تصحيح المواقف وبناء الجسور إلى المستقبل في ميادين العمل كافة: الإداري والعلمي والاجتماعي, سعياً إلى استكمال القدرات وتقويتها في صراعنا مع القوى المستنزفة لهزيمتنا وتحطيم قدراتنا.

نعم، ينبغي أن نصح المسلك العام في موقفنا ممن يعملون على عرقلة العمل ويملكون القدرات على منع النجاح فيه.

وفي نفسي وأنا أقول هذا الكلام أمثلة لا تحصى من مواجهتهم بالنكرة والرفض المبطن أو المكشوف، وباللامبالاة التي تصل في أكثر الأحيان إلى كسر الحافز لديهم.

وفي نفسي وأنا أقول الكلام أمثلة لا تحصى من مواجهتهم بالحسد المستور، باجاملات الرخيصة، أو الطعن المغطى بالخوف من آثار العمل الصالح، إلى شق الطرق الجديدة في حياتهم وحياة الناس من حولهم، أو الغيرة من النجاح فيما أحقق الحاسد فيه أو قصر عن بلوغه.

لا أريد أن أتمثل موقف الآخرين في المجتمعات المتقدمة من طموح الطامحين إلى بلوغ النجاح في مختلف الميادين: يدفعونهم دفعاً إلى متابعة الطريق فيما هم فيه. ولهذا يُسأل من يعيشون معهم عما بلغوا من أسباب النجاح: هل كانوا يستطيعون بلوغه لو أنهم ظلّوا بيننا؟

إنما أقول ما أقوله من بلوغ الأسف حبة القلب، وأنا أسمع أجوبة الذين سئلوا منهم هذا السؤال.

أتملى جواب أحدهم وهو يتلوى من الألم: إن من يرتكب ذنب السعي إلى النجاح فينا أو من يبلغه عليه أن يحتمل عقوبة ما ارتكب: عداوة موهبة، وحسداً مبطناً وضعينة مستورة.

يا أبا الحسن.. أيها الأخ الكريم..

انتهزت فرصة شهادتي فيك لأقول هذه الكلمة، التي ما أريد منها أن
أتمثل بك وقد نجحت فيما قصدت بحمد الله، وإنما هي رغبة في تصحيح
المسلك كما قلت، إن لم يكن موضعها هنا، فلن يجنب قصدها بإذن الله.

ولتبق سمحاً ودوداً، وإلى جانبك من أصدقائك العاملين في الحقل الثقافي
العام، إخوة يتمنون لك ما تتمناه لنفسك.

احفظ رسالتك التي تؤديها في جمعية العاديات، وأكتب بحوثك بما تطمح
إلى بلوغه فيها من درجات النجاح، وتقدم بما تملك من أسباب المحبة
والوفاء (وقد كان لها مثل في موقفك مني)..

كما لا بد أن تذكر: ودّاً وتهذيباً وارتفاعاً عن الدنيّة، وإن تابعت
الآخرين في الموقف الخطأ من الأساس، فيما قصدت إليه.

من القلب، أتمنى لك الخير، وأسعى إلى تبليغك أسبابه.

وأوصيك يا أبا الحسن، ولي الحق في وصايتك أن تتسلح بالحب
والسماح وكرم النفس. وهي الصفات التي عرفتها فيك.

محمد قجّة وجمعية العاديات



الأستاذ فؤاد هلال

نائب رئيس جمعية العاديات

في الوقت الذي اتصفت فيه الجمعيات القليلة المؤسسة في بلادنا مطلع القرن العشرين، بأنها جمعيات خيرية وإنسانية لها الطابع الديني ومرتبطة بالطوائف، تأسست بتاريخ 1924/8/2: "جمعية أصدقاء القلعة" وأصبحت بعدئذ "جمعية العاديات" التي تعنى بالآثار والتاريخ والتراث. فكانت هذه الجمعية أول منظمة تتصف بالعلمانية في المجتمع الأهلي، ليس في بلادنا فقط بل في المنطقة بكاملها، إذ نص نظامها الأساسي على ألا تتدخل بالشؤون السياسية والدينية.

حافظت الجمعية طوال عمرها الذي امتد حتى الآن خمسة وثمانين عاما على هذا المبدأ، الذي اعتمده مؤسسوها، الشيخ المؤرخ كامل الغزي والأب جبرائيل رابط والمؤرخ محمد راغب الطباخ و المهندس صبحي مظلوم والشيخ عبدالوهاب طلس والأب جرجس منش والدكتور اسعد الكواكبي ومفتش الآثار الفرنسي بلوا دو روترو.

وقد أثمرت جهود الجمعية بصدور القرار 136 لعام 1926 القاضي بإنشاء متحف حلب.

من أعلام الجمعية المتوفين، إضافة إلى مؤسسيها:

- العلامة خير الدين الأسدي معّد " موسوعة حلب المقارنة "
- الدكتور عبدالرحمن الكيالي مؤلف كتاب " المراحل - 4 أجزاء)
- الأديب سامي الكيالي - صاحب مجلة الحديث
- الشاعر عبدالله يوركي حلاق صاحب مجل الضاد
- أسعد وفؤاد عنتابي - الدكتور أدولف بوخه - الأستاذ جبرائيل غزال - المطران نوفيطوس إدلبي - الأستاذ اسعد كوراني - الدكتور زهير مشاركة (نائب رئيس الجمهورية الأسبق)
- والدكتور زكي حنوش والأستاذ إحسان كيالي والأستاذ عبدالقادر عياش والدكتور عبدالرحمن الكواكبي والدكتور إحسان شيط
- والدكتور سامي سحلول والأستاذ عزت ضاحي والمربي علي رضا والفنان صبري مدلل والمهندسان مصطفى حكمت يازجي وعبدالمنعم حربلي.
- الآثاري والموسيقي جبرائيل سعادة، والآثاريون أسعد طلس وصبحي الصواف وراؤول فيتالي
- الفنانان فاتح مدرس وألفريد بخاش.

ولما كان العنصر الأهم في نجاح أية مؤسسة أهلية يعتمد على أشخاص إداريينها وجهودهم المبذولة وأوقاتهم المقدمة لخدمة أغراضها. ولما كان تاريخ جمعية العاديات قد تأثر طوال السنوات الخمسة عشرة الماضية بشخص المحتفى به الأستاذ محمد قجة، الذي قام خلالها برئاسة مجلس إدارتها، فقد أعطاها تطوعا معظم جهده ووقته، وشكلت الجمعية اهتمامه الأول، لذلك لا يمكننا في حفل تكريمه هذا، أن نفرص بين شخص الأستاذ قجة وشخصية جمعية العاديات، عند تعداد ما حققته جمعية العاديات من إنجازات وتطورات وبين الإنجازات الكاملة للمحتفى به.

منذ أن استلم الأستاذ قجة الإدارة الفعلية لجمعية العاديات عام 1994 تمكنت الجمعية من تحقيق الإنجازات التالية:

1- الكتاب السنوي:

أصدرت الجمعية منذ عام 1975 كتابها السنوي الذي تضمن أهم الأبحاث والمحاضرات الأثرية والتاريخية والتراثية، وتابعت الجمعية إصدار هذا الكتاب، وتمكنت أن تشرك فيه جامعة حلب التي تولت طبعه في مطابعها مساهمة منها في إخراج هذا الكتاب المهم.

2- مجلة العاديات:

سبق للجمعية أن أصدرت هذه المجلة الفصلية في عام 1931، وتوقفت عن إصدارها خلال الحرب العالمية الثانية وحتى عام 2004 وقد

استحصلت الجمعية في عام 2004 على ترخيص من وزارة الإعلام بإصدارها مجلتها الجديدة و تابعت إصدارها فصلية حتى الآن بطاقم تحرير متطوع وكفاء.

3 - النشاط الثقافي والفني

تابعت الجمعية خطتها بتقديم محاضرة في يوم الأربعاء من كل أسبوع وإقامة ندوات منفردة أو بالاشتراك مع جامعة حلب ومديرية الثقافة وجمعية الشهباء ونقابة المهندسين وغيرها من الجهات. كما أن للجمعية فرقة كورال للأناشيد الوطنية.

4 - فروع الجمعية:

كان للجمعية فرعان، في اللاذقية ودير الزور عام 1994، فأصبح لها حتى الآن 15 فرعا في:

اللاذقية - دير الزور - حمص - جبلة حماة - السلمية - السويداء - طرطوس - درعا - الميادين - مصيف - الرقة - إدلب - الحسكة وأخيراً دمشق الذي افتتح هذا العام.

وبالرغم من أن جميع فروع الجمعية هي فروع مرخصة من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، ولكنها فروع غير مشهرة، تعمل بإشراف وعلى مسؤولية مركز الجمعية في حلب، الذي يقوم عادة بتعيين مجلس الإدارة

لكل فرع، ولكن رغبة منه في تأهيل فروع الجمعية لممارسة الديمقراطية الانتخابية، بحيث يقوم أعضاء كل فرع بانتخاب مجلس إدارته، لذلك أصدرت النظام الداخلي للفروع الذي أناط بمهنة الفرع العامة انتخاب مجلس إدارة الفرع.

5 - عضوية الجمعية في المجالس واللجان الرسمية:

تقديرًا من الدولة لدور ومهام جمعية العاديات فقد أصدرت المراسيم والقرارات اللازمة لتسميتها عضوا دائما في:

- مجلس التخطيط الاقتصادي والاجتماعي محافظة حلب
- لجنة حماية المدينة القديمة
- لجنة الفعاليات الثقافية وقد صدر القرار بتسمية الأستاذ قجة مستشاراً ثقافياً محافظة حلب، وخصص له مكتب خاص في دار الحكومة.
- لجنة تطوير المواقع السياحية
- لجنة أنجاز الجامع الأموي الكبير بحلب.
- لجنة تسمية الشوارع
- لجنة حماية المستهلك
- لجنة متحف ذاكرة المدينة
- لجنة المتني
- لجنة تمكين اللغة العربية.

6 - التعاون مع الجمعيات الشقيقة خارج القطر

امتد نشاط الجمعية خارج القطر، فتعاونت مع الجمعيات المماثلة في لبنان والأردن ومصر والعراق والسعودية والإمارات والبحرين والكويت وتونس والجزائر والمغرب واسبانيا والبرتغال وإيران وتركيا وماليزيا، وهي تساهم في تأسيس الاتحاد العربي للجمعيات الأثرية.

كما أنها بنت علاقات متينة مع كل من:

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ALECSO التي أسستها الجامعة العربية في عام 1970 لتمثيل في أهدافها منظمة اليونسكو
 - المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISESCO) المؤسسة عام 1982 ومركزها في الرباط وتضم 51 دولة إسلامية
- لقد احتلت الجمعية مركزا مرموقا خارج القطر وأصبح رئيسها المحتفى به علما معروفا لدى هذه الجهات تدعوه للاشتراك في ندواتها أو لإلقاء محاضرات لديها أو حضور احتفالاتها.

7 - مكتبة الجمعية

لقد كان في مكتبة الجمعية 259 كتابا قبل عام 1994، وعمدت الجمعية منذ ذلك العام إلى تخصيص قسم من مواردها لتأسيس مكتبة هامة وتظهر ميزانية عام 1996 أن تكلفة المكتبة بلغت 140 ألف ليرة سورية، وقد زادت إلى أكثر من أربعة أضعاف عام 2007 فبلغت 590 ألف ليرة

سورية، إضافة إلى التبرعات من الكتب التي وصلتها ومنها مكتبة المربي علي رضا وعدد وافر من كتب الدكتور نعيم اليافي والأستاذ جاك عسل. وتتضمن هذه المكتبة حاليا 6000 كتابا عربيا و1500 كتابا باللغات الأجنبية (فرنسي - أنكليزي - روسي - الماني - أسباني - روماني - تركي - فارسي) و 4000 نسخة من الدوريات الفكرية والبحثية ويعتمد العديد من طلاب فرع التاريخ في الجامعة على مكتبة الجمعية التي خصصت غرفة خاصة للمطالعة.

كما عمدت الجمعية مؤخرا إلى تأسيس المكتبة الرقمية، التي تضمنت حتى الآن 15 ألف كتاب الكتروني، كما تمت فهرست الكتب في المكتبتين العادية والرقمية.

ولدى الجمعية مئات الأشرطة المسجلة عن كافة المحاضرات التي أقيمت بدعوة منها، وكذلك أشرطة الفيديو والأقراص الليزرية المضغوطة. إضافة إلى مجموعات كبيرة من الصور الأثرية والمتعلقة بنشاطاتها وفعاليتها المتنوعة.

8 - مقر الجمعية

سابقا كان مقر الجمعية في مكتب رئيسها أو في غرفة في متحف حلب، وبعدئذ أجرت ثلاث غرف في مقرها الحالي المشترك مع اتحاد الشبيبة والتدريب الجامعي.

وبعد جهود مستمرة بذلتها إدارة الجمعية تمكنت عام 2007 و بقرار من السيد رئيس الجمهورية تمكنت من أن تشغل إيجارا كامل المبنى وأخلت الشبيبة والتدريب الجامعي المقر المؤلف من ثلاثة طوابق فيها 25 غرفة وثلاث صالات تستخدم إحداها كقاعة محاضرات تتسع لمائة شخص، وباحة مساحتها ألف متر مربع، وتخطط إدارة الجمعية لاستثمارها مع الطابق الأرضي كمنتدى اجتماعي لأعضاء الجمعية وأسرههم وأصدقائهم، وسيكون بالإمكان إقامة العديد من المناسبات والاحتفالات وحتى الندوات في هذا المنتدى الذي سيتسع لمئات الأشخاص.

9 - موقع الجمعية على الانترنت

اشتركت الجمعية في نظام (إي دي إس إل) السريع للانترنت، وأقامت موقعها على الانترنت، وسيكون بإمكانها وصل كافة فروعها ببريدها الالكتروني، وتشرف على موقع الجمعية لجنة المعلوماتية المؤلفة من أخصائيين متطوعين.

10 - رحلات الجمعية

تقوم لجنة الرحلات في الجمعية بتنظيم الرحلات إلى كافة المناطق الأثرية في القطر وخارج القطر، وأصبح لديها نشرات تعريفية لكل موقع، سيتم جمعها في كتاب، تعميما للفائدة. كما باشرت بتنظيم رحلات المسير إلى المناطق الأثرية سيرا على الأقدام التي تساعد على تثبيت المعلومات

والمشاهد أكثر من تلك المحمولة بالسيارات، وكذلك الرحلات بالقطار بالتعاون مع مؤسسة الخطوط الحديدية.

وتمكنت لجنة الرحلات طوال الأعوام الماضية من رفد ميزانية الجمعية بإيرادات ساعدتها على القيام بمهامها العلمية. كما تنظم الجمعية زيارات للمواقع الأثرية في حلب يشارك فيها العديد من المواطنين بغية تعريفهم على معالم مدينتهم القديمة. ولدى الجمعية أرشيف هام من الصور والأفلام عن رحلاتها وزياراتها.

11 - مالية الجمعية

بعد صدور قانون الجمعيات رقم 93 لعام 1959، ترتب على كافة الجمعيات، أن تصدر نظامها الأساسي وفق أحكام القانون وأن تحدد فيه بدلات الانتساب والاشتراك السنوي، وقد حدد نظام الجمعية هذه البدلات على أساس مستوى المعيشة في ذلك العام، الذي زاد نتيجة التضخم إلى أكثر من مائة ضعف، وبقيت هذه البدلات على حالها. ولولا تبرعات الأعضاء والأصدقاء والجهات الرسمية التي تقدر أهمية دور الجمعية في المجالات التاريخية والتراثية والثقافية، وعائدات الرحلات التي تنظمها الجمعية لتعذر عليها متابعة نشاطها.

وعلى سبيل المقارنة فإننا نضع فيما يلي جدولاً مقارنة عن ميزانية الجمعية في عامي 1996 و 2007 ، محسوبا بآلاف الليرات السورية.

العنوان	1996	2007	نسبة الزيادة
المكتبة	140	590	%421
الأثاث والأجهزة	582	1730	%297
المصارف	1	3644	%3644
وفر السنة الجارية	27	392	%1451
الوفر المتجمع	592	1480	%250

كما نضع فيما يلي جدولاً مقارنة بين موارد ونفقات الجمعية في عامي 1996 و 2007 ، بآلاف الليرات السورية:

الحساب	1996	2007	نسبة الزيادة
بدلات الانتساب والاشتراك	99	240	%242
التبرعات	27	543	%2011
الرحلات	631	840	%133
مجموع العائدات	1005	1641	%163
الرواتب والأجور	113	1245	%115
مجموع النفقات	1078	1245	%115

لقد كان للجمعية ميزانية سنوية تقدمها لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل وتعرضها للتصديق على الهيئة العامة لأعضائها مصدقة من محاسب قانوني وذلك أسوة بباقي الجمعيات، أما اللجنة المالية في جمعية العاديات فإنها تعد منذ ثماني سنوات وحتى الآن ميزانية شهرية تفصيلية وذلك تسهيلا لرقابة وتوجيه مجلس الإدارة، وندر أن يكون هناك نظام مماثل لدى باقي الجمعيات.

12- دور الجمعية والختفى به في احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية
لقد عين رئيس جمعية العاديات أمينا عاما للاحتفالية، وخصص له مكتب مع مساعدين للقيام بمهامه، وقد بذل الأستاذ قجة جهودا متميزة ووضعت جمعية العاديات كافة إمكانياتها لضمان نجاح الاحتفالية بشكل متميز يجعلها قدوة لاحتفالات المدن الأخرى في المستقبل، وتمكنت الاحتفالية من أن تحقق:

- إصدار 174 كتابا
- إقامة 53 ندوة شارك فيها باحثون من سورية والأقطار العربية وتركيا واسبانيا وانكلترا وفرنسا وإيران وطبعت في كتب مستقلة
- أكثر من مائة معرض فني تشكيلي وصور وأزياء وصناعات تقليدية
- أكثر من مائة حفل فني
- عدد من المهرجانات وبخاصة حفل الافتتاح وحفل الختام
- مئات المحاضرات ذات الموضوع التراثي.

إنَّ معظم مؤسسات المجتمع الأهلي في بلادنا تعتمد في إدارتها على تفرغ شخص واحد يعطيها وقته وجهده، بحيث يبقى وجود باقي أعضاء الإدارة أمراً شكلياً اقتضته القوانين والأنظمة، لذلك سميت بـ "جمعيات الشخص الواحد"، أمّا جمعية العاديات، ولا سيّما في سنواتها الأخيرة وبعد توسع مقرها، فهي "جمعية الفريق الواحد" بحيث يعمل جميع إدارييها بانسجام كلٍّ منهم في حدود مهمته، برئاسة المحتفى به، ويشكل ذلك عاملاً هاماً في نجاحها وقدرتها على القيام بمهام لا تستطيع غيرها من المؤسسات القيام بها.

وفي الختام، وتوضيحاً للواقع، لا بدّ لنا من الإشارة إلى أن التفاعل بين الأستاذ قجة وجمعية العاديات كان قوياً جداً، بحيث ساهم إلى حد بعيد في تحقيق إنجازات كلٍّ منهما، فبقدر ما حقق الأستاذ قجة لجمعية العاديات من الإنجازات التي ذكرناها في هذه المداخلة، فإنّ جمعية العاديات فتحت للأستاذ قجة الآفاق، وأمنت له البيئة الملائمة لممارسة إبداعاته وتحقيق إنجازاته.

أملنا أن نكون قد أعطينا صورة واضحة عن إنجازات المحتفى به من خلال جمعية العاديات، والتي تحققت بفضل جهوده وتفرغه وتعاونه مع أعضاء مجلس إدارة الجمعية وأعضائها الآخرين، وفتح المجال لكلٍّ منهم ليبرز إمكانياته التطوعية في تحقيق أغراض الجمعية، مما يجعله جديراً بالتقدير والشكر والتكريم.

الفصل الخامس:

ختام الندوة



كلمة المشاركين

ألقاها الدكتور يوسف زيدان

هذا شرف كبير أن يناط بي إلقاء كلمة الباحثين في هذه الندوة التي امتدت على يومين للاحتفاء بابن حلب وأبيها محمد قجة،

ولا يسع المشاركون في هذه الندوة - حسبما تجلى واضحاً في كلماتهم التي ألقىت من على المنصة أو التي دارت بينهم بين الجلسات - إلا أن يؤكدوا جميعاً أنه من حظ هذه المدينة بأما حظيت بالأستاذ محمد قجة..

فهذا الرجل المشغل بمدينته التي يتعامل معها باعتباره ابناً وأباً، هي علاقة جدلية لم تكن يوماً في المطلق وإنما كانت دوماً في الواقع متجلية عملاً وفكراً وانشغالا وجهداً لم يتوقف يوماً، ولا نرجو له أن يتوقف يوماً.

وندعو حلب بأن تهنأ بابنها وأبيها، وندعو للمدن العربية الأخرى بأن تحظى بمثل محمد قجة.



البيان الختامي

ألقاه الدكتور أحمد أديب الشعار

تمثل المسيرة العلمية والأدبية والتراثية للأستاذ الباحث محمد قجة أنموذجاً رائعاً للشخصية المثابرة على العمل والبحث ومثالاً للشخصية المعطاءة على العديد من الصعد،

كان صعيد العمل الأهلي هو الأكثر نصوعاً، كما كان لدوره المتميز في إدارة احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية أثر إيجابي جداً على إظهار وجه حلب الثقافي والحضاري والتراثي،

وكان للشخصية الكاريزماتية التي تمتع بها أكبر الأثر على توسعة رقعة جمعية العاديات لتتحول من جمعية تغطي حلب فقط إلى جمعية تغطي معظم أرجاء الوطن.

كما كان لعلاقاته الوطيدة والمتميزة مع أبناء حلب من المسيحيين أثر جيد في توطيد علائق المودة المشتركة بين أبناء الوطن كافة.

وكان صمود الأستاذ قجة أمام هجمات وانتقادات أعداء النجاح مؤشراً على قوة هذا الرجل الذي يؤمن بأن الزبد يجب ألا يعيق مسيرتنا نحو ما ينفع الناس.

نتمنى للأستاذ قجة دوام الصحة وطول العمر واستمرار العطاء.

وفي الختام نقدم المقترحات التالية:

- 1- تسمية إحدى قاعات المركز الثقافي بحلب باسمه.
- 2- نشر الأوراق التي قدمت في هذه الندوة ضمن مجلد واحد.
- 3- الطلب من الأستاذ قجة أن يجمع أوراقه في مجلد أو عدة مجلدات تسهيلاً للبحث. كما يجعل أعمال الأستاذ قجة أكثر إتاحة للقراء والباحثين.
- 4- المتابعة في التوجه نحو تكريم مبدعي حلب في حياتهم.

كلمة المكرّم محمد قجّة



وعانقيني لأرقى فيك للشُّهْبِ
ومن لماك رحيقُ الطلِّ والعنبِ
إلا تشهّيتُ في زنديكٍ منقَلبي
وتستطيين من همّي و من وصبي
يعنوك الصخرُ في عَجَبٍ وفي عَجَبِ
بما منحت هوىً في سائرِ الحقبِ
ترابَ أرضكٍ منشوراً على الرُحْبِ
بالأمنيات إذا تنبو وإن تُصبِ
وقد تشيب الرؤى، والقلب لم يشبِ
زهرَ النجوم، ورشّيتها على الكُثبِ
وطاولتها الليالي وهي لم تغبِ
يوحّد الله في فجرٍ وفي غربِ
حتى غدوت منارَ الدهرِ للعربِ
وأشرق النجمُ بين السادةِ النُجْبِ
ومالئ الكونِ من إعجازهِ العربي
فعمّت الكون مثل البرق في السُحْبِ
عشقٌ، ومقلتنا ترنو إلى حلبِ
إذا لفاخرتُ أُنّي اليعربي الحلبي

أهواك يا حلبُ الشهباءُ فاقتربي
من مقلتيك صباباتي ألملمها
ما مرّ طيفك في حلمي فدغدغه
كم ذا أكابد في عينيك من وصبِ
يا درةً في ضلوع الصخر طالعةً
شهباءُ يا مولد التاريخ منتشياً
هذا أوانك، إننا نخبه عشقتُ
هي الحياة، سلافات معتّقة
قد يهرم القلب في غراء صبوته
مدّي ذراعك يا شهباء، و التقطي
تطاولين الشريا قلعةً شمختُ
ومن ماذنك السماء منطلقٌ
طوّقت جيدَ الدنا، مجدداً ومكرمةً
هنا تهادى بنو حمدان في عَجْبِ
القاهر المتنبّي أمسه وغداً
ألقي على الدهرِ في زهو قصيدته
شهباءُ، نحن بنوكِ الغرّ، مهجتنا
إن فاحر القوم في أرض وفي نسب

أيها الأصدقاء والأحباء..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله مساءكم جميعاً..

إنه لموقف وفاء إنساني كبير، لا بد لي من الوقوف لديه، لأتقدم بواجب الشكر لكم جميعاً، وإنها لمناسبة فيها -بالنسبة لي- من الدفاء الإنساني، ومن العرفان والمودة، أكبر بكثير مما أستيط التعبير عنه أو الحديث فيه، بعد هذه الكلمات والدراسات والشهادات التي قدّمها الأصدقاء الكبار الخّص خلال يومين من هذه الندوة.

والشكر العميم للسيد الدكتور رياض نعان آغا الوزير والصدّيق والمثقف صاحب فكرة هذه الندوات التكريمية، التي كان المؤلف فيها أن يكرّم المرء بعد رحيله، ليختلط التكريم بالتأين، وهي فكرة نبيلة من رجل نبيل.

نلتقي اليوم في رحاب محبوبتنا، حلب المحروسة، فجر التاريخ البشري، ومشهد الحضارات المتتالية التي تم استيعابها في إطار الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، نسيجاً مرناً متسامحاً معترفاً بالآخر، يؤمن بالحوار وليس بالصراع، وبالحبة وليس الكراهية.

هذه الكلمات التي طوقتم بها عنقي، سواء كانت في الندوة، أم رسائل بعث بها الأصدقاء، أم شهادات تلفزيونية، تشكل لدي أضمومة إنسانية

تمثل قيم الخير والتواؤ والألفة، وتدفعني لأكون أكثر اقتناعاً بالعمل الذي نذرتُ له نفسي، خدمة لأمتي وتراثها وحضارتها. وكانت ذروته احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية.

لقد كانت برامج الاحتفالية إنجازاً لفريق عمل واسع كبير، كانت عملاً مؤسساتياً ظهرت فيه مدينة حلب نموذجاً حضارياً نعتزُّ به جميعاً، تمثل العيش الوطني المشترك، والثقافة التي تطلُّ أبناءها بأطياف المحبة والفهم المبني على "الحكمة والموعظة الحسنة"، وهذا ما أكدته كلمات الأصدقاء الأعراء، وبخاصة سماحة المفتي وسيادة المطران

أيها الأصدقاء: مسؤولين وباحثين وأدباء وأخوة كراماً:

اليوم.. لن أقف فيكم متحدثاً، وإنما أبحث عن عبارات ثناء وامتنان، لعلها تفي بعض ما أوليتموني إياه.

وإذا كان هناك من أمر أودّ التوقف عنده، فهو ضرورة تمسكنا بهذا الجدار الأخير الذي يحمي وجودنا، وهو ثقافتنا العربية لغةً وتراثاً وأدباً وعلماً وفلسفةً، وكل مكونات الحضارة.

هذا الجدار الأخير الذي يجب أن يبقى قوياً متماسكاً، لأن تداعيه وتزعزعه يعنيان خروجنا من التاريخ، وهذا الخروج من التاريخ أمنية

لأعدائنا طالما طرحوها منذ مطلع القرن العشرين، وهم يؤكدون عليها اليوم أكثر من أي وقت مضى.

والهزائم السياسية والعسكرية كبوات يمكن النهوض منها، والأزمات الاقتصادية يمكن تلافيتها وتجاوزها، ولكن الهزيمة الثقافية هي الخطر الأكبر، وهي الكارثة التي لا قيام للأمة بعدها.

ولهذا فنحن حريصون كل الحرص على أن تبقى ثقافتنا صرحاً متلاحماً أمام الهجمات الظالمة التي تستهدف لغتنا وحضارتنا، ولقد تساءل كثيرون ممن نصبوا أنفسهم أعداء لنا: " لماذا لا يخرج العرب من التاريخ؟! "

ونحن نقول لهؤلاء جميعاً: نحن حقائق التاريخ وأصله ومساره الإنساني.. نحن الجغرافية المتماسكة بشرياً وامتداداً يستعصي على خرائط المتآمرين وأطماع الغزاة، نحن الحضارة الممتدة آلاف السنين، ولسنا أبناء عشرات السنين المتجمعة من هنا وهناك.

إن تمسكنا بتراثنا وحضارتنا وثقافتنا لا يعني باية صورة عزلتنا وانسلاخنا عن الثقافات والحضارات الأخرى، فلقد كنا عبر تاريخنا الطويل مثلاً للتفاعل والتكامل مع الشعوب والحضارات والثقافات، من غير أن يعني ذلك ذوباناً واضمحلالاً، ونحن نشهد اليوم كيف تتهاوى لغات وثقافات لشعوب عدة أمام زحف ما يسمى "عولمة

الثقافة"، ونشهد في الوقت نفسه كيف تتماسك الشعوب وتشكل الدفاعات المحصنة أمام ثقافتها.

ولكننا نأسف ونحن نرى الهجمات تأكل من أطرافنا مشرقاً ومغرباً، وتصبح لغتنا في بعض أقطارنا لغةً ثانية لتحتلّ مكانها الفرنسية أو الانكليزية كلغة أولى، تعليماً واستخداماً يومياً في شؤون الحياة.

إنه الخطر المنذر بالزوال، وعلينا التنبيه قبل أن يستفحل الأمر ويصعب العلاج.

من هذا المنطلق كانت احتفالتنا في حلب عاصمة الثقافة الإسلامية جزءاً من عملية معرفة التراث والتمسك به والدفاع عنه.

ومن هذا المنطلق كذلك، تنهض أعمالنا في جمعية العاديات التي بلغ عمرها 85 عاماً، فلقد تأسست عام 1924، وهي الجمعية الثقافية التراثية التي ولدت في حلب -مركزها الأم- وانتشرت فروعها في سائر المدن السورية، لتكون المنظمة المثلى للعمل الأهلي العام القائم على التطوع خدمةً للوطن وقضاياها الثقافية والحضارية، وهي المنظمة الأهلية الأقدم من نوعها في الوطن العربي.

إن عملنا في مجال التراث بأشكاله المتعددة لا يعني الانغلاق على الماضي ورفض الحاضر والمستقبل، وإنما يعني الثقة بالنفس وبالوطن وبالأمّة

وبالتاريخ، ويعني عدم الانبهار بالغرب -بلا مبرر-. كما يعني عدم الشعور بالنقص و"عقدة الخواجة" التي تسير كثيراً من الناس وراءها.

أيها الأصدقاء الأعزاء والإخوة الكرام..

اعذروني إذا كنتُ لم أذكر أسماءكم، كلاً على حدة، فلقد كنتم جميعاً مثلاً للنبل الإنساني، والبحث الموضوعي، والدراسة الجادة، يلف ذلك كله العبقُّ من المحبة والأخوة والصدقة.

شكراً جزيلاً لكم، للإخوة المتحدثين في افتتاح الندوة وختامها، وللأخوة الباحثين، في جلسات الندوة، وإنني لأعتزُّ أيما اعتزاز بكم وبأحاديثكم ودراساتكم وشهادتكم، وقبل ذلك كله بصدقتكم التي هي التاج الذي ساقى أحمله حيثما حللت.

الشكر العميق لسائر الإخوة المشاركين في الندوة، بشهاداتهم، أو برسائلهم، أو ببحوثهم، من سورية ولبنان والأردن ومصر وتونس وقطر والسعودية وبريطانيا.

وأود أن أتوقف عند شكر وعرفان استثنائيين لرفيقة عمري "عفاف" التي لصبرها ومتابعتها أكبر الأثر في جهدي العلمي.

ولنبق جميعاً حصناً لثقافتنا وحضارتنا وتراثنا العريق الخالد.

صور من ندوة التكريم











نموذج شهادة التقدير التي منحتها وزارة الثقافة
للمشاركين في ندوة التكريم



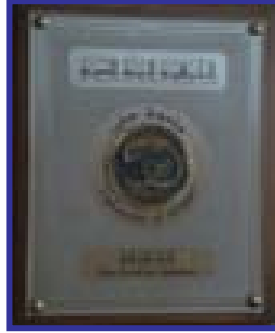
الدروع التقديرية التي قُدمت للمكرّم في الندوة



درع وزارة الثقافة



درع محافظة حلب



درع جامعة حلب

الفصل السادس:

رسائل مرسلّة إلى محمد قجّة

رسائل مرسلّة إلى محمّد قجّة

- رسالة من شيخ المؤرخين العرب في القرن العشرين
الدكتور نقولا زيادة
- رسالة من الشاعر الكبير أدونيس
- رسالة من الشاعر الكبير سليمان العيسى
- رسالة من الشاعر هنري زغيب
- رسالة من الأديبة سلمى الحفار الكزبري
- رسالة من الفنان العالمي فاتح المدرس
- رسالة من الباحث والمفكر الدكتور جابر عصفور
- رسالة من الباحث الدكتور قتيبة الشهابي
- رسالة من مدير معهد ثربانتس بدمشق لويس خابيير رويث
- رسالة من الأمين العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
الدكتور عبد العزيز التويجري

رسالة من شيخ المؤرخين العرب في القرن العشرين

الدكتور نقولا زيادة



أخي أبو الحسن

أنا أعرف أن قاعدة المنتدى تقتضي أن أقول أبا الحسن ، لكنك يا أخي لا تستحق إلا المكان العالي، بسبب نشاطك الكبير في سبيل جمعية العاديات، النشاط المرتبط بالجد والاخلاص. تحية لك على هذا في موعد تقترب منه السنة الجديدة (2005) من الإطباق علينا.

أرجو أن تجد في الكلمة المرفقة تحية تليق بالعاديات ، وأنا أعذك أن لا أخيب آمال من يمكن أن ينتظروا أن يقرأوني فيها. لكن أعطني بعض الوقت ، فقد تراكمت الأعمال علي . لأنني كما يقولون: "قدّ حشوة الكبة"، يعني قدّ الحمل..

تحيتي إلى أفراد البيت الخاص، والأصدقاء، وإلى كرام أعضاء الجمعية، وسوى ذلك ممن يسأل عني..

ودمت لأخيك

نقولا زيادة

من رسالة للدكتور نقولا زيادة:

"تحية إلى العاديات"

زرت حلب للمرة الأولى سنة 1925, وكانت محطة العودة التي بدأت في انطاكية, بعد أن كنت أنا ودرويش المقدادي, قد انتقلنا على الأقدام من صفد إلى شمال فلسطين إلى منطقة انطاكية.

تركت حلب وفي نفسي أثران بالنسبة إلى مدن أخرى عرفتها- القدس و بيروت ودمشق- الأول فرادتها في أسواقها المسقوفة، والثاني هذه الآثار الإسلامية الأنيقة.

لم أعد لزيارة حلب إلا سنة 1952، كنا أنا وثلاثة وثلاثون أميركيون في زيارة للجزيرة, وقد أعادت الزيارة لي الأثر نفسه.

وفي سنة 1953 دعاني الأديب الكبير سامي الكيالي -وكان مديراً للمكتبة الوطنية (البلدية)- لإلقاء محاضرة في قاعتها. وكانت المحاضرة حديثاً عن الحركة الوطنية في المغرب العربي, هذه الزيارة أتاحت لي التعرف إلى بعض أهل العلم في حلب، فها أنا أتقدم تدرجياً في التعرف على نواحي النشاط الحلبي.

كانت الجامعة الأمريكية في بيروت وكنت قد انضممت إلى قسم التاريخ في سنة 1949، وقد مَنَحَتْ بعضُ المدارس الثانوية في لبنان وسورية والأردن (وكانت قد أصبحت يومها المملكة الأردنية الهاشمية، وقد ضمت إليها الضفة الغربية) امتيازاً بأن يقبل طلابها المتفوقون في الجامعة بدون امتحان (ألغى هذا فيما بعد)، ولكن كان على المدرسة أن تُوفِّي شروطاً معينة علمية ومدرسين وجامعيين ومكتبة، وإذا كانت داخلية فيجب أن تخضع المؤسسة لتدقيق في برامجها ومعداتها. ومن ثم فإن الجامعة تندب كل سنة لجنة من اساتذتها في موضوعات متنوعة ومدير التسجيل فيها وأحد كبار موظفي قسم الإعاشة والعناية بالمتزل لزيارة هذه المدرسة ووضع تقرير عنها.

كانت تقوم في حلب كلية حلب (Aleppo college) وهي مؤسسة أميركية، وكانت هذه تخضع للزيارات نفسها والشروط ذاتها، وقع الاختيار عليّ في سنة من السنوات لأكون عضواً في اللجنة التي زارت الكلية، وهنا بدأت معرفتي تتجه نحو المؤسسات العلمية في المدينة، أذكر أنني دعيت سنة 1965 لأكون خطيب حفلة التخرج في معهد حلب.

وفي سنة 1975 وكانت حلب قد أصبح لها جامعتها بعد أن كانت فيها كلية الهندسة التابعة للجامعة السورية (في دمشق)،

وكان الذي وضع حجراً فوق الحجر لإتمام هذا العمل هو
الدكتور أحمد يوسف الحسن.

وقد كان قبل سنوات من تلامذة الكلية العربية في القدس
حيث كنت أنا أحد أساتذتها. دعاني لإلقاء محاضرة ويبدو أنها
كانت ناجحة، إذ أن الكلمات التي سمعتها والتي كتبت عنها
دلت على ذلك.

يبدو من هذا أن حلب كانت تقضمني لقمة لقمة، كما كنت
أنا أقضمها لقمة لقمة، أتعرف على المدينة تاريخاً وجغرافية
وأعرّف على نشاطها صفحة في التاريخ الحديث على الأقل.
وأهم من هذا أن أهل المعرفة فيها كانوا يحتضنوني.

في ثمانينات القرن العشرين المتأخرة أخذت زيارتي لحلب
تتكرر، ليس سنة بعد السنة ولكن مرات في السنة الواحدة،
وكان أن قدر لي في نهاية المطاف أن أقع أسير جمعية العاديات
برئاسة رئيسها الصياد الماهر الأستاذ محمد قجة. وأحسب أنني
أستطيع أن أدعي، وأفخر بذلك، بأنني قلما سلمت من شباك
محمد قجة لندوة أو مؤتمر أو خطاب.

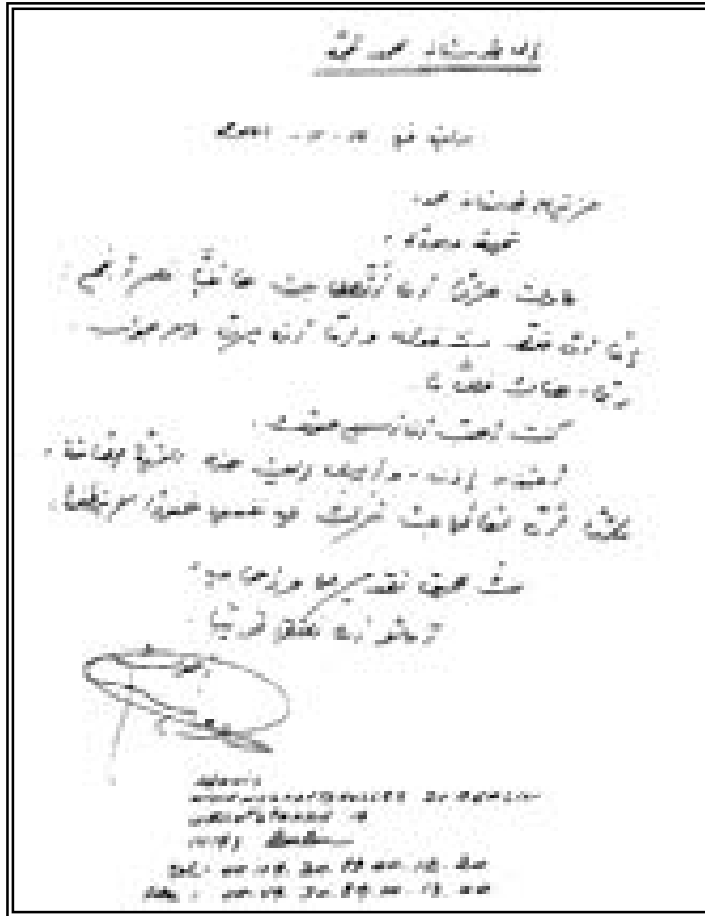
عرفت الكثير عن نشاطات الجمعية التي أنشئت سنة 1924
ولا تزال تسير بل تتقوى. ولا أريد أن أعد هنا نشاطات جمعية

العاديات , فهذا أمر لا تتسع له هذه الكلمة. ولكن هو نشاط مدهش في كميته وعمقه ودقته وسرعة تنفيذه. كنت دوماً أتمنى على الصديق الكريم محمد فجة وصحبه الكرام أن تتوج جمعية العاديات أعمالها العلمية الكثيرة الكبيرة بمجلة تحمل الاسم وكنت دوماً اسمع الوعد بأن المشروع على النار.

وأخيراً نضج المشروع وإذا بالبريد يحمل لي العدد الأول من مجلة العاديات، لست أستطيع أن أصف فرحي وسروري بذلك, ولكنني يمكن أن أقول أنه كان مثل فرح صبي صغير وسروره إذ حصل على لعبة كان يتمنى أن تصل يده. هذا الفرح يرافقه فعل ايمان بالجمعية، ورجاء من أهل العلم ممن يعرفون موضوعاتهم معرفة جيدة أن يدفعوا إلى المجلة بمقالات في مستواها - إلى الأمام جمعية العاديات.

25 كانون الأول 2004

رسالة من الشاعر الكبير أدونيس



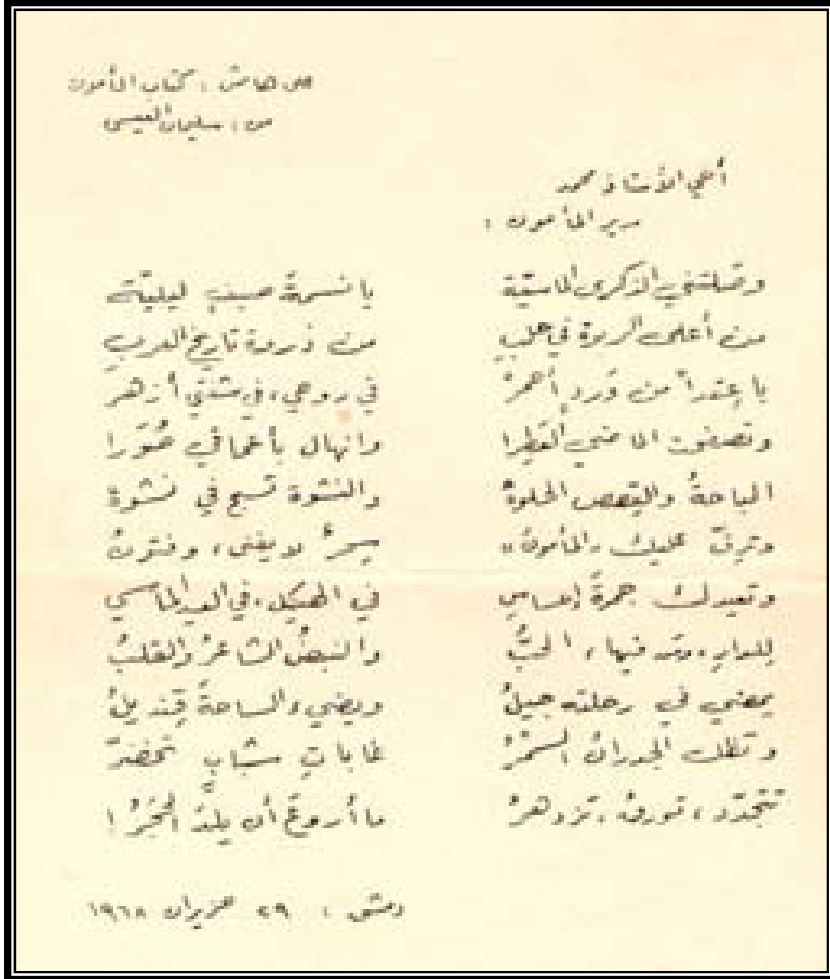
الرسالة التي أرسلها الشاعر بخط يده



رسالة من الشاعر الكبير

سليمان العيسى

في مناسبة الذكرى الماسية ثانوية المأمون



الرسالة التي أرسلها الشاعر بخط يده

رسالة من الشاعر هنري زغيب



الصدیق العزیز الأستاذ محمد قجة...

أیُّ شُكْرٍ یَتَّسَعُ، وما غَمَرْتَنَا به فی حلب، لا یضاهي سوى رحابة حَلَب؟
اطَّلَعْتُ على المستندات التي تفضَّلْتَ یاسدائي إياها.. قَرَأْتُ برنامج
جمعیتکم لعام 1991، وأكبرتُ أن تكونوا حققتم 52 محاضرة أسبوعية
(فی سلسلة محاضرات الأربعاء) و15 ندوة، وأربع أمسيات تكريمیة،
ومهرجاناً فی یوبیل الجمعة الماسي، إلى 18 زيارة فی حلب، و18 زيارة
فی القطر، ومشاريع سبع رحلات خارج القطر، ونشاط اجتماعي وفني
حافل. وهذا يدل على أن رئاستکم الجمعة (بمؤزرة رفاقکم فی مجلس
الإدارة) خصبة ومفيدة.

كما اطَّلعت على كُتیب "ثلاث أرباع القرن" من عمر جمعیتکم، فأكبرت
الهيكلية المتينة المدروسة بإحكام.

وقرأتُ دراستك المهمة جداً "الطريق إلى بيت المتنبي فی حلب" وسوف
أكتب عنها (بعدها استأذنتك بذلك) فی إحدى مقالاتي الأسبوعي فی
"النهار" وسأرسل لك طبعاً نسخة عنها.

واستمتعتُ كثيراً بدراستك القيمة "حلب في عيون الشعراء" (في الكتاب المزدوج 8 و 9 من "عاديات حلب"), وأكبرتُ فيك هذا التنقيب الرائع الذي يعكس حبك الرائع لمدينتك الخالدة.

فشكراً يا صديقي على الغذاء الفكري الذي مددتني به. وشكراً على الغذاء الجسدي الذي تفضلت, خلال سهرتين ممتعتين مفيدتين, فكرمت به الوفد اللبناني الممتن لك جداً, وشكراً على الوقت الذي صرفه معنا العزيز حسن في جولة القلعة والأسواق, وإننا ننتظر وصوله إلى بيروت كي نهنئ به كما يليق به وبأبيه النبيل. ولا أزال أنتظر دراستك عن الصالونات النسائية الأدبية, كما وعدتني. أرجو أن يكون مؤتمرك في جامعة حلب تكلل بالنجاح, وأنتظر صدوره في كتاب.

وشكراً مراراً وتكراراً فقد كانت زيارتنا لحلب العزيزة, مشمرة ومفيدة وممتعة معاً, بفضل أريحيتك واهتمامك, وإنني على استعداد لتلبية أي ما تحتاجه مني لجمعيتكم الزاهرة, أمسية شعرية أو مشاركة في ندوة, فأرجو ألا تتأخر عن طلب أي ما تحتاجه مني, أو أي ما تحتاجه من بيروت.



رسالة من الأديبة سلمى الحفار الكزبري

إلى الأعرء الأستاذ محمد قجّة والسيدة حرمة والعزير حسن نجلهما
المحترمين ..

تحيات طيبة مصحوبة بالتعبير عن سعادي بالتعرف إليكم واكتساب
مودتكم ، وعن شكري العميق على ضيافتكم لنا الكريمة إبان وجودنا
بكنفكم في حلب الشهباء، بصحبة صديقنا وعالمنا الجليل الدكتور نقولا
زيادة .

كانت أوقاتاً ممتعة للغاية لعدة أسباب:

أولها: التعرف إلى نشاطات جمعية العاديات الموقرة التي تتولى أنت، يا
سيدي، الأستاذ محمد، رئاسة مجلس إدارتها.

والثاني: مشاركتنا بحضور افتتاح الندوة الفكرية عن حقبة مضيئة من
تاريخ حلب أيام الأمير سيف الدولة الحمداني في جامعة حلب.

والثالث: صحبة السيدة الراقية حرمكم مديرة روضة "المنارة"، وصحبة الدكتور حسن نجلكم الذي تفضلتم بدعوته لنا في جولة على مدينة حلب الأثرية، وكم كان سرورنا كبيراً باكتشاف مواهبه المتعددة، ثقافة وذوقاً رفيعاً، ودعوته لزيارتنا في لبنان هذه السنة.

إننا نتطلع بشوق لزيارتكما أنت والسيدة عفاف في بيروت، وأرجو الله أن يوفقكم بأعمالكم في كل مجالات التوجيه والتعليم والتثقيف لخدمة وطننا الغالي والأجيال الصاعدة.

إليكم أبعث بكتابي الأخير " لظفي الحفار: مذكراته وحياته وعصره " هدية وعدتكم بإرسالها، منتهزة فرصة قدوم الصديقة السيدة نسيم الخطيب رئيسة جمعية التراث إلى حلب.

ولكم مني كل الإعجاب ، وأسمى مشاعر الود والتقدير.

بيروت 5 كانون الأول 2000



رسالة من الفنان العالمي فاتح المدرس



البطاقة التي أرسلها الفنان بخط يده

نص رسالة الفنان فاتح المدرس

أخي الأستاذ محمد قجّة مدير ثانوية المأمون بحلب المحترم
تحية طيبة:

شكراً على كتابكم الذي وصلني عن طريق السفارة بباريس، بصدد
إصدار كتاب عن الخريجين لهذه المدرسة التي أرسلت إلى العالم شباباً
عجيب الطوية والخلق، تمرسوا بالرياضة الذهنية والرياضة الجسدية فكان
العالم والفنان والرياضي والقائد..
والعجيب في أمر هذه المدرسة الثانوية أنها كانت تخرج رجالاً لأن زمرة
من الأساتذة لزمرة من الزمن كانوا من الرجال المدهشين حقاً.

إننا انتهينا نهايات تشبه الخرافات، لأدري ما السبب على حقيقته،
لكنني أوّمن أن "ماء حلب" بمقدوره خلق العباقرة والجانين في آن
واحد!!

لعلك تضحك! لا يهم، فالحقيقة تجعلنا تبتسم مرغمين، وإنني لم أدهش
عندما قررتم أنتم وزملائكم الأساتذة المعاصرين في إبراز كتاب محيّر
كهذا، فأنا أعرف أكثر المتخرجين وأعرف أكثر الأساتذة.

أرجو أن تنشروا قصتي (عود النعنع) الموجودة في (12 قصة من حلب)، هذه القصة التي نشرت في كثير من الأقطار وترجمت حتى الآن إلى 9 لغات أوروبية وشرقية.

أنا أكتب عندما لا يتسنى لي الرسم، فأكرر رجائي بنشر هذه القصة، وقد نشرت قصصاً منذ عام 1954-1961.

كما أنني أقيم الآن معرضاً في باريس قد انتهى منذ أيام وحقق نجاحاً، لعل السبب هو توفى الحركة الفنية في باريس هذه الأعوام !!

كما يسرني أن تنشؤوا رابطة للخريجين لهذه الثانوية التي يقل مثلها في العالم، لقد كانت منبراً للحرية والعنف والسلام المبدع في آن واحد.

ودمت لصديقكم فاتح المدرس
باريس 15-3-1968

رسالة من الباحث والمفكر



الدكتور جابر عصفور

الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر

السيد الأستاذ/ محمد قجّة

تحية الاحترام،

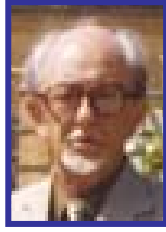
تلقيت بالتقدير رسالتكم الرقيقة، التي أعادت لنا ذكرى لقاءاتنا الطيبة معكم، والأخوة الأصدقاء في سوريا. والحق أنني لن أنسى الوقت الجميل الذي قضيته معكم، ولا المعلومات الكثيرة التي أفدتها من خبراتكم الهائلة بالآثار (العاديات) وأضف إلى ذلك كله جولتنا حول منزل المتنبّي.

وثق يا صديقي العزيز أن ذكرياتي عن حلب الشهباء أصبحت مرتبطة بمعرفتك القيمة بها. ولذلك اسمح لي أن أشكرك على دفء مشاعركم، وطيب وفادتكم، راجياً لكم التوفيق الدائم، وآمل أن نلتقي في المناسبات ثقافية عربية أخرى.

ومع طيب تمنياتي لشخصكم الكريم، لكم تحياتي

القاهرة 1999/9/5

رسالة من الباحث الدكتور قتيبة الشهابي



المقامة القجوية الشهابية

حدثنا قتيبة بن شهاب قال:

في طهران كانت صدفة اللقاء، اثنان جمعت بينهما عراقية الانتماء،
وتقارب الأفكار والآراء، وتوحد المشاعر والأهواء، وتلاحم الإحساس
بالإخاء..

في طهران كان محمد رمز الإباء، حياً بتواضع العلماء، بعيداً عن
الخيلاء، عظيماً يفوق العظماء، كالبدر يزهو نوره على الجوزاء، ضياؤه
ينير كل ضياء، ولطفه يمور في البيداء، وصحته خير دواء لكل داء..

وكان معنا ثالث وقاك الله من الكبرياء، ومن "جنون العظمة" إن شئت
أن تقول أو شاء، همّه أن "يقارع ويشاكس"، ويتحدى ويعاكس،
وأحياناً يناكس، وأخرى "يرافس ويناخس"..

لكنني ورغم احترامي لغزارة علمه، ورجاحة عقله وفهمه، عانيت منه
ما عانيت، سماحه الله فقد آلمني كثيراً وما شكوت ولا بكيت، ولكن
جاءني قول أحدهم: "إن البغاث بأرضنا يستنسر"..

خلاصة القول أننا تمنعنا معاً بكل دققة، وهذه الحقيقة، لا لبس فيها ولا غبار، وليس عندي "فقوس ولا خيار"، غير أن ما يحزّ في نفسي كوني لم ألقك منذ سالف العصور، وقديم الأيام والدهور، وقبل آلاف السنين "الضوئية"، لكونك من أرقى البرية، وأخير ما عرفت من البشرية، وإن شئت فرقتك ألدّ لي من رقّة "المامونية والمهلبية" ..

لن أطيل الحديث، ولن أسهب في "اللعي" والتحديث ، فأنا أخشى عليك من الملل والضجر، ولأنني لست من "العجر"، أشعر بأن وقتك ثمين، وحكمك على الأشياء رزين، لذلك أقول: "يا مُعين" ..

سأتوقف عن الكلام، مباحاً كان أم "حرام"، حفاظاً على أعصابك من التلف، خصوصاً بعد أن تناولنا معاً كثيراً من "العلف" متمثلاً في "شوربة الشعير"، وماء الشعير" و"خبز الشعير" ..

ولأننا لسنا من اللثام، ستبقى صداقتنا دائمة الوئام، بعيدة عن الإعتام والإظلام، مشرقة على الدوام ..

حفظك الله بكل خير

رسالة من مدير معهد ثربانتس بدمشق



الأستاذ لويس خابيير رويث

صديقي العزيز.. الأستاذ محمد قجّة

ترأست معهد ثربانتس في دمشق لمدة خمس سنوات، حالفني الحظ، خلال هذه المدة، فتعرفت وعملت مع عدد من المفكرين السوريين وغير السوريين، ونفذنا معاً مئات النشاطات الثقافية التي حسّنت ولاشك العلاقات والمعرفة المتبادلة بين بلداننا. وكثيراً ما كانت حصيلة عملنا رائعة جداً، لأن الحماس والجدية تحكما بأعمالنا.

والآن عليّ أن أعلمكم بخبر جديد، أنه منذ أيام قليلة عُيّنْتُ مديراً للثقافة في معهد ثربانتس في مدريد، والمسؤولية الجديدة تجبرني على مغادرة البلد سريعاً، وهذا ما يمنعني من أن أودع شخصياً جميع أصدقائي، ويجبرني على القيام بذلك عبر رسالة أبعث بها في أوج العطلة الصيفية، وبالتالي فإنني أفترض أن كثيرين منكم سيعلمون بذهابي بعد بداية الفصل الجديد.

عليّ أن أشكر تعاونكم، وأثن أحاديثكم وتحليلكم المشترك للواقع الثقافي السوري والإسباني، ووضع الخطط والمشاريع الثقافية المشتركة.

وأشكر خصوصاً الاستعداد الكريم واللطيف الذي لمستته بتبادل الأفكار، مما سمح لي بالتعرف على سورية بشكل أعمق واكتشاف المستوى الثقافي الرفيع الموجود فيها، أثناء التطبيق والعمل.

المسألة أنه من الصعب جداً علي وعلى أسرتي أن نغادر سورية بهذه الطريقة السريعة ودون أن نملك الوقت لوداعكم، لأن سورية أصبحت جزءاً مهماً من كياننا، وبلداً مهماً لنا.

لويس خابيير رويث
مدير معهد ثريانتس بدمشق

رسالة من الأمين العام للمنظمة الإسلامية



للتربية والعلوم والثقافة الدكتور عبد العزيز التويجري

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

Organisation Islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture
OIEC/OIC

الأمين العام

United Educational, Scientific and Cultural Organization
UESCO

Director General

الرقم - مدع ١٥ - 2040

الرياضي : 23 جوان 2020
12 جوان 2020

**معاداة الأبح الإسلامية ضد
الأمين العام للاحتفال حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
2020
حلب - الجمهورية العربية السورية**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فيستحي أن نشكركم وفق الشكر على كرم الضيافة وحسن الاستقبال والتجميل الضيفات، أثناء الزيارة التي قامت بها إلى مدينة حلب، بمناسبة إقامة الملتقى الرسمي العلمي للاحتفال بحلب عاصمة الثقافة الإسلامية، منذ أيام الفطور، ما نكرمكم به مشكورين، من اهتمام كبير، وما نعربم عنه من عواطف أحرى القربى لكم خلال هذه الزيارة.

داعياً لكم بالتوفيق ودرام النجاح، ومشيداً بضرورة حارساء جهودكم الشخصية المتميزة التي رسنتموها، والتي ياشكروها في أمان وبالقادر، من أجل تطبيق الأهداف المرجوة من الاحتفال بحلب عاصمة للثقافة الإسلامية، سائلاً الله تعالى أن يدرم هذا الإبداع بصدابكم ومحامدكم جهودكم مع زملائكم، ليلقى حبيبتكم الشهاد على درام عاصمة للثقافة والفكر والآداب والفن، وسيداً لأمن الحضارة والإبداع والبناء.

ويعتبرنا معاداة الأبح الأمين العام بقبول فائق التقدير وبالبح الاحترام.

الأمين العام

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

عبد العزيز

تم اصدار هذا البيان على يد الأمين العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في 23 جوان 2020. © 2020 - O.I.E.C. / O.I.C. / U.E.S.C.O.
العنوان : 15، شارع 23 جوان 2020، الرياض - هاتف : +966 11 544 5445
البريد الإلكتروني : oieco@oieco.org.sa / oieco@oic.org / oieco@uesco.org

الفصل السابع

وثائق من حياة محمد قجّة

وثائق من حياة محمد قجّة

- نص مقابلة مع الأستاذ محمد قجّة
- صور من مراحل حياة محمد قجّة
- بعض شهادات مشاركاته في مؤتمرات علمية
- بعض الدروع التقديرية التي حصل عليها
- أغلفة الكتب التي ألفها وشارك في تأليفها
- السيرة الذاتية لمحمد قجّة

مقابلة مع الأستاذ محمد قجة

أجراها الأستاذ محمد السلوم بتكليف من البروفسور سليم الحسني

في 2008/10/15

سؤال: بعيداً عن المعاني المعجمية ما الذي يعنيه التراث لـ محمد قجة؟

جواب: التراث كلمة أكبر بكثير مما يتصور الناس، بعضهم يربطها بالأحجار وبالعمارة، وبعضهم يربطها بالكتب المخطوطة، هو المجموع المتوارث - طبعاً لغوياً من ورث الإرث أو التراث أو الميراث - مجموع ما وصل إلينا من خبرات وحضارات قديمة تأخذ شكلها لدى أمة من الأمم ولكنها لا تنفصل عن الأمم الأخرى، بهذا المقياس يمثل التراث العربي في إطار الحضارة الإسلامية تراث البشرية كلها، واقترحت منظمة اليونسكو تسهيلاً للدراسة تقسيم الكلمة إلى محورين تراث مادي أي تراث الحجر والعمارة وتراث غير مادي الذي هو التراث الفكري الشامل، الذي يدخل فيه طراز الحياة الاجتماعية بما فيها من أفراح وأحزان وتقاليد وسلوك يتعلق بالمطاعم والمدافن وكل هذه الأمور ويتعلق بالصناعات التقليدية والأهازيج والأغاني والأمثال والنكات المتداولة هذا كله نسميه التراث.

والخطأ الذي يمكن أن نقع فيه - وهو خطأ مزدوج - هو أن بعض الناس يقولون لا حادثة إلا بأن نخرج من هذا التراث والخطأ الآخر الذي يقول نحن لسنا بحاجة إلى حادثة بل سنعيش في هذا التراث. والحقيقة أن التراث جزء من عملية كبيرة جداً تدرس الماضي ومن خلاله تدرس الحاضر لتستشرف آفاق المستقبل.

سؤال: في بداية ما يسمى بعصر النهضة ظهر عندنا تياران الأول سلفي - إن صح التعبير - والثاني حدائي والصراع لا يزال مستمراً بين التيارين، وأنت كتبت في جريدة الجماهير الحلبية عدة مقالات عن الحداثة والتراث فكيف ولّفت بين التيارين؟

جواب: هي ليست عملية توليف، فأنا أعتبر أن الأمر سلسلة حضارية لا يمكن قطعها.

مقاطعة: أي أنك لا ترى صداماً بين الطرفين؟

جواب: إطلاقاً، وحتى الأوروبيون الذين دخلوا في عصر الحداثة وعصر ما يسمى بعد الحداثة وكلاهما سقط من مسيرة التاريخ؛ لم يلغوا تراثهم على الإطلاق، بل هم على العكس يتمسكون به كعمارة وكتب وشخصيات، ويقدمونه تقديساً كبيراً ويهجمون على تراثنا ليحتفظوا به، ملايين المخطوطات العربية محفوظة هناك، الآثار المأخوذة من المتاحف ومن مناطق التنقيبات الأثرية.

نحن بحاجة بعد الحرب العالمية الثانية فهنا الحداثة فهما خاطئاً وبدأ
اللهات وراء ترجمات سرعان ما أصبحت بلا قيمة مثل: الوجودية
والعدمية وفيما بعد التركيبية والتفكيكية ومثل هذه المصطلحات التي لا
تمت إلى طريقة تفكيرنا بصللة، كان وراء ذلك أسباب، فبعض الناس
يسعون إلى الشهرة وبعض الناس يسعون إلى الانبهار بالغرب ولا تزال
هذه الفكرة موجودة.

نحن لسنا ضد الحداثة إطلاقاً، بالعكس فنحن نرى أنه يجب أن نوظف
هذه الحداثة لتطوير حاضرنا وللاحتفاظ بتراثنا، ومن هذا التطوير أنك
تستطيع الآن إدخال عشرات الآلاف من المخطوطات إلى جهاز صغير
مثل هذا الجهاز - يشير إلى جهاز الكمبيوتر -، هل يمكن أن نفهم
التراث برفض هذه التقنية الحديثة؟ سيصبح هذا نوعاً من الجهل
الفاضح.

والتراث أيضاً بحاجة إلى دراسات تحليلية، وأنا اتفق هنا مع كثير من
الباحثين في مؤسسة العلوم والتكنولوجيا وفي معهد التراث العلمي
العربي في جامعة حلب - وأنا أعمل مع الفريقين - أننا يجب أن نركز
على التراث العلمي الذي كان له تأثير مباشر في حياة الناس اليومية،
لأن التراث الديني والأدبي أشبع دراسة، فلدينا عدد هائل من التفاسير
وكتب الحديث وكتب الفقه ومن دواوين الشعر المشروحة ولكن لدينا
قلة قليلة من الشروح حول كتب علمية سواء العلوم البحتة أو العلوم

التطبيقية التي ساهم بها المسلمون مساهمة كبيرة. وهذه الكتب تلقي ضوءاً على دورنا الحضاري وتلغي مقولة استشراقية خبيثة قال بها كثير من المستشرقين وبخاصة "ماسينيون"، بأن العرب أمة نظرية، أمة صوتية ليس لها دور في المجال العلمي، ونحن نستطيع أن نكذب هذا الزعم من خلال ما لدينا من تراث في الفلك والطب والهندسة والزراعة وكثير منه ما يزال موجوداً في قنوات الري والجسور والأنفاق وأساليب الزراعة والطب المعتمد على العلم، فالطب العربي أساساً هو الذي طوّر الأعشاب وبلغ آخر تطوير له في كتابات ابن البيطار، هذا علم حقيقي وليس قائماً على غيبات وعلى أفكار لا صلة لها بالواقع. فأنا أريد من التراث أن نركّز على هذا الجانب إلى جانب محافظتنا على الروح الشعبية الموجودة في تراثنا من حيث الأغاني وما يسمّى بالفلكلور والعادات والتقاليد.

والدليل على قيمة هذا التراث أننا الآن في كثير من البلدان العربية نستمع إلى بعض الأغاني التي تعود نصوصها إلى 300 سنة أو 400 سنة أو 1000 سنة، ومن عصر بلاط سيف الدولة، ودليل بقائها أنها قادرة على مخاطبة النفس البشرية والعقل البشري حتى الآن وآلاف سواها سقطت لأنها لا تملك هذه القدرة على دخول النفس البشرية، ومن هنا يصبح التراث شخصية الأمة. ويأتي الخطر الكبير الذي علينا أن نجاهه الآن، ما يسمى بالعولمة، ولا يهمنّا الجانب الاقتصادي أو العسكري، الآن يهمنّا الجانب الثقافي لأن العوالمه حينما تلغي لغة

لحساب لغة أخرى يُلغَى مع هذه اللغة كل ما يتصل بها من أساليب تفكير وأمثال ومدونات شعبية وموسيقى وتذوَب الأمة بأكملها وحصل هذا، فمنذ اكتشاف أمريكا حتى الآن آلاف اللغات أصبحت في طيِّ النسيان ولم تعد موجودة وهناك من يخطط ويبرهن أن اللغة العربية أواخر القرن الواحد والعشرين ستكون من اللغات المنسية.

سؤال: تحدّثت الآن عن التراث من الجانب الروحي والتراث من الجانب العلمي ألا توافقي بأنه ما عاد كافياً أن يُقال عن باحث ما إنه متخصص في التراث، أي أنه لا بدّ من التخصص في معالجة التراث؟

جواب: بلا شك، بلا شك، فالباحث في التراث المعماري ليس له علاقة إطلاقاً بتراث القدود الحلبية مثلاً أو بتراث الأزياء التقليدية، لذلك فإن التقسيم أساساً إلى فرعين: مادي وغير مادي، تنطوي تحته أيضاً فروع كثيرة، فأنت حين تدرس مثلاً تطوّر الخط العربي من مرحلة الكوفي غير المنقوطة إلى بقية الخطوط فهذا شكل من أشكال دراسة التراث قد يختلف قليلاً عن العمارة وما نسميه الآن هندسة الديكور أو الهندسة التزيينية، ف"باحث في التراث" لا تكفي إذ لا بد من التخصص أيضاً، حينما نقول تراث العمارة يفتح أمامنا أفق كبير أيضاً فيه تخصصات فنحن بلاد عمرها 10.000 سنة.

سؤال: يرى بعضهم أنك مهتمّ بالتراث الإسلامي فقط، لكن لديك كتابات في التراث الإنساني بشكل عام كالكتابة عن أوغاريت ودورها في إغناء التراث الإنساني، فما رأيك؟

جواب: القضية لا تنفصل، فنحن نوقن جازمين بأن روعة الحضارة الإسلامية هي في أنها لم ترفض الآخر استوعبت الآخر بينما لدينا حضارات أخرى ولا داعي الآن لضرب أمثلة، كانت تأتي ومعها المقصلة إما أنا أو الموت، وهذه أمثلتها كثيرة في التاريخ. المسلمون دخلوا بلاد الشام والعراق وبلاد العجم "ما يسمى الآن إيران" ودخلوا شمال أفريقيا بأكمله ودخلوا الأندلس ووصلوا إلى الصين والهند لم يجبروا أحداً على أن يغير دينه أو أن يغير لغته أو أن يغير عاداته، كان هناك أساس تم احترامه "لا إكراه في الدين"، "أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".

ومن هنا نشأ هذا التمازج الحضاري الذي عجزت عنه حضارات سابقة، كالبيزنطية والرومانية والإغريقية والإمينية وغيرها، لأن تلك الحضارات كانت تأتي بعقلية "السيف القاطع" إما أن تؤمن بي إيماناً مطلقاً أو أن تزول من الوجود ومحاكم التفتيش تكفي مثلاً، حتى الإسكندر المقدوني الذي يضرب به المثل حاصر مدينة صور وأباد السكان بأكملهم وحاصر مدينة تحت جمشيد عاصمة الفرس الإهميين

التي تسمى بالمراجع الغربية بيرس بوليس أحرقها بمن فيها، ولم يقيم المسلمون بأي عملية من هذا النوع إطلاقاً.

سؤال: ولكن هناك من يسلب الحضارة الإسلامية هذا الفضل ويرى أنها كانت مجرد إطار ضم باقي الحضارات أي أنها لم تضيف شيئاً للحضارة البشرية؟

جواب: هذا خطأ كبير جداً، فالقدرة على الاستيعاب معناها توفر مناخ وقرار سياسي عال جداً، أولاً يقبل بهذا الآخر الوارد الذي هو الحضارات، ثانياً: يوفّر الجو الذي يطور، فالذي يدّعي أن العرب مجرد نقلة هذا رجل مزور ومزيف للتاريخ حتى المستشرقون الموضوعيون والمنصفون لا يقولون ذلك، هل نستطيع أن نعتبر ابن سينا مجرد صورة مشوهة لأبقراط مثلاً، ابن سينا أعظم من أبقراط بـ 100 مرة على الأقل، جاء بعده بـ 1000 سنة وبالتالي استفاد من كل هذه التجارب.

هل نعتبر أن ابن رشد صورة مشوهة من أرسطو، هذا كلام فارغ أساس هذا الكلام هو الأكذوبة الأوروبية الكبرى التي تزعم أن كل الحضارات البشرية جذورها إغريقية وفروعها أوروبية في عصر النهضة، يلغون المسلمين والصين وغير ذلك من الحضارات الأخرى. طبعاً هذا الزعم الأوروبي كان له سبب سياسي، ففيما يسمى عصر النهضة أرادوا

تبرير الحركة الاستعمارية بمعنى أن الأوروبيين هم أعلى من بقية الشعوب وبالتالي يحق لهم أن يحكموا هذه الشعوب، وهذا التبرير استند إلى أن أصل الحضارة إغريقية، الآن علم الآثار نسف هذا الكلام فهل حضارة وادي الفرات أقدم أم حضارة الإغريق... الفارق آلاف السنين. وكذلك وادي النيل، الهند، الصين، الآن نحن نعرف أن الإغريق هم أحفاد صغار لهذه الحضارات العظيمة.

الشيء الآخر الذي ألهاه الفكر الأوروبي هو 1000 سنة يسميها عصر الظلام، عصر الظلام عندهم ولكن عندنا كان عصر النور الباهر هذه الألف سنة يدخل فيها مئات الآلاف من الأسماء في كل نواحي العلوم وهي نواح إبداعية، دائماً أطرح سؤالاً: هناك مثلاً من يقول لولا وجود الترجمة السريانية لما كان بيت الحكمة، أنا أسأل أسئلة وسألتها في مؤتمرات عالمية عن السريان: قبل أن يأتي السريان إلى بيت الحكمة عند المأمون، لماذا لم يكن لهم نتاج علمي؟ كانوا في نصيبين والرها وغيرها من المدن. لقد توفر لهم المناخ الذي استفاد من خبرتهم ولم يكونوا وحدهم في بيت الحكمة كان الفرس والسريان والعرب والهنود والآشوريون كل هؤلاء كانوا موجودين ليس باعتبارهم الطائفية أو الدينية بل باعتبار مقدرتهم على إغناء هذا العلم.

مقاطعة: يعني الأمر كما يحدث الآن مع هجرة العقول العلمية العربية إلى الغرب؟

جواب: بالضبط، أيضاً مثال آخر: لو بقي أحمد زويل موجوداً في إحدى الجامعات المصرية براتب 300 جنيه في الشهر هل كان سيستطيع أن يطور هذا التطوير في نظرية آينشتين ويأخذ جائزة نوبل؟ هناك توفر له المناخ العلمي، لذلك انتهت الآن هذه الأكذوبة الغربية والحضارة الغربية تنفتت بشهادة أبنائها؛ شبنغلر، كولن ولسون، بول كندي، تونجي وغيرهم، لأن عناصر الحضارة تحللت والأحداث أماننا خير مصداق على ذلك.

سؤال: ما تقوم به الجمعيات والمؤسسات والجهات المهمة بالتراث هل هو مجرد بحث في تراث الأجداد بقصد صيانتته والوفاء له أم أن هذا التراث يمكن أن يلعب دوراً في عالم اليوم؟

جواب: لا طبعاً توظيف، نحن حينما نريد أن نحافظ على شخصيتنا من أن تذوب يجب أن يكون لدينا مقومات لا يكفي أن نقف الوقفة العنصرية ونقول: نحن أمة عظيمة ونحن ونحن وبأقي مصفقون أغبياء لا يفهمون شيئاً. نحن عندما ندعي شيئاً يجب أن يكون عليه إثبات، طريقة عملنا في جمعية العاديات هي طريقة البحث العلمي الموثق المستند إلى علم الآثار وإلى التحقيق الموثق بالمخطوطات وغيرها.

وبالتالي فحينما يكون لدينا هذا الإرث العظيم من العمارة ومن الكتب ومن المخترعات نستطيع أن نقول: إننا أمة عصية على الفناء لا يمكن

للفتها أن تموت ولا يمكن لهذه الأمة أن تخرج من التاريخ كما يراد لها كما خرجت شعوب كثيرة من التاريخ وانقرضت. هذا لا يرتبط فقط بعوامل فخر وعوامل نشوة، يرتبط بعوامل اقتصادية، فأنت حينما تعرف بأنك من أمة ذات قوة تستطيع أن تربط بين الثقافة والاقتصاد والسياسة والتوجهات الإستراتيجية المستقبلية، فهي كلها دورة متكاملة أما الشعور بالعجز والنقص والدونية والانبهار بالآخر وعقدة الخوارجة فستؤدي إلى الذوبان شيئاً فشيئاً ويزدوب الناس ويمضون.

مقاطعة: أي من الممكن أن يلعب التراث العربي أو التراث الإسلامي، بالمناسبة أي التسميتين تفضل؟
جواب: التراث بشكل خاص، طبعاً التراث الإسلامي أعمّ.

سؤال: إذا ترى أن التراث الإسلامي قادر على أن يلعب دوراً فاعلاً في عالم اليوم؟

جواب: طبعاً.

سؤال: علمي أم فكري؟

جواب: دور علمي وفكري ودور يمكن أن تسميه الوطني أو القومي بالمحافظة على شخصية الأمة، الدور الفكري من حيث الاستثناس بآراء

تثبتت مواقفنا، فنحن حين نُتهم بأننا أمة تردّد الغيبات نقول: دونكم فكر ابن رشد الذي كان وراء النهضة الأوروبية، ابن رشد كان مذهبه شديد البساطة: العقل البشري هو الأساس وحينما تأتينا نصوص لا يستطيع العقل البشري استيعابها يجب أن نعاود قراءتها بطريقة أخرى مهما كانت هذه النصوص، هذه هي العقلانية.

ورغم بساطة هذا الموضوع فقد انبثق عنه فيما بعد التعددية الفكرية، فما دمت تفسّر النص بشكل وأنا أفسره بشكل ونحترم التفسيرين ستنشأ التعددية والتعددية أدت إلى ما يسمى الآن الديمقراطية وقبل ذلك كان رفض الآخر، رفض يتأتى عليه قمع الآخر وإلغاؤه من الوجود.

أيضاً حينما يتهم الآن الإسلام بأنه دين السيف ودين القتل ودين اضطهاد المرأة، فإن التاريخ يقول غير ذلك تماماً، ولدينا الأمثلة الكافية لذلك حينما تحافظ الأمة على ذاتها وتكون أمة قوية يكون لها دور في القرار السياسي العالمي وفي القرار الاقتصادي العالمي ولدينا خير أمثلة في شعوب الشرق الأقصى، الآن الصين والهند أمم محافظة على تراثها، حتى اللغة المكتوبة بآلاف الأحرف هم محافظون عليها، وفي الوقت نفسه دخلوا في ميدان العصر دخولاً كبيراً جداً في الصناعة والتقنية وغزو الفضاء من غير أن ينسلخوا عن جلودهم.

المشكلة أن هناك فئات كنا مبهورين بها ونريد تقليدها وهي الآن تنسلخ عن جلودها وتنسأه، ما يسمى بالحلم الأمريكي الآن تبخر وانتهى وأمريكا في طريقها إلى الانهيار.

سؤال: كررت أكثر من مرة أن التراث يمكن أن يلعب دوراً محورياً في قضية المحافظة على شخصية الأمة ولكن هذا الدور هو دور "رد فعل" أي كأن هناك من يريد أن يسلب الأمة شخصيتها فيأتي التراث للمحافظة عليها، ولكن أي دور إيجابي يمكن أن يلعبه التراث دور فاعل وليس منفعلاً أي أن يقوم هو بالمبادرة؟

جواب: حتى بدون أن يكون هناك مهاجم يجب أن تحافظ الأمة على شخصيتها، الآن بريطانيا لماذا تفتخر بشكسبير وتبني له المتاحف؟ هل لأنها تهاجم؟ إنه نوع من اعتبار الذات والقول إننا أمة أنجبت أمثال هؤلاء العظماء أو بنت هذه الأبنية العملاقة مثل أهرامات مصر أو أهرامات البيرو أو غيرها من العمائر العظيمة جداً أو الأبنية الخشبية في الصين، فالأمم تفتخر بهذه الأمور ويزداد تمسكها بها إذا هوجمت لأنها تريد أن تقول: نحن متميزون لا يمكن أن ندوب في الآخر لذلك أنا أركز على نقطة هامة هي أن عملية التمسك بالتراث هي جزء من دائرة فكرية وعلمية وإستراتيجية واقتصادية وسياسية وعسكرية وكلها تدور في هذا النطاق.

سؤال: في تسعينيات القرن الماضي قمت بإعداد جزء من سلسلتي "أعلام خالدون" و"المكتبة التاريخية" وطُبع على الغلاف الخلفي لـ"أعلام خالدون" عبارة: "مجموعة من الكتب تتحدث عن أبطال الأمة العربية وتبهر الطريق أمام الجيل العربي الصاعد"، برأيك في هذا الوقت ومع هذا الجيل العربي الصاعد الذي تشكل القدوة لديه نماذج غربية أو فنان أو فنانة هل تستطيع هذه الكتابات أن تؤثر فيه أو أن تعني له شيئاً؟

جواب: لا بد أن نحاول، طبعاً الموضوع أقل من السابق لكن هذا دورنا نحن.

مقاطعة: ما هو الأقل من السابق؟

جواب: من حيث الاهتمام بهذه الشخصيات، فالآن الاهتمام بما ذكرته أنت من الفنانين والرياضة أكبر طبعاً من الاهتمام بالتاريخ، لكن الأجيال مثل المادة الخام كالعجين يمكن أن تؤثر فيها بتأثيرات مختلفة أهمها التعليم في المراحل الأولى، فالتعليم في المراحل الأولى يعلم التمسك بشخصية الأمة من خلال أبطال مثل خالد بن الوليد، مثل رجال السيرة النبوية، مثل صلاح الدين الأيوبي، مثل هارون الرشيد، مثل الوليد بن عبد الملك، في مرحلة ثانية أنا أؤكد دائماً على ضرورة تدريس تاريخ العلوم في المرحلة الثانوية، لأنها مرحلة حاسمة فحينما تدرس الفيزياء

أدرس معها الحسن بن المهيشم، وحينما تدرس التشريح أدرس معه ابن سينا، بحيث تعلم أن هذه العلوم لم تأتتا من الغرب، نحن كل شي نربطه بالغرب.

حتى نحن في الجمعية حينما نتحدث عن تاريخها يظن الناس أن كلمة جمعية أهلية أو مجتمع أهلي أو مجتمع مدني، اجترار غربي، حسناً نظام الأوقاف ما هو؟ نظام شيخ الكار ما هو؟ هذا مجتمع أهلي. ما هو المجتمع الأهلي؟ أن يجتمع الناس ويتفقوا على عمل طوعي يؤديون من خلاله أعمالاً بوقتهم ومالهم وجهدهم من دون مقابل، أي العمل العام وهذا موجود في تاريخنا.

حتى الآن في حلب هناك جامع اسمه "جامع القبط" وهناك وقف للقطط الشاردة لكي تأتي تتناول الطعام، والآن يعلموننا أن الرفق بالحيوان قضية غربية، وتوصيات الحديث الشريف بالحيوانات وبعدم قطع الأشجار أين نذهب بها؟ هذه الأمور حينما نركّز عليها في التعليم تصبح شيئاً حقيقياً، ومعها يأتي دور الإعلام بقنوات تقدم هذه المواد بشكل ممتع، فمن الممكن أن تعمل فيلماً عن صلاح الدين لعدة مراحل عمرية ولعدة أجيال، وبذلك تربط الناس بتاريخهم وفي الوقت نفسه لا مانع أن تُشاهد الرياضة والفن ولكن بشكل متوازن لا يلغي الشخصية.

ويبقى الأساس في رصد القرارات اللازمة والتمويل اللازم والتعليم، فكما تضع الدولة البرنامج، يلتزم المعلم به، وهذا الدور أسمىه القرار السياسي العالي.

كنا مرة في مؤتمر في مدينة الرياض السعودية بعنوان "تعريب العلوم الطبية"، وكان أكثر الموجودين المحليين والمصريين يلحون بشكل شديد على عدم صلاحية اللغة العربية لتعليم هذه العلوم وعلى عبقرية اللغة الإنجليزية فيها، ودائماً أستخدم بعض الردود السريعة التي أسمىها "كيف تلوي الذراع" فلا أحب أن أطيل الكلام، فقلت لأحد الأخوة المصريين وهو بروفيسور كبير: لو انتصر هتلر في الحرب العالمية الثانية لكنت يا سيدي تتغنى بعبقرية اللغة الألمانية الآن.

القضية أن الإنجليزية وراءها الدولار ووراءها سياسة هيمنة على العالم، وهذا يجب أن يكون أمراً في ذهننا وواعين له. ومن جانب آخر لن أضرب لك مثلاً بيت الحكمة أو المأمون بل من التاريخ الحديث، في عام 1827 فتح محمد علي مدرسة الطب في القاهرة وأحضر أساتذة فرنسيين، ومدير المدرسة كان اسمه كلوت بيك، ولم يسمح لهم بتعليم حرف واحد إلا بعد أن فتح بجانبها مدرسة اسمها "مدرسة الألسن" بحيث يدخل الأستاذ ومعه الترجمان، وبقيت حتى 1927 مئة سنة كاملة مصر تعلم الطب والهندسة بالعربية حتى جاء اللورد كرومر وألغى التعليم باللغة العربية، والجامعة الأمريكية في بيروت والجامعة اليسوعية

في بيروت من 1860 حتى 1920 ستين سنة تعلم الطب والهندسة وكل العلوم باللغة العربية، سقطت الدولة العثمانية فجاء الإنجليز والفرنسيون وحولوها، إذاً هل كان هذا التعليم 100 سنة في مصر و 60 سنة في لبنان فارغاً تماماً ودون أي معنى؟ أم أنه يعني أن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم؟ العملية عملية ترجمة بسيطة جداً. لماذا بلغاريا التي عدد سكانها 8 ملايين كل التعليم فيها بالبلغاري وفنلندا 3 ملايين كل التعليم فيها بالفنلندي، وفي إقليمنا: تركيا وإيران، وكل منهما تحافظ على لغتها القومية.

القضية أننا من الداخل نشعر بالهزيمة وبالذونية وبالتقص هذا ما نريد معالجته بقولنا: إننا أصحاب تراث، وليس فقط تراث ديني كما يحاول بعضهم أن يظهروا، بل تراث كامل، والتراث الديني مبني على علم، وأنا دائماً أركز على قضية من يثرون موضوع ما يسمى بالطب النبوي أو الطب العربي، وهم يظنون أن الطب النبوي كان أن يمسخ الرسول "ص" بيده أو يتفل في عين المريض فيشفى، لا مطلقاً، لدينا حديث نبوي، في فتح مكة مرض سعد بن أبي وقاص فقال الرسول "ص": "أنت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب". وكان الحارث بن كلدة وثيقاً لم يسلم وكان قد درس عدة سنوات الطب في مدرسة جنديسابور، كان طبيباً متخصصاً، وجاء وعالج سعداً، لماذا لم يتفل في عينه أو يمسخ له جسمه بيديه. هذا الحديث يدل على عقل علمي يؤمن بالأسباب والنتائج، وقد انبنى عليه ألفية ابن سينا في الطب وهي ألف

بيت أولها بيت يلخص كل الموضوع موضوع الوقاية وموضوع العلاج،
فالإيمان أن المرض له أسباب يؤدي إلى أن يزيل العلاج هذه الأسباب:

الطب حفظ صحة براء مرض من سبب في بدن عنه عرض

لاحظ "حفظ صحة" وقائي، و"براء مرض" علاجي، "من سبب في بدن
عنه عرض" أي لا يأتي من السماء بل يأتي من أسباب متعلقة ببيولوجيا
الجسم، وهذا هو العلم الحقيقي الحالي وابن سينا أخذ هذا الكلام من
تراث المنطقة.

سؤال: ساميلُ مع من يرى أنكم تسوّقون التراث بأدوات تراثية فأنتم
عاجزون عن استخدام الأدوات الحديثة التي برع باستخدامها الآخرون
وفرضوا أنفسهم من خلالها كقدوة أو كنماذج نخبوية بالنسبة للمجتمع
والشباب والجيل الناشئ، فأنتم لم تستطيعوا حتى الآن تقديم التراث
بشكل محبّب ولطيف ولعل الإعلام يشترك معكم في هذا التقصير؟

جواب: هناك فرق بين كلمة عاجزين وبين "لا تمتلكون الأدوات"،
فعاجزين تحتل معنى أنكم لا تهمون بأدوات التقديم مثلاً، لكن نحن
نعترف بأن هذا الموضوع يحتاج إلى جهد كبير وتعاون واسع جداً مع
دوائر الدولة وغيرها ويحتاج إلى وقت، ونحن نحاول أن نسابق الوقت في
ذلك، لذلك تعاوننا مع الجهات الأخرى، سواء في مصر أو المغرب أو

بريطانيا أو أسبانيا من باب أن هذه الأمور تأتي بهدوء رغم الحرب الشديدة القوية من الطرف الآخر، وليس المقصود بالآخر الغرب الاستعماري، فحينما تحاول أن توظف قناة تلفزيونية لتعرض هذه المواضيع بشكل لطيف سيكون أمامك 1000 قناة ممولة من جهات تدعي الأخلاق وهي قنوات داعرة بالمعنى الحقيقي، من يمول هذه القنوات هم أشخاص معروفون وهي تنشر الخلاعة بين الشباب وتنشر التفاهة. ولا يجب أن يفهم من هذا أننا ضد الطرب والموسيقى، بالعكس فهذا من طبيعة الروح الإنسانية ولكننا نريد الطرب والموسيقى التي تنمي الذوق وليس التي تفسده، فهذا الأمور تحتاج أولاً إلى تمويل وإلى تعاون وإلى إيجاد القدرات الكافية، لذلك دائماً العمل ليس بالإمكانات المتخيلة بل بالإمكانات الموجودة، والسياسة تعريفها هي فن الممكن وليست فن التخيل، فأنا عندما أضع برامج أضعها بما في يدي من إمكانات.

سؤال: إلى أي مدى استطاعت جمعية العاديات التي ترأس العمل فيها أن تحقق ما تحدثنا عنه الآن حول التراث؟

جواب: طبعاً الطموحات أكبر مما تحقق لكن جمعية العاديات لديها أرقام تتحدث عنها، كانت جمعية نخبة صغيرة في غرفة بالمتحف وأحياناً في أحد المكاتب ويغلب على نشاطها الجانب الاجتماعي رحلات وسهرات، وحاولنا خلال السنوات 15 الأخيرة وهدوء - لأن العمل المتسرع

يؤدي إلى النكسات والتوقف - تام جعل الجمعية تعمل بالعقل المؤسساتي، يعني ليست جمعية مرتبطة بفرد وإنما فريق عمل واحد وليس شخصاً واحداً، عندما استلمت الجمعية عام 1994 كان لدينا فرع واحد في اللاذقية والآن لدينا فروع تغطي سوريا كلها بما فيها دمشق، وكل هذه الفروع تعمل بانسجام وكل مدة لدينا اجتماع ننسق فيه مع بعضنا وكلها تعمل بنفس الروح فنحن دائماً نركز على أن سر النجاح هو العمل الطوعي وتقديم الوقت والجهد، والسر الثاني هو أسلوب الإدارة الديمقراطي فمن ينجح بالانتخابات أهلاً وسهلاً به.

وفي الوقت نفسه المرونة الشديدة في فهم الجو المحيط والتعامل معه. والمقصود بالجو المحيط الدولة بأجهزتها كلها خاصة من علاقتنا معه وثيقة مثل وزارة الثقافة ووزارة الشؤون الاجتماعية والمحافظات والبلدية والجامعة، وتلاحظ أن كل هؤلاء لدينا معهم علاقات في أعلى درجات التعاون وهذا كله ينعكس على الجمعية بشكل ما.

فهذا العمل ذو الإطار العام الأكاديمي أدى إلى إنشاء المجلة الفصلية والكتاب السنوي والمحاضرات الأسبوعية والندوات الكبرى التي تتم بالتنسيق مع الجامعة بل إن كثيراً من ندوات الجامعة من مقترحاتنا مثل ندوة عمر أبو ريشة التي ستعقدتها الجامعة قريباً، والجامعة تتكفل بمصاريف مالية لا تقدر الجمعية على التكفل بها، كحجز الفنادق مثلاً. ورئيس الجامعة الحالي ومن سبقه لم يرفضوا إطلاقاً طلباً قُدّم لهم من قبل

الجمعية، وكذلك محافظ المدينة. وذلك لأن من حولنا يتفهمون أن الجمعية ليست معادية لأحد وليست جهة معارضة لأحد وإنما هي جمعية تؤدي غرضاً ثقافياً تنفرد فيه وهذا بشهادة الجميع، بل إن وزير الثقافة يقول لي دائماً: حجم عملكم في سورية أكبر من حجم عمل مراكزنا الثقافية.

وهذا له أسبابه وأهمها عامل الثقة فالناس تعرف أن فريق العمل هنا لا يعمل مقابل مكاسب معينة أو طمعاً بمركز ما. إنه يعمل إيماناً بالعمل العام وهذا أمر نحن نأجحون به حتى الآن. فسياسة الفريق الواحد والعمل الديمقراطي والعمل الأهلي الطوعي والتمسك بالخطوط العامة لعمل الجمعية كلها تؤدي إلى النجاح. فالحاضرات متصلة بالتراث والتاريخ بمعناه العام ونحن نبتعد عن المناسبات السياسية الخاصة أو المناسبات الدينية الخاصة بحيث تكون الجمعية لكل أبناء البلد.

سؤال: سأركز قليلاً على محمد قجة الإنسان، من خلال علاقتي بك أظن بعض الأحيان أنك ابن حلب الوحيد لشدة ما تكنه لهذه المدينة من حب غريب، بل حتى كأن المدينة تبادل لك هذه العلاقة وهذا شيء قد أتفهمه، ولكن ما حكايته مع الأندلس؟

جواب: صحيح - ويضحك - الأندلس وحلب هما خطان سارا مع بعضهما، ففي فترة الدراسة المبكرة التي هي المرحلة الإعدادية كنت

أحفظ عدداً من الشعر قد يبدو الآن مبالغاً فيه، يعني أكثر من 30.000 بيت من الشعر وبعض الدواوين كنت أحفظها بأكملها مثل المتنبي وعمر أبو ريشة، وكنت معجباً جداً بابن هانئ الأندلسي وابن زيدون وقصته مع ولادة، ودار الكتب الوطنية لها فضل كبير فكنا نقرأ في اليوم كتاباً واحداً أو كتابين أي التهام حقيقي للكتب، وفي الدراسة الجامعية شدني الموضوع الأندلسي أيضاً من حيث الأدب ومن حيث التاريخ وفيما بعد أضحى التاريخ هو الطاعي.

وفي بداية السبعينيات كان لي زيارة مطولة إلى أسبانيا وخاصة غرناطة وهناك بدأت التعرف عن قرب إلى نتاج لسان الدين ابن الخطيب وهو غير المعروف هنا كثيراً مثل باقي الأسماء اللامعة كابن رشد ابن حزم وابن زيدون وغيرهم، ورأيت أن هذا الرجل لم يأخذ حقه من الدراسة أبداً، فقد ظلم في عصره فقتل ظلماً وغُيب فأُنجزت أطروحة عن مرحلة من مراحل حياته وهي الدراسة الأولى، وهي "لسان الدين ابن الخطيب وعلاقته بدولة بني مرين" وفيما بعد تناولت الدراسات حوله وكان هو المفتاح لدخولي إلى الأندلس.

وعرفانا به أقمت له ندوة من أضخم الندوات في جامعة حلب هي ندوة "لسان الدين ابن الخطيب" ضمت أكثر من 50 باحثاً 7 منهم من الأسبان وتمكنا بالعلاقات الهادئة والمرنة من إقحام معهد ثريانتس معنا الذي كان يجهل الرجل أساساً.

وجاء رئيس جامعة غرناطة شخصياً ورأى اهتمام حلب به، وقمت
بربط ابن الخطيب بحلب بطريقة لم ينتبه لها أحد من قبل فأحد أساتذة
ابن الخطيب في بداية تعلمه كان اسمه ابن جابر وكان أعمى وله صديق
هو أبو جعفر وهو دليله تركا الأندلس واستقرا في مدينة حلب وكتب
ابن جابر فيها دواوين ضخمة وموشحات تغني حتى الآن:

مد خلفوني وساروا

لم يبق في اصطباراً

وهو صاحب بيت الشعر:

فقلت: من هذه الحسناء فاتنة قالوا: كذلك شأن الغيد في حلب

وقلت لهم نحن تكريماً لابن جابر أستاذ ابن الخطيب المدفون في حلب
نستحضر ابن الخطيب في حلب، الأمر الذي أدهش رئيس جامعة
غرناطة لأنه لم يسمع بهذه المعلومات سابقاً.

سؤال: صداقاتك مع الحداثيين عديدة كمثل علاقتك مع أدونيس،
وكمال أبو ديب الذي كان زميلاً لك في دراسة اللغة العربية بجامعة
دمشق، فلماذا ذهب محمد قجة إلى التراث ولم يصبح حداثياً خصوصاً
أنه وجد في عصر كانت الحداثة تشكل فيه صرعة وصيحة غطت على
غيرها؟

جواب: الذهاب إلى التراث لا يعني أني أرفض الحداثة، ولكني لا أتفق مع أدونيس وأبو ديب، فأنا أفهم الحداثة أنها خدمة للتراث وعلى العموم فأدونيس وأبو ديب في كل شيء، في الفترة الأخيرة بدأ يعودان للتراث فكتاب أدونيس "الكتاب" - وهو قصة طريفة تتحدث عن عثوره على مخطوط متخيل للمتنبي - هو نوع من العودة إلى التراث. وهذا النوع من الأشخاص لا يمكن أن تأخذه بجزئته بل لا بد أن تأخذه بشكل مجمل مثل طه حسين ففي كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" كان متسرعاً، وأنا هنا لا أجرّح به بل أعني ما أقول. لأنه عندما يدعي أن مصر لا علاقة لها بمحيطها لا العربي ولا الأفريقي ولا الإسلامي وهي جزء من الثقافة الإغريقية فهذه ليست حقيقة تاريخية، ولكنه تراجع عنها فيما بعد في كتاباته وسلوكه، وأيضاً كمال أبو ديب في حديثه ما انسلخ عن شيء اسمه التراث.

ويبقى الفارق في حجم الاهتمام والتفريق بين فهم الحداثة وفهم التراث وهذان الاسمان الذين ذكرتهما هما من الناس الناضجين إلى أبعد مراحل النضوج بعكس كثير من الناس الذين يسمون أنفسهم حداثيين وهم لا يعرفون الألف من الياء من الباء، مجرد أشخاص في زوايا المقاهي يقضون النهار على السجائر وفناجين القهوة ويتحدثون عن أشياء يعرفونها ولا يعرفونها هذا ما نسميه بالهذيان وليس الحداثة، بل من الممكن أن أحدهم قد يطبع شيئاً وبعد 5 أو 6 أشهر تريه إياه فلا يعرفه وإذا سألته: من الكاتب أو ماذا تقصد؟ نسي وتلعثم، لأنه كان في حال هذيان وأنا لا

أقصد شخصاً معيناً أو أجرّح في أحد معين أنا أتحدث عن تيار، وهذا سيسقط لأن من يبقى هو الصحيح دائماً.

سؤال: توجهت إلى أدونيس وأبو ديب وتركت نفسك ولكني لن أتركك: متى توجهت إلى التراث في أي مرحلة عمرية وكيف؟

جواب: قبل الدخول إلى الابتدائية لم يكن لدينا في زمننا وفي حارتنا القديمة شيء اسمه روضة أطفال، فلما بلغت الثالثة أرسلت إلى "الشيخ" ومرحلة الشيخ كان هدفها الأساسي تحفيظ القرآن الكريم وبالخيزرانة، التي كان طولها 3 أمتار وكانت قادرة على الوصول لأبعد طفل في الغرفة، مع تعليم مبدئي جداً للكتابة والحساب الشفهي وجدول الضرب وما شابه ذلك.

وقبل دخولي الابتدائية كنت أحفظ القرآن الكريم بأكمله. وكانوا يقيمون لنا شيء اسمه "نشيدة" مثل فرح بعد حفظ القرآن، ولا أزال حتى الآن أحفظ قسماً كبيراً منه. هذه المرحلة ساعدها وجود بعض الكتب لدينا في البيت مثل مخطوط سيرة الملك الظاهر، وكتاب طبعة بولاق قديم من 8 أجزاء هو سيرة عنترة بن شداد، وديوان المتنبي في نسختين مخطوط وطبعة قديمة، وهذه الكتب لا أزال أحتفظ بها، فحكماً دخلت في هذا الجو مبكراً.

وفيما بعد أيضاً بشكل مبكر في بداية المرحلة الإعدادية بدأت قراءة الأعمال المترجمة والأعمال التي ليس لها علاقة بالتراث بشكل مباشر مثل أعمال نجيب محفوظ ويوسف إدريس وباكثير ومحمد فريد أبو حديد إلى آخر هذه الأسماء التي يمكن أن نسمي أعمالها بالأدب الاجتماعي، وبدأت بالمتنبي مبكراً دون أن أفهم معاني أشعاره ولكنني كنت أعرف أنه شيء جميل ويجب حفظه ثم بدأت بعمر أبو ريشة والمعاصرين وشعراء المهجر فحدث نوع من التوازن وبعد ذلك أصبح الاهتمام أكبر من قصة ديوان شعر. ففي المرحلة الإعدادية كنت أحفظ ألفية ابن مالك حفظاً مع الفهم وليس من الممكن إلا أن تعتبر هذا دخولاً في عمق التراث، وهذا قادي في هذه الفترة المبكرة جداً إلى قراءة الأغاني وبيتمة الدهر والجاحظ وأبي حيان التوحيدي فتمكنت من هذه الأدوات تمكناً كبيراً جداً.

وفيما بعد كانت الدراسة الجامعية مفتاحاً مهنيّاً لا أكثر وأصبح توجهي أبعد من الأدب العربي والتاريخ إلى العلوم الإنسانية بشكل عام لذلك فالقضايا الفلسفية ليست بعيدة عندي عن التاريخ ومثلها القضايا الجغرافية وعلم الاجتماع وهذه الدائرة كلها أصبحت موضوع الاهتمام.

سؤال: بعد عدة أيام ستقيم وزارة الثقافة ندوة تكريمية لمحمد قجة ما الذي يعنيه لك التكريم؟

جواب: في الحقيقة هذه كانت قضية لم أعلم بها وفوجئت بها ولكن هي فكرة نبيلة من وزير الثقافة الحالي الدكتور رياض نعيان آغا، وهو بالمناسبة - وليس لأنه صديقي منذ زمن طويل - رجل مثقف حقيقي، وكان رأيه أنه لماذا نؤبّن الناس ولا نكرمهم في حياتهم، فبدأت الفكرة وتم تكريم عبد السلام العجيلي ومحمد الماغوط ووليد إخلاصي وعفيف بهنسي، وحتى بعض المتوفين الذين لم يتم تكريمهم مثل جورج سالم، وفوجئت باتصال نزيه خوري مدير العلاقات الثقافية الذي أخبرني بالتكريم فشكرت لهم هذه البادرة.

سؤال: لطالما استهواني السؤال: ممن تعلم أساتذتي، من أثر في بناء شخصية من أثروا في بناء شخصيتي؟ أنت واحد من هؤلاء فممن تعلمت؟ من هم أساتذتك؟

جواب: سؤال مهم، في الحقيقة الأساتذة هم على نوعين مباشر مرّ بحياتك وأثر بها، وغير مباشر استوحيتّه وكان شخصية هامة جداً بالنسبة إليك. مع بدايات حياتي كان والدي متعلماً ولديه مكتبة في البيت ولم يكتف بتوجيهي لقراءتها بل كان يباريني في الشعر حتى أحفظ الشعر، لعبة أول البيت وآخر البيت وهذا البيت لمن وذاك لمن.

في مراحل التعليم من الممكن التوقف عند بعض الأساتذة مثل المرحوم علي رضا، الذي درّسني ثلاث سنوات متتالية في المرحلة الإعدادية وهو

رجل ما كان يحمل سوى الشهادة الابتدائية كما أظنّ، وبعد وفاته أُهديت مكتبته إلى جمعية العاديات، إنسان هادئ وحكيم لم أشاهده مرة غاضباً ولم يوجه كلمة قاسية لطالب ما، رغم أن معظم الناس قد يفعلون ذلك، وبنفس الوقت كان متمكناً من أدواته العلمية والتعليمية، وهناك أيضاً أساتذة في مواد أخرى مثل المرحوم محمد خير فارس أيضاً في المرحلة الإعدادية، ولا زلت أذكر عبارة كان يقولها لنا دائماً: "الثورة لها شرطان الظلم والإحساس بالظلم فإذا لم يحدث الإحساس بالظلم بقي الناس معتبرين الأمر عادياً".

في المرحلة الجامعية لم أكن طالباً مداوماً على الجامعة إذا كان لدي عمل ومع ذلك كنت الأول على الدفعة في الجامعة نتيجة حب المادة والاختصاص، لكن أذكر من الأساتذة الذين تربطني معهم علاقة جيدة الدكتور عبد الكريم الأشتر وأخاه المرحوم صالح الأشتر والأستاذ المرحوم مازن المبارك وشيخ علماء النحو سعيد الأفغاني رحمه الله.

وبعضهم لي معهم قصص طريقة فأذكر سعيد الأفغاني وكنا في السنة الثالثة وكان يدرسنا مادة القرآن والحديث وكان لدينا فحص شفهي وليس كتابياً فقط، فدخلت الفحص وكان عابساً مقطباً ومعه أستاذ لبناني قتل في الأحداث اسمه صبحي الصالح عالم جليل، فقال لي افتح القرآن ففتحته لا على التعيين وقال لي اقرأ. قرأت ولاحظت أن من سبقني كان يقرأ سطرًا أو سطرين ويقول له قف. أما أنا فقرأت

الصفحة كاملة ولم يقل لي قف. فأحببت أن أفعل نكتة مع الرجل فقلت له: أستاذ إذا كنت تنتظرنى لأخطئ - ويشير محمد قجة بيديه إلى إغلاق الكتاب - فأغلقت المصحف وتابعت قراءة الصفحة التي بعدها، فسرّ الأفغاني سروراً عظيماً وقال لي: سأعطيك درجة لم أعطيها لأحد، وكانت علامتي 87 من 100، أما صبحي الصالح فقال لي: لا تذهب سأسألك عن إعراب بعض الآيات، فقلت له: خذ راحتك. وذكّرت سعيد الأفغاني بهذه الحادثة قبل وفاته رحمه الله.

ومن الأساتذة أيضاً شكري الفيصل رجل محترم، هؤلاء نوعية من الناس كانوا يعشقون عملهم وكان لهم احترام كبير جداً في نفوس طلابهم. وشكري الفيصل كان لي قصة طريفة معه وأيضاً في امتحان شفهي، فتح كتاب الأمالي على ما أذكر وكان هناك بيت شعري غير مشكّل كثيرون مروا عليه وأنا منتبه والبيت بشكل عادي يُقرأ أوله: من بين آلاف. ولكن إذا ربطته بما قبله من السياق يصبح من بين آلاف، جمع أليف والبن البعد فقرأته له هكذا فسر سروراً عظيماً لذلك.

سؤال: هؤلاء أشخاص ربطتك بهم علاقة مباشرة ولكن في كثير من الأحيان يتلمذ الشخص على يدي أساتذة من خلال الورق دون أن يراهم؟

جواب: طبعاً يمكنك أن تعتبر من هؤلاء عمر أبو ريشة وقد التقيت به أكثر من مرة، ونجيب محفوظ وكذلك التقيته أكثر من مرة، وفي إحدى المرات كان من المفروض أن أسافر إلى اجتماع في الإسكندرية وفي كل مرة كنت أذهب إلى الاجتماع كنت أذهب إليه وأزوره في المركب في القاهرة. ففي إحدى المرات لم أذهب إلى القاهرة فسأل عني، فقال له جمال الغيطاني: هو مريض. وكنت حينها قد قمت بعملية قنطرة في الأردن فاتصل بي إلى البيت واطمأن على صحتي وكان هذا موقفاً إنسانياً نبيلاً وكبيراً جداً. ومن الصداقات التي لي الآن في مصر جمال الغيطاني وهو من أصدقائي المقربين جداً، ويوسف القعيد الروائي المعروف والصديق يوسف زيدان مدير مركز المخطوطات في مكتبة الإسكندرية.

سؤال: هل هناك أحد من الغربيين؟

جواب: طبعاً محمد أرغون أعرفه معرفة جيدة والمرحوم مكسيم رودنسون التقيته في فرنسا وغيره.

سؤال: وماذا عمن لم تلتقهم أي التقيتهم من خلال الكتب فقط؟

جواب: قراءة... كثير جداً، ولا يمكن حصرهم، ولكن من الأسماء التي ذكرتها لك شبنغلر صاحب الكتاب الجبار والهائل "تدهور الحضارة

الغربية"، وهو ليس كتاب ادعاء إنه كتاب تحليل، وبول كنيدي صاحب كتاب "سقوط الإمبراطورية الأمريكية"، وهذه مسألة تبدأ ولا تنتهي.

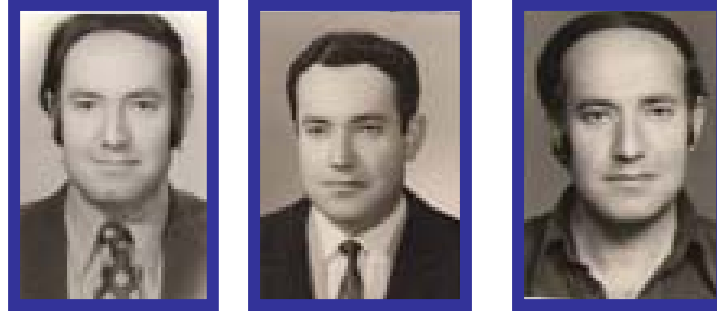
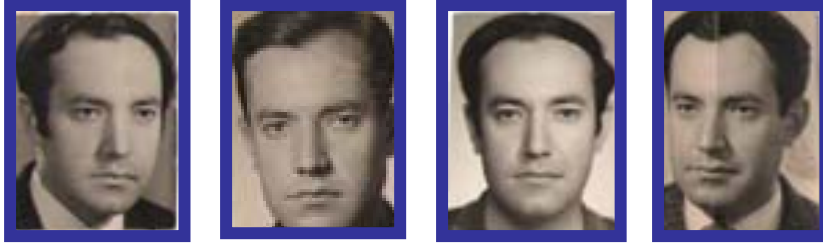
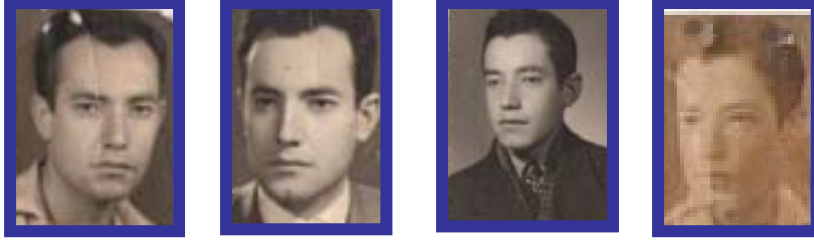
سؤال: أخذت الكثير من وقتك، وسيكون هذا السؤال أو الطلب هو الأخير: بعد هذه السنين ما هي النصيحة التي تقدمها للشباب وأبناء الجيل الحالي؟

جواب: تتلخص بكلمة واحدة، أتمن شيء في الحياة الوقت ولا يشعر الإنسان بقيمته إلا بعد مرور الزمن، لأن الوقت لا يُعوّض، المال ممكن تعويضه والصحة كذلك، فاعتنا الوقت وبرمجته ضرورية بحيث يعرف الإنسان كيف يستفيد من وقته جيداً، أي وقت طعامه ووقت رياضته ووقت راحته ووقت عمله، وسيصبح الأمر بالنسبة له روتينياً جداً، ويؤلمني جداً الشباب الذين أمرّ بهم وهم في المقاهي يلعبون الطاولة ويدخنون النرجيلة لمدة أربع أو خمس ساعات، إنه نوع من الانتحار تماماً ونحر الوقت وقتله دون تحقيق أي شيء، بالعكس يتسببون بضرر أنفسهم بشكل كامل.

شكراً لك أستاذي على ما منحتنا من وقت وعلى هذه الجلسة الشائقة.

شكراً لكم..

صور من مراحل مختلفة
من حياة محمد قجّة



صور شخصية في مراحل عمره
منذ الطفولة حتى نهاية العقد الرابع من عمره



في مكتبه بثانوية المأمون 1966



في عام 1965



مديراً لثانوية المأمون عام 1967



في عام 1967



في العام الأول لزوجاه 1969



يخطب مديراً لثانوية ابن الهيثم 1977



مع السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد



في افتتاح الجامع الأموي الكبير بحلب بعد ترميمه



في حفل استقبال ملك أسبانيا خوان كارلوس



مع رئيس الوزراء الأستاذ المهندس ناجي عطري



مع سماحة المفتي الدكتور أحمد حسون
والبروفسور سليم الحسيني



مع الرئيس الإيراني الأسبق
علي أكبر هاشمي رفسنجاني



مع محافظ حلب د. تامر الحججة



مع وزير الثقافة د. رياض نعسان آغا



أعضاء لجنة الاختيار في جائزة الملك فيصل العالمية



في استعراض مخطط تنظيمي لحلب القديمة



مع الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل
في مكتبه بالقاهرة



مع الأديب الروائي وليد إخلاصي
والفنان العالمي مأمون صقال



مع الشاعر محمود درويش والأديب جمال الغيطاني



مع الأديب الكبير د. عبد السلام العجيلي



مع زوجته السيدة عفاف والروائي العالمي
نجيب محفوظ والأديب نعيم صبري



مع الروائي العالمي نجيب محفوظ
والأديبين جمال الغيطاني وزكي سالم



مع شيخ المؤرخين د. نيقولا زيادة
ومجموعة من الباحثين من لبنان



مع شيخ المؤرخين د. نيقولا زيادة
ود. عبد الرحمن الكواكبي



مع الشاعر الكبير أدونيس وجمال باروت



مع جمعة الماجد ود. عبد الله العثيمين



مع الفنان العالمي سامي برهان ود. إحسان شيط



مع الروائيين جمال الغيطاني ونبيل سليمان



مع السفير الأسباني في سورية
ومدير معهد ثريانتس



مع: جبرائيل غزال - إحسان الكيالي -
عادل ميري



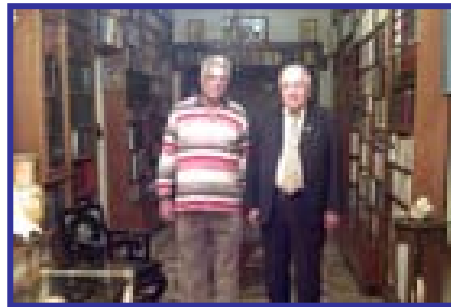
مع الأديب نعيم صبري



مع رئيس جامعة تبريز



مع الدكتور زكي حنوش



مع الروائي ابراهيم عبد المجيد



في بث حي في استديو التلفزيون السوري



في حفل تعارف جمعية العاديات



أثناء إحدى جولات جمعية العاديات
في حلب القديمة



مع هنري زغيب - طلال حيدر -
وليد غلمية - وليد إخلاصي



مع الفنان الكبير صباح فخري



مع الشاعر محمود درويش والروائيين:
يحيى يخلف وجمال الغيطاني



مع د. جورج جبور ود. حسين صديق



في ندوة الشيخ الأكبر ابن عربي



في مؤتمر في تونس



في ندوة في الأردن



في ندوة حول مسلسل "خان الحرير"



في ندوة لسان الدين ابن الخطيب



مع فرقة "الجللاء" للأناشيد الوطنية



مع فرقة المولوية في حلب



مع الأديب جمال الغيطاني والمطرب الكبير
صبري مدلل وفرقته في منزل الأسرة



بين أعضاء فرقة إنانا بعد إحدى مسرحياتهم
التي كتب نصّها



مع حفيده محمد قنجة الصغير في مكتبة المنزل



مع الأولاد والأحفاد عام 2009



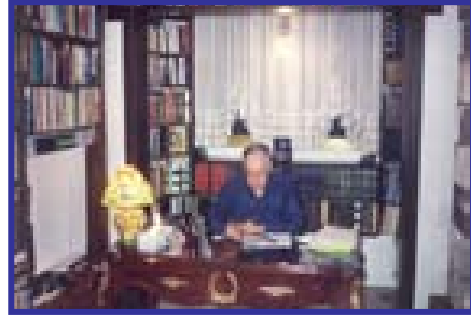
مع ولديه: حسن وزيد - وأشقاؤه الأربعة:
محمود وعبد الكريم وكمال ونعمان



مع زوجته السيدة عفاف وأولاده :
بانة وحسن وزيد - عام 2009



في مكتبته المتزلية في حلب عام 2008



في مكتبته المتزلية في حلب عام 2002

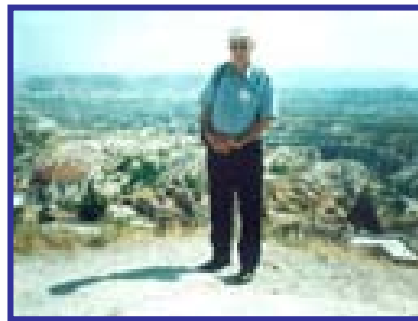
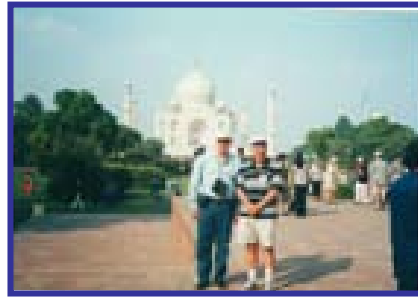
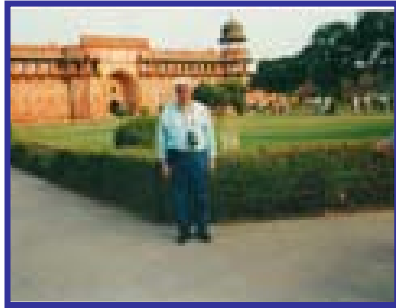


في قاعة شرف رسمية بجوار العلم السوري

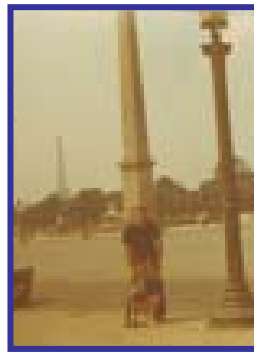


رسم كاريكاتيري عام 2007

رحلات حول العالم



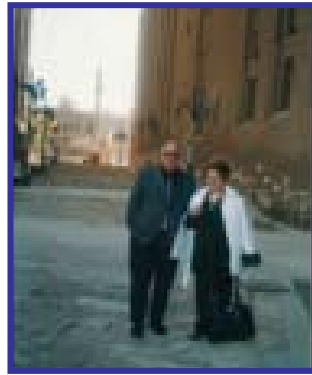
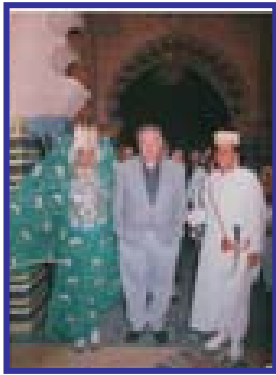
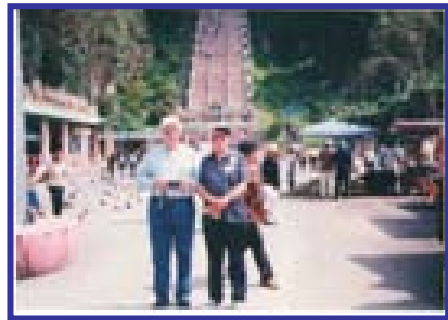
رحلات حول العالم



رحلات حول العالم

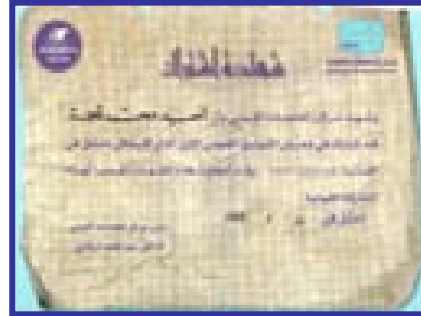


رحلات حول العالم

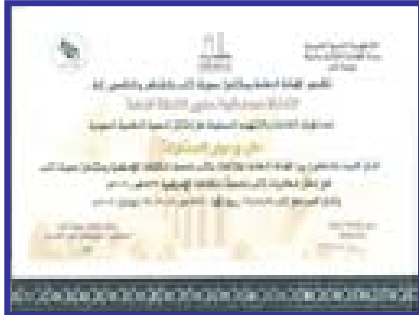


بعض شهادات المشاركة بمؤتمرات علمية

بعض شهادات المشاركة بمؤتمرات علمية



بعض شهادات المشاركة بمؤتمرات علمية



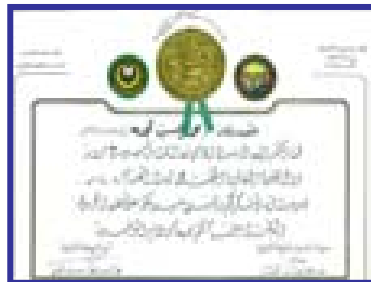
بعض شهادات المشاركة بمؤتمرات علمية



بعض شهادات المشاركة بمؤتمرات علمية



بعض شهادات المشاركة بمؤتمرات علمية



بعض الدروع التقديرية التي حصل عليها

دروع تقديرية



دروع تقديرية



دروع تقديرية



دروع تقديرية



دروع تقديرية



دروع تقديرية



أغلفة كتب مؤلفات محمد قجّة

أغلفة كتب مؤلفات محمد قجّة



أغلفة كتب مؤلفات محمد قجّة



أغلفة كتب مؤلفات محمد قجّة



أغلفة كتب مؤلفات محمد قجّة



السيرة الذاتية لمحمد قجّة

"سيرة ذاتية"

محمد قجّة

باحث في الحضارات و التراث العربي والإسلامي



بيانات شخصية:

الاسم الكامل: محمد قجّة بن حسن

مكان وتاريخ الميلاد: حلب / 17 كانون الأول 1939

الجنسية: عربي سوري، من أسرة عريقة تقيم في حلب منذ أكثر من 600 سنة في الأحياء القديمة وعرفت كثيراً من الأعلام، وقد قاد الجد الخامس لي (محمد) انتفاضة اجتماعية ضد المظالم في عهد خورشيد باشا العثماني عام 1820 أدت الى قتله وملاحقة أسرته

الوضع العائلي: متزوج / لديه ثلاثة أولاد

العنوان: سورية- حلب- حي الشهداء- شارع المعتمد بن عباد

هاتف: جمعية العاديات: هاتف: 2285740 (21) +963 / فاكس: 2267674

الأمانة العامة: هاتف: 2271244 (21) +963 / فاكس: 2273254

m-kujjah@hotmail.com

البريد الإلكتروني:

الشهادات الأكاديمية:

- دراسات عليا في تاريخ الأندلس وبلاد الشام
- إجازة في الأدب العربي
- مؤهل تربوي
- اللغات الأجنبية: الفرنسية (وسط) الإنجليزية (قليلاً) العبرية والسريانية (وسط)

العمل الحالي:

- رئيس لجنة السجل الوطني للتراث الثقافي في سورية
- رئيس مجلس إدارة جمعية العاديات السورية التي تهتم بالتراث المادي وغير المادي منذ 1994، وتضم الجمعية 15 فرعاً في المدن السورية ومركزها الأم حلب
- مدير الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
- المستشار الثقافي لحافظة حلب
- المدير المسؤول للكتاب السنوي الخكم "عاديات حلب" بالتعاون مع جامعة حلب
- المدير المسؤول ورئيس تحرير مجلة العاديات الفصلية للتراث والآثار (دراسات تاريخية وفكرية)
- رئيس تحرير مجلة "التراث" - وزارة الثقافة السورية

النشاطات الفكرية والثقافية:

- عضو لجنة الاختيار في جائزة الملك فيصل العالمية.
- عضو مجلس الخبراء في مؤسسة العلوم و التكنولوجيا والحضارة / بريطانيا.
- عضو مجلس الإدارة في مركز ومتحف المخطوطات / مكتبة الإسكندرية .
- عضو مجلس الأمناء في الجامعة الدولية للعلوم والتكنولوجيا.
- عضو اتحاد الآثاريين العرب .
- عضو اتحاد الكتاب العرب (جمعية البحوث والدراسات) .
- عضو الجمعية السورية لتاريخ العلوم (معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب)
- عضو لجنة حماية حلب القديمة .
- عضو لجنة ترميم وتوثيق الجامع الأموي الكبير بحلب .
- عضو شرف في رابطة المغتربين السوريين في فرنسا.

- اكتشف موقع بيت المتنبي في حلب وعمل على تحويله إلى متحف باسم المتنبي.
 - لديه مكتبة منزلية خاصة تتألف من 13 ألف عنوان في المعارف الإنسانية والعامية.
 - بادرت وزارة الثقافة في سورية بإقامة ندوة تكريمية له على مستوى دولي لمدة يومين في تشرين الأول 2008، شارك فيها 25 باحثاً من سورية والأردن ومصر وتونس والسعودية وقطر والكويت وبريطانيا.
 - أنتجت القناة الفضائية السورية فيلماً وثائقياً عنه بعنوان "محمد قجّة: حلب التراث" وعرضته في نهاية عام 2008
 - كما أصدرت وزارة الثقافة كتاباً خاصاً بعنوان: "وقائع الندوة التكريمية للباحث محمد قجّة" عام 2009
 - إلقاء أكثر من (300) محاضرة في سورية والوطن العربي والعالم في قضايا فكرية وآثارية وتاريخية وتراثية وأدبية وفنية.
 - إجراء أكثر من (200) برنامج تلفزيوني وأكثر من (100) لقاء إذاعي في الفضائيات العربية والعالمية وعشرات اللقاءات والمقابلات الصحفية في جرائد ومجلات عربية وعالمية، حول قضايا فكرية وآثارية وتاريخية وتراثية وأدبية.
- ومن أبرز القنوات الفضائية التي أجرت معه لقاءات وأعدت عنه برامج:
- الجزيرة - دي - MBC - دريم - تلفزيون لبنان - الآن - أبو ظبي - المنار -
 ART - اقرأ - الرسالة - اليمنية - التونسية - الجزائرية - السودان - الكويتية -
 - السعودية - الأردنية - التلفزيون الإيراني - التلفزيون الروسي.

أما القنوات السورية الفضائية والمحلية فقد أجرت معه أكثر من 100 حوار وبرنامج.

المساهمات في الإطار الإداري وإطار العمل العام:

أولاً: في العمل التربوي (من عام 1960 حتى عام 1980)

- مدرس لمادة اللغة العربية في عدة مدارس حكومية وخاصة في سورية.
- مدير لعدد من المدارس الثانوية الحكومية والخاصة في حلب.
- المحطة الأبرز كانت عمله مديراً لثانوية المأمون بحلب التي يعود تاريخ تأسيسها إلى عام 1892، حيث صادف وجوده مديراً لها عام 1967 مرور الذكرى الماسية لتأسيس الثانوية (75 عاماً) فأقام احتفالية ضخمة للمناسبة شارك فيها كافة طلاب وأساتذة المدرسة في مختلف النشاطات: إصدار كتاب وبضعة مطبوعات، بطولات رياضية، معارض فنية، مسرح، تأليف وعزف موسيقي، مهرجانات خطابية، واختراعات علمية.

ثانياً: في العمل الإعلامي (من عام 1980 حتى عام 1990)

كان رئيساً للجنة الإعلام الصحي في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، عمل خلالها على إنشاء صحيفة أسبوعية خاصة بالقضايا الصحية بعنوان "صحة الشرقية"، وعلى إقامة مؤتمرات وندوات دورية في القضايا الصحية والطبية على مستويات إقليمية ودولية، كما عمل على إقامة معرض سنوي بمناسبة أسبوع الصحة العالمي بمشاركة عشرات الجهات المعنية، وعلى تقديم فقرات مسرحية وغنائية وبحثية علمية تتعلق بجميعها بمواضيع الصحة، والكتابة في الصحف والدوريات الخلية، وإعداد برامج إذاعية وتلفزيونية.

ثالثاً: رئيساً لمجلس إدارة جمعية العاديات (منذ 1994 وحتى اليوم)

منذ توليه رئاستها، أعطى الجمعية تطوعاً معظم جهده ووقته، وشكلت اهتمامه الأول، وكانت إنجازاته فيها على النحو التالي:

- متابعة إصدار الكتاب السنوي الخكم الذي يتضمن أهم الأبحاث والمحاضرات الأثرية والتاريخية والتراثية، والذي يصدر بالتعاون مع جامعة حلب.
- إصدار "مجلة العاديات" الفصلية، بترخيص من وزارة الإعلام، يديرها طاقم تحرير متطوع وكفاء.
- إقامة محاضرات أسبوعية على مدار السنة، وندوات منفردة أو مشتركة مع عدة جهات، وإنشاء فرقة كورال للأناشيد الوطنية.
- رفع عدد فروع الجمعية من فرعين إلى 15 فرعاً تعمل بإشراف مركز الجمعية في حلب وعلى مسؤوليته.
- عضوية الجمعية في المجالس واللجان الرسمية: مجلس التخطيط الاقتصادي والاجتماعي لحافظة حلب، لجنة حماية المدينة القديمة، لجنة الفعاليات الثقافية، لجنة تطوير المواقع السياحية، لجنة إنجاز الجامع الأموي الكبير بحلب، لجنة تسمية الشوارع، لجنة حماية المستهلك، لجنة متحف ذاكرة المدينة، لجنة أصدقاء المتنبي، لجنة تمكين اللغة العربية.
- التعاون مع أكثر من عشرين جمعية شقيقة خارج القطر، ومع منظمات عربية ودولية.
- تفعيل مكتبة الجمعية: بحيث كانت تتضمن 259 كتاباً فقط قبل عام 1994، وقد باتت تتضمن اليوم 6000 كتاب باللغة العربية و1500

كتاب باللغات الأجنبية و4000 نسخة من الدوريات الفكرية والبحثية، ومكتبة رقمية تتضمن 15.000 كتاب الكتروني، وجميعها مفهرسة، كما تتضمن المكتبة مئات الأشرطة المسجلة وأشرطة الفيديو والأقراص الليزرية المضغوطة، وآلاف الصور والوثائق.

- تفعيل دور اللجنة المالية بحيث أصبحت تعد ميزانية شهرية تفصيلية، تسهيلاً لرقابة وتوجيه مجلس الإدارة.
- تحويل مقر الجمعية من ثلاث غرف في مقرها الحالي، إلى إشغال مبنى كامل مؤلف من ثلاث طوابق فيها 25 غرفة وحديقة كبيرة.
- إنشاء موقع الكتروني للجمعية على الانترنت وربطه بالمواقع ذات الصلة محياً وإقليمياً وعالمياً.
- الاهتمام برحلات الجمعية إلى كافة المناطق الأثرية في القطر وخارج القطر، وزيارات المواقع الأثرية في حلب، وإعداد نشرات تعريفية لكل موقع.

رابعاً: احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية: (من عام 2005 حتى عام 2007)

النهوض بالدور الأكبر في احتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية مديراً للأمانة العامة وأبرز الأعمال هي:

- طباعة 173 كتاباً
- تنظيم 27 ندوة دولية
- تنظيم 26 ندوة محلية
- تنظيم أكثر من 300 محاضرة و100 معرض و100 حفلة ومهرجانات واستعراضات
- ترميم بعض المباني الأثرية وإنجاز متحف ذاكرة المدينة ومتحف المتنبي

- توثيق الاحتفالية طباعةً وصوتاً وصورةً وإلكترونياً
- التعريف بحلب والاحتفالية من خلال عشرات المحاضرات خارج القطر
- إصدار الكتاب الذهبي (توثيق فعاليات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية)

خامساً: مستشاراً ثقافياً لمحافظة حلب: (منذ عام 2007 وحتى اليوم)

- إعداد الندوات المنفذة خلال الاحتفالية لإصدارها في كتب مستقلة لكل ندوة.
- مواكبة أنشطة عواصم الثقافة الإسلامية وعواصم الثقافة العربية في الدول الأخرى والمشاركة بها.
- إعداد البرامج المناسبة للاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية لتنفيذها في حلب والمشاركة في فعاليات القدس في أكثر من مدينة عربية.
- التنسيق في شأن لجان تمكين اللغة العربية في محافظة حلب.
- متابعة إنجاز متحف المتنبّي ومتحف ذاكرة المدينة ترميماً وتأهيلاً وتجهيزاً.
- متابعة إصدار الكتاب الوثائقي عن الجامع الأموي الكبير بحلب.

سادساً: رئيساً للجنة السجل الوطني للتراث الثقافي غير المادي في سورية:

(ابتداءً من آذار 2009)

- إصدار المجلة المتخصصة في هذا المجال.
- إنشاء قواعد بيانات معلوماتية للتراث الثقافي غير المادي في سورية.
- التنسيق بين سائر المحافظات السورية لجمع هذا التراث في قواعد البيانات.
- الاستعانة بالخبرات المحلية والخارجية في عمليات جمع البيانات وتحليلها وتبويبها.
- التنسيق بين الجهات الرسمية والجمعيات الأهلية التي تعنى بالشؤون التراثية.
- إصدار الكتب المتخصصة في مجالات التراث الثقافي غير المادي.
- التوثيق بالصوت والصورة لمجالات التعبير الشفوي والأزياء والصناعات التقليدية والأطعمة وأساليب الحياة اليومية.

البلدان التي زارها للبحث العلمي أو المؤتمرات أو المحاضرات:

الأردن - لبنان - العراق - مصر - تونس - المغرب - الجزائر - السعودية
قطر - عُمان - البحرين - الإمارات - الكويت - اليمن -
تركيا - إيران - ماليزيا - الصين - الهند - تايلاند - بنغلادش - أوزبكستان -
أسبانيا - البرتغال - فرنسا - بريطانيا - ألمانيا - إيطاليا - روسيا - أوكرانيا -
لاتفيا - أستونيا - ليتوانيا - بلجيكا - هولندا - التشيك - سلوفاكيا -
كرواتيا - البوسنة - صربيا - مقدونيا - اليونان - قبرص - بلغاريا - مالطا -
سويسرا - النمسا - هنغاريا.

وزيارة دول أخرى بغرض زيارات سياحية عادية .

الإصدارات:

رقم	عنوان الكتاب	عدد الصفحات	الناشر	تاريخ النشر
أولاً: الكتب المطبوعة:				
سلسلة الخالدون				
1	شجرة الدر	120	دار الشرق العربي - بيروت	1976
2	عبد الملك بن مروان	128		
3	صلاح الدين الأيوبي	125		
4	الظاهر بيبرس	119		
5	طارق بن زياد	120		
6	عبد الرحمن الناصر	132		
السلسلة التاريخية				
7	معركة العقاب	108	دار الحوار - اللاذقية	1983

		119	معركة ملاذكرد	8
		118	معركة المنصورة	9
		138	معارك خالد في العراق	10
		132	المنصور الأندلسي	11
		116	معركة اجنادين	12
		134	معارك عقبة في المغرب	13
دراسات ونقد				
1984	الدار السعودية - جدة	272	محطات أندلسية	14
2003	دار الشرق العربي - بيروت	564	تحقيق وتقديم: ديوان الشيخ الأكبر محمي الدين ابن عربي	15
2004	دار الشرق العربي - بيروت	160	أطلس تاريخ الحضارات القديمة (مشترك)	16
2005	دار الشرق العربي - بيروت	160	أطلس تاريخ الحضارة الإسلامية (مشترك)	17
2006	دار الشرق العربي - بيروت	160	أطلس تاريخ الحضارة الحديثة (مشترك)	18
2008	دار الشرق العربي - بيروت	160	أطلس العصر النبوي (مشترك)	19

2005	منظمة اليونسكو - بيروت	214	المدن العربية الكوسموبوليتية (مشترك)	19
2007	المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت	232	نحو قراءة عربية للتاريخ والحاضر (مشترك)	20
2005	منظمة اليونسكو	214	Les Vill Arabe Cosmopolitiques	21
2006	المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت	224	مراجعات تاريخية	22
2006	الكتاب الذهبي لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية	65	حلب على صفحات التاريخ (نص مسرحي)	23
2007	الكتاب الذهبي لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية	70	الملكة ضيفة خاتون (نص مسرحي)	25
2008	الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية	560	حلب عاصمة الثقافة الإسلامية (الكتاب الذهبي)	26
2008	دار الشرق العربي بيروت	90	حلب مطلع القرن العشرين	27
2008	وزارة الثقافة سورية	184	دمشق في عيون الشعراء	28

ثانياً: مراجعات ترجمة

1976	دار الطليعة بيروت	224	العرب وأوروبا (للمؤلف لويس يونغ)	1
1984	دار الحوار - اللاذقية	264	القرود العاري (للمؤلف ديزموند موريس)	2

ثالثاً: تقديم كتب

تقديم عدد كبير من الكتب لمؤلفين آخرين في مجالات الدراسات الحضارية والتاريخية والأدبية

رابعاً: كتب قيد الطبع

2009	وزارة الثقافة	300	حلب في عيون الشعراء	1
2009	وزارة الثقافة	300	القدس في عيون الشعراء	2
2009	المجلس الأعلى للثقافة	150	حلب والمنتبي	3
2009	لجنة إنجاز الجامع	240	الجامع الأموي في حلب	4
	دار الثقافة الإسلامية / مدريد	190	أندلسيون في حلب	5
	وزارة الثقافة - سورية	3 مجلدات	الأعمال الكاملة لعمر أبو ريشة (مشترك)	6
	دار المدار - بيروت	300	دراسات أندلسية	7
	دار المدار - بيروت	300	أعلام أندلسيون	8

9	بين حلب وفارس	210	مجلة الثقافة الإسلامية - طهران
10	ديوان شعر	مجلدان	تونس
11	اللغة العربية وتحديات العصر	160	تونس
12	من أوراق الذاكرة	3 أجزاء	حلب
13	الحياة الفكرية في حلب في العهد الأيوبي	220	جامعة حلب
14	الإسلام وحوار الحضارات	245	
15	صورة حلب في أدب الرحلات	190	

خامساً: دراسات منشورة في الدوريات العربية:

كتب ونشر أكثر من (300) دراسة ومقال وبحث في عدد كبير من الدوريات المحلية والعربية والأجنبية، تتناول قضايا تاريخية ونقدية وأدبية وأثرية.

المؤتمرات والندوات:

المشاركة في أكثر من 300 ندوة ومؤتمر علمي دولي خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية.
وتمثل الحضور في الإشراف والإعداد والتنظيم والتحكيم وإلقاء البحوث..

نموذج من المؤتمرات والندوات العلمية الدولية (خلال الأعوام العشر الماضية فقط)

رقم	عنوان الندوة	مكان إقامتها	البحث الذي قدمه محمد قجة
1	الحياة الفكرية في رحاب سيف الدولة	جامعة حلب	صورة حلب في بلاط سيف الدولة
2	تاريخ سورية الوسطى	حماه	حماه في العصر الحمداني والمرداسي
3	الحوار الحضاري بين الشعوب	بيروت	حلب صورة للحوار الحضاري والعيش المشترك
4	تاريخ العلوم عند العرب	العين/ الإمارات	ابن العوام الإشبيلي
5	الاستشراق في القرن العشرين	جامعة حلب	برنارد لويس النموذج السيء
6	تسعة قرون على الحروب الصليبية	جامعة حلب	دور حلب في صد الهجوم الصليبي
7	ابن رشد	جامعة حلب	أثر ابن رشد في الفكر الأوروبي
8	حملة نابليون على المشرق العربي	حلب	حملة نابليون في إطار الغزو الصليبي
9	طريق الحرير العالمي	بيروت	حلب على طريق الحرير
10	المسكن من المغارة إلى العمارة	بيروت	العمارة الإسلامية في حلب

11	تاريخ العلوم عند العرب	جامعة حلب	الحركة العلمية في العصر الحمداني
12	ابن حزم الأندلسي	جامعة حلب	ابن حزم مؤرخاً
13	المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام	جامعة دمشق	الصراع على حلب في العصر السلجوقي والزنكي والأيوبي
14	عمر أبو ريشة بعد عشرة أعوام	دمشق	الشخصيات التاريخية في شعر أبو ريشة
15	الحضارة الإسلامية حول المتوسط	بيروت	ابن عربي وحوار الحضارات
16	الإنجازات التنموية في دولة الإمارات	أبو ظبي	تجربة العمل التراثي في دولة الإمارات
17	الجامع الأموي الكبير بحلب	جامعة حلب	التوثيق التاريخي للجامع الأموي بحلب
18	20 عاماً على حكم الملك فهد بن عبد العزيز	الرياض	زائر
19	المؤتمر العالمي لاتحاد الكتاب	موسكو	الشاعر الروسي أكسكوف
20	الدولة الأيوبية: قراءة معاصرة	حلب	الحياة الفكرية في عهد الملك الظاهر الأيوبي
21	خالد بن الوليد: 14 قرناً على وفاته	جامعة حلب	خالد في مرآة عمر أبو ريشة
22	الكواكبي : قرن على رحيله	حلب	الكواكبي بين العروبة والإسلام
23	الكواكبي وحركة الإصلاح الإسلامي	عمّان	الكواكبي والإصلاح الاجتماعي والتربوي
24	التضامن والتكافل في الحضارة العربية الإسلامية	تونس	قيم التكافل والتضامن بالتراث العربي الإسلامي
25	مؤتمر الفكر العربي	القاهرة	محاورات

26	ألفية الخطيب التبريزي	تبريز / إيران	بين المعري والخطيب التبريزي
27	لسان الدين بن الخطيب	جامعة حلب	المنهج التاريخي عند لسان الدين بن خطيب
28	ابن البيطار	معهد التراث العلمي العربي	أثر ابن البيطار في مناهج البحث العلمي
29	ابن العوام الاشبيلي	معهد التراث العلمي العربي	عصر ابن العوام الاشبيلي
30	الإسلام و حقوق الإنسان	جامعة حلب	مدخل تاريخي إلى مفهوم حقوق الإنسان
31	حوار الحضارات	دمشق	حوار الحضارات في التاريخ الإسلامي
32	الشيخ محي الدين بن عربي	المعهد الفرنسي بدمشق	ابن عربي رائد الحوار بين صفتي المتوسط
33	الحياة الفكرية في بلاط سيف الدولة	حلب	العمارة الإسلامية في العصر الحمداني
34	الدولة العثمانية: قراءة معاصرة	جامعة حلب	الحياة الفكرية في العهد العثماني في بلاد الشام
35	بلاد الشام في عهد الراشدين	جامعة حلب	مدخل إلى قراءة تحليلية في التاريخ الإسلامي
36	ابن خلدون	جامعة حلب	قراءة معاصرة في منهج ابن خلدون التاريخي
37	حلب وحوار الحضارات	جامعة حلب	الحوار بين صفتي المتوسط (حلب نموذجاً)
38	بلاط الحمدانيين	جامعة حلب	بيت المتنبّي في حلب

تداخل الحضارات واستيعابها بالحضارة الإسلامية	حلب	حلب والتراث السرياني	39
منهج ابن العديم في كتابة التاريخ	حلب	النتاج العلمي والفكري لحلب عبر التاريخ	40
المخطوطات العربية في سورية	حلب	المكتبات في بلاد الشام	41
اتفاقية 1207 بين حلب والبندقية	حلب	الحياة الاقتصادية في حلب عبر التاريخ	42
بين التمايز والتنسيق في الفكر الحضاري	حلب	الخصوصيات الثقافية في العالم الإسلامي	43
التراث الفني لحلب خلال ألف عام	حلب	التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب	44
حلب مدينة كوسموبوليتية	حلب	حلب وحركة النهضة	45
الإسلاموفوبيا ظاهرة مصطنعة	حلب	ظاهرة الخوف من الإسلام	46
رحلة الموشح من الأندلس إلى حلب	حلب	التراث الموسيقي بين حلب والأندلس	47
بين الحضارة والعمارة في العصر الأيوبي	حلب	الحياة الفكرية في العصر الأيوبي في حلب	48
مدخل إلى تاريخ العمارة في حلب	حلب	فلسفة العمارة الإسلامية	49
الجوانب الإنسانية في شخصية مصطفى العقاد	حلب	مصطفى العقاد	50
رئاسة جلسة	الاسكندرية	المخطوطات الألفية	51
رئاسة جلسة	الاسكندرية	المخطوطات الموقعة	52
رئاسة جلسة	الاسكندرية	المخطوطات الشارحة	53

54	المخطوطات المترجمة	الاسكندرية	رئاسة جلسة
55	المخطوطات المطوية	الاسكندرية	رئاسة جلسة
56	احتفالية مجلة العربي بعيدها الذهبي	الكويت	التراث في مجلة العربي
57	احتفالية جامعة حلب بعيدها الذهبي	جامعة حلب	مشارك في الإعداد
58	مؤتمرات معهد التراث العلمي العربي السنوية	معهد التراث العلمي العربي	أبحاث تراثية ضمن عنوان المؤتمرات
59	تراث العمارة الإسلامية	جدة	الجامع الأموي الكبير في حلب
60	مؤتمر التراث	الرياض	زائر
61	التراث العربي و التحديات	الإمارات	التراث الغربي المخطوط
62	النتاج العلمي لمدينة حلب	حلب	دور ابن العديم في الحركة العلمية
63	(مار أفرام) السرياني	حلب	مار أفرام الشاعر المربي
64	تاريخ العلوم عند العرب	رأس الخيمة	ابن رشد وأثره في العلوم الحديثة
65	العالم الإسلامي والخصوصيات الإقليمية	حلب	الإسلام حضارة حوار
66	حلب بين التراث والمعاصرة	حلب	مدخل تاريخي
67	الأندلس الحديث والتاريخ الإسلامي	عمان	قراءة في الاستشراق الأسباني المعاصر
68	التراث والعمارة	جدة	العمارة الإسلامية في حلب

69	أعلام أندلسيون من أصول يمانية	صنعاء	ابن عربي ولسان الدين ابن الخطيب
70	صورة الأمير عبد القادر في الشعر العربي	الجزائر	الأمير عبد القادر في الشعر السوري المعاصر
71	الشريف الإدريسي وحوار الحضارات	أسبانيا	مزلة "نزهة المشتاق" في الأدب الجغرافي
72	الشريف الإدريسي رائد الجغرافية العربية	البرتغال	المغرب الإسلامي في كتابات الإدريسي
73	تطور الدراسات التاريخية	عمان	المنهج التاريخي وصولاً إلى ابن خلدون
74	مطارحات بين ضفتي المتوسط	بيروت	بين ابن عربي ودانتي
75	الأرشيف العثماني والاستفادة منه	اسطنبول	حلب في السالنامة العثمانية
76	جلال الدين الرومي	حلب	رمزية الناي في الرقصة المولوية
77	جلال الدين الرومي	قونية	الأفق الإنساني في فكر جلال الدين الرومي
78	الفلسفة و الفكر الإسلامي	حلب	العقلانية في الفلسفة الإسلامية
79	عمر أبو ريشة والسيرة النبوية	حلب	شخصيات السيرة النبوية في شعر أبو ريشة
80	تراث الموسيقى والطرب والموشحات في حلب	حلب	التصوّف والموسيقى
81	في إطار احتفالات العواصم الثقافة الإسلامية	الجزائر	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
82	في إطار احتفالات العواصم الثقافة الإسلامية	الاسكندرية	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
83	في إطار احتفالات العواصم الثقافة الإسلامية	القاهرة	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
84	في إطار احتفالات العواصم الثقافة الإسلامية	الرياض	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية

85	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	جدة	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
86	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	الكويت	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
87	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	أبو ظبي	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
88	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	صنعاء	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
89	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	كوالالمبور	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
90	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	طهران	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
91	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	أصفهان	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
92	في إطار احتفالات العواصم الثقافية الإسلامية	تبريز	لماذا حلب عاصمة الثقافة الإسلامية
93	المؤتمر السنوي لمعهد التراث العلمي العربي	جامعة دمشق	مؤرخو العصر الأيوبي
94	ابن عربي في مصر	القاهرة	ابن عربي شاعراً
95	النشر التراثي	الاسكندرية	حلب والطباعة العربية المبكرة
96	القدس في العهد العثماني	دمشق	العلاقات المعمارية والاجتماعية في القدس
97	أدب المقاومة في التراث العربي	دمشق	المقاومة في السيرة الشعبية والأدب الأندلسي
98	إشعاع القبروان عبر العصور	القبروان	التواصل الحضاري بين القبروان وبلاد الشام
99	المؤتمر السنوي لمعهد التراث العلمي العربي	جامعة حلب	التراث الإنساني في العمارة الحلبية
100	القدس في الذاكرة العربية	حلب	فضائل القدس

